الدكتور رفيق الحسيني





أفكار قيادات الحركة الصهيونية ومخططاتها تجاه الفلسطينيين

1850-1948



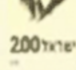




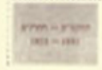




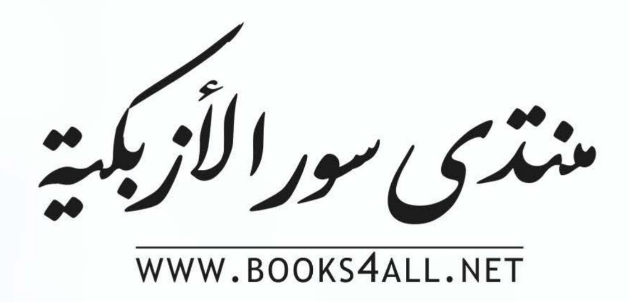












منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

على خُطى يهـــوشع

أفكـــار قيادات الحركة الصهيـونيـة

ومـخططاتهـا تجـاه الفلسطينيين

1948-1850

علی خُطی یهوشع

أفكــار قيادات الحركة الصهيونية ومخططاتها تجاه الفلسطينيين

1948-1850

تأليف

الدكتور رفيق الحسيني



2011م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2010/8/2993)

320.54

الحسيني، رفيق حيدر
أفكار قيادات الحركة الصهيونية ومخططاتها تجاه الفلسطينيين 1850-1948/
رفيق الحسيني.- عمان: دار الشروق، 2010
( ) ص
ر.إ. 2010/8/2993
الواصفات: الصهيونية//فلسطين//تاريخ فلسطين/

- تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ISBN 978-9957 - 00 - 464- 4

- على خُطى يهوشع - أفكــار قيادات الحركة الصهيونية ومخططاتها تجاه الفلسطينيين- 1850-1948 .
- تأليف : الدكتور رفيق الحسيني .
- الطبعة العربية الأولى : الإصدار الأول 2011 .
- الاخراج الداخلي وتصميم الغلاف . دائرة الإنتاج / دار الشروق للنشر والتوزيع.



دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف 4618190 / 4618191 / 4624321 فاكس 4610065

ص.ب 926463 الرمز البريدي 11118 عمان - الاردن

Email : shorokjo@nol.com.jo

دار الشروق للنشر والتوزيع

رام الله - المصيون نهاية شارع مستشفى رام الله

هاتف 2975632 - 2991614 - 2975633 فاكس 02/2965319

Email : shorokpr@palnet.com

إهداء

إلى أسرتي الصغيرة والكبيرة.

إلى أصدقائي وزملائي في ساحات العمل.

الذين وقفوا إلى جانبي عبر سنوات طوال

في مقارعة الاحتلال ومحاربة الفساد...

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الكتاب

رفيق الحسيني

15/ أيلول / 2010

المحتويات

مقدمة

في شتاء عام 1975، دُعيت لتناول عشاء عيد الميلاد لدى عائلة إنجليزية قُحّة، تعيش في قلب الريف البريطاني. وكان رب العائلة يعمل في الحقل الأكاديمي وزوجته في حقل تعليم فن الطبخ ولديهما ابنتان وثلاثة كلاب وقطة، وجدة يقارب عمرها على الخامسة والسبعين عاما وتقيم في جناح خاص بها داخل بيت العائلة الكبير.

وقد استضافتني هذه العائلة في منزلها القريب من بلدة "لفبرة" الجامعية، حُزنا على عدم وجود من يعتني بي خلال عطلة عيد الميلاد.

وقد ذكرتني هذه الجدة الإنجليزية العجوز بجدتي، رحمها الله، التي كانت تحب العلم والتعليم والمتعلمين. فقررت تمويل مصاريف دراستي العليا في بريطانيا وذلك بعد أن قامت الجامعة الأمريكية في بيروت بطردي عام 1974، مع 103 من الطلاب النشيطين في الحقل السياسي، كان بينهم ما يزيد عن 70 فلسطينيا.

بعد أن جلستُ مع العائلة على مائدة الطعام، وأكلنا شريحة من "البطيخ الأصفر" أولا. تبعه طبق الحساء، فديك الحبش مع الخضار المسلوقة، فطبق الحلويات الخاصة بعيد الميلاد... جلسنا نتسامر على فنجان من القهوة الإنجليزية "المفلترة"، ونتعرف أكثر على بعضنا البعض.

وبعد أن تحدثنا عن الطقس البارد دوما وحالة الجو الماطر باستمرار. وهو الموضوع المفضل للحديث لدى الإنجليز، نظرت إليّ الجدة العجوز متسائلة:

- " ومن أين أصلك أيها الشاب؟ "
- " من القدس، سيدتي ".
- " آه... إذا أنت يهودي... من حسن الحظ أن إبنتي لم تقدم لك لحم الخنزير! "
- " لا يا سيدتي... أنا لست يهوديا، أنا عربي فلسطيني مسلم... كانت فلسطين وطننا قبل إقامة دولة إسرائيل عام 1948 والقدس مدينة عربية... "
- " إذا أنت من الفلسطينيين (Philistines) ". قالت ضاحكة.
- " نعم "... ولم أفهم لماذا ضحكتْ!

- " لو كنت مكانك لما قلت أنني من الفلسطيين. أيها الشاب، وإلا فلن يدعوك الناس إلى بيوتهم "!

وعندما رأت الجدة علامات الاستغراب على وجهي تابعت حديثها قائلة:

- " في التوراة، وُصف الفلسطيون بأنهم قوم بربريون، غير مثقفين ولا متعلمين... كانوا أشبه بالمغول يدمرون الحضارات ويحطمون الثقافات... إلى أن جاء الإسرائيليون بقيادة يهوشع بن نون، فحاربوهم وطردوهم من أرض الميعاد..."

- " ولكن... هذا غير صحيح، بل إفتراء، ولا يعكس الواقع الحالي للقضية الفلسطينية... نحن شعب له حضارة وتراث وثقافة وقيم.."! قلت وقد اشتد وجهي احمرارا.

- " عليك إذا أيها الشاب أن تقرأ التوراة لتعي ما فيها عن أجدادكم، ولتفهم عقلية اليهود، حتى تستطيع الرد عليهم ودحض حججهم... والآن هل تريد مزيدا من القهوة؟"

- " لا شكرا "... وكنت آنذاك قد فقدت ما تبقى من شهيتي.

أعترفُ أنني قد تأثرت بهذه الحادثة لسنوات عدة، وعندما سنحت لي الفرصة في العام 1986، قررت قراءة التوراة اليهودية والتعمق في بعض قصصها.. فقرأت ما جاء عن موسى (Moses) ويهوشع بن نون (Joshua) واجتياح "أرض كنعان". ثم تمعّنت في سيرة القيادات الحديثة للحركة الصهيونية، فقرأتُ عن موسى هس (Hess)، وثيودور هرتزل (Hertzl)، وحاييم وايزمان (Weizmann)، وفلاديمير جابوتنسكي (Jabotinsky)، وديفيد بن غوريون (Ben Gurion)، وغولدا مائير (Golda Meir)، ومناحيم بيغن (Begin) واسحاق شامير (Shamir) وغيرهم.

وقد أودت بي هذه القراءات للتوصل إلى نتيجة أساسية ومهمة وهي أنه فيما يتعلق بالتعامل مع الفلسطينيين، فقد سارت جميع القيادات الصهيونية الحديثة، في تفكيرها وتخطيطها وعملها، على خُطى يهوشع!

فماذا كان برنامج يهوشع بن نون هذا ومخططاته للتعامل مع سكان أرض كنعان قبل أكثر من ثلاثة الاف عام وكيف تبنّت قيادات الحركة الصهيونية الحديثة هذا المخطط وحاولت -وما تزال تحاول- وضعه موضع التنفيذ العملي خلال القرنين الماضيين؟

هذا ما سأحاول الاجابة عليه بتعمق ولكن باختصار خلال صفحات هذا الكتاب!

الفصل الأول

يهوشع بن نون

الصهيوني الأول واسطورة احتلال أرض الميعاد

من هو يهوشع؟

تقول التوراة اليهودية بأنه في العام 1220 ق.م.. قاد شخص يدعى موسى (Moses) قبائل بني إسرائيل من مصر باتجاه أرض كنعان هرباً من طغيان الفرعون المصري عابراً الى سيناء بعد أن شقّ البحر الأحمر بعصاته فنجا مع قومه من جيش فرعون. وبعد ضياع سنوات طويلة في صحراء سيناء، حاول موسى ومن ورائه القبائل الاسرائيلية الإثنا عشر أن يدخلوا أرض كنعان من الجنوب، ففشلوا نتيجة اصطدامهم بقبائل كانت تقيم في تلك المنطقة. فاضطروا إلى أن يقوموا بمحاولة التفافية حول أرض كنعان، متجهين جنوبا إلى شبه الجزيرة العربية ثم شرقا باتجاه جنوب الأردن.

وفي تلك الحقبة، كان أحد المقربين إلى موسى - والى جانب أخيه هارون - مقاتل يدعى يهوشع بن نون.

كان يهوشع، وهو من قبيلة إفرايم، إحدى القبائل الإسرائيلية الإثني عشر، محاربا شرسا، عينه موسى قائدا في إحدى المعارك ضد "الاملكيين" (Amelkites)، فأثبت جدارته وهزمهم شرّ هزيمة، كما تدعي التوراة.

وفي مرحلة لاحقة وبعد سنوات طويلة في التيه، أرسل موسى اثني عشر مقاتلا (يمثلون القبائل الإثني عشر) للتجسس على أرض كنعان وأهلها واستكشاف امكانية غزوها، وكان يهوشع أحد هؤلاء.

وبعد أربعين يوما، عاد الإثنا عشر ليبلغوا موسى والقبائل الإسرائيلية بحقيقة ما رأوه، بأن أرض كنعان مليئة "بالحليب والعسل" ولكن سكانها كانوا أقوياء ويقيمون في مدن كبيرة ومحصنة خير تحصين. ولكن أحد الجواسيس ويدعى كالب (Caleb) إعتقد بأنه ليس هناك من أمل في احتلال كنعان وبأن المحاولة ستكون شبه انتحار. فآثر أن يتفق مع باقي الجواسيس فيخبرون جماهير اليهود التي أضحت تنتظر الفرج منذ أكثر من أربعين عاما، بأن أرض كنعان سيئة لدرجة أنها "تفترس سكانها" وبأن كل سكانها من العمالقة الضخام" لدرجة أن الجواسيس اليهود شعروا بأنهم "بحجم الجراد" مقارنة بسكان كنعان.

وما أن سمعت القبائل اليهودية قول كالب إلا وبدأوا بالشتيمة والسباب على موسى وقرروا العودة إلى مصر، فأرض الميعاد التي صبروا وتحملوا المشاق للوصول

اليهـا كانت ستجلب لهم الموت والدمار. فمـا كان من يهوشع الا أن انبـرى صـارخاً ومخاطباً جماهيـر القبـائل المحتشـدة الغاضبـة بأن أرض كنعان ليست كمـا وصف كالب وإنما هي في الحقيقـة أرض خصبـة ثرية. فثـارت ثائرة اليـهود مـرة أخرى واعتبروا يهوشع كاذباً ومخادعاً وهجموا عليه ليقتلوه هو وموسى.

إلا أن اله إسـرائيل يهوا (Jehovah) ظهـر وتدخل لصـالح موسى ويهوشع حامياً لهما من غضب الجماهيـر، وأبلغه بقراره بأنه سوف يقوم بتصفيـة كل أولئك الذي عصوْه، وهم الغالبيـة العظمى من الاسـرئيليـين. ولكن موسـى استطاع التخفيف من غضب يهوا وإقناعه بأن ذلك ليس من الحكمة، حيث أن القبـائل الأخـرى ستسـمع عـمـا فعل يهـوا بشـعبـه، وبأنه قـضى عليـهم في منتصف الطريق بعـدمـا وعـدهم بإيصـالهم إلى "أرض الميعاد". فتدارك الاله يهوا الأمر وقرر أن يتعامل مـع العُصـاة بحنكة وحكمـة... فخفف حكمـه وقـضى بأنه لن يدخل "أرض الميـعـاد" أي إسـرائيلي ممن كذبوا على موسى أو تمردوا عليه وزاد عمرهم آنذاك عن عشرين عاما... فيما عدا يهوشع بن نون الذي اعترف بالكذب وكاد أن يُقتل بسبب ذلك!

الدخول إلى شرق الأردن

وضـعت القبـائل الإسـرائيليـة رحالهـا، بعـد أن أخمـد يهـوا ثورتهـا ضـد مـوسى ويهـوشع، على أرض مـوآب (Moab) في جنوب الأردن. وهـناك، وحـسب الرواية التوراتيـة، بدأ اليـهود بمضـاجعـة نسـاء موآب وعـبادة بعل (Bael) اله الموآبيين. مما أدى إلى غضب يهوا من جديد، فأبلغ موسى بـأنه لن يتسامح معهم هذه المرة، فانزل بهم مـرضـا انتقل لهم جنسيـا عبـر نسـاء موآب ألا وهو الزهـري (Syphillis) مخلّفا بينهم ما يزيد عن 24 ألف قتيل.

وفي شـرق الأردن، خـاض من بقي على قـيـد الحـيـاة من القـبـائل الإسـرائيليـة وعددهم حسب التوراة 601.730 شخصـا،عدة معارك دموية بقيادة موسى ويهوشع ضـد قبـائل أمـورية (Amorites) وممالك شـرق أردنيـة أخـرى ومنهـا مـثلا مملكة باشـان (Bashan)، التي قتل الإسـرائيليون ملكها وجميع أولاده وأفراد عائلته.

واتجـهت القـبـائل الإسـرائيليـة إلى أرض مـديان (Median) في شـرق الأردن. فسفكت دمـاء ملوكها الخمسـة، وقامت بذبح جميع رجال المدينة. أما النسـاء فتم تقسيمهن إلى قسمين: غير العذارى وقام الإسرائيليون بقتلهن جميعا. أمـا العذارى

فأبقوا عليهن كسبايا. وحسب الرواية التوراتية فقد بلغ عدد السبايا من العذارى 28 ألفا!

وعندما وصل موسى إلى نهر الأردن، جمع الإسرائيليين وأمرهم بأن يتخلّصوا من جميع سكان المناطق في "أرض الميعاد" الواقعة غربي النهر عند احتلالها. وحذرهم بأنهم إن لم يفعلوا ذلك، فإن هؤلاء السكان سيكونون "شوكة في أعينكم وفي أجنابكم وسيخلفون لكم المشاكل في الأرض"!

كما أمر موسى قومه بتدمير مدن سكان المناطق وقتلهم أو نفيهم عن بكرة أبيهم، وعدم التوصل إلى أي اتفاق سلام معهم أو إظهار أية رحمة تجاههم. وألا يتزوجوا منهم فلا يعطوا بناتهم لأبنائهم أو العكس.

أما المدن التي تستسلم للإسرائيليين بسلام وبدون قتال، فأمر موسى قومه بأن يجعلوهم عبيدا، يعملون لصالحهم ويخدمونهم... أما تلك التي تقاتل ضد الغزو الإسرائيلي، فعلى قومه أن يقتلوا كل رجالها. أما نسائها وأطفالها وحيواناتها وكل ما يملكون، فيصبح ملكا للإسرائيليين.

وفي العام 1180 ق.م.. كما تقول التوراة، تُوفي موسى قبل أن يدخل أرض الميعاد عن عمر زاد على المائة والعشرين عاما. وتسلم زمام قيادة القبائل الإسرائيلية من بعده تابعه يهوشع بن نون.

احتلال يريخو (اريحا؟) وتدميرها

من مقر قيادته في شرقي الأردن، أرسل يهوشع بن نون جاسوسين لمعرفة قوة حامية يريخو (Yericho) ومواطن ضعفها. وقد قامت إحدى العاهرات وصاحبة بيت للدعارة في المدينة وتدعى راحاب (Rahab) بإيواء الجاسوسين ومن ثم تهريبهما من المدينة لقاء وعد منهما بأن الإسرائيليين سيكافئونها وعائلتها وسيبقونهم على قيد الحياة بعد احتلال المدينة.

وانتظر يهوشع وقبائل الإسرائيليين، حتى توقفت مياه نهر الأردن عن التدفق بفعل معجزة (كما جاء في التوراة)، فعبروا النهر وحاصروا مدينة يريخو التي كانت محكمة التحصين ومحاطة بالأسوار العالية.

وقد استخدم يهوشع خليطا من الحرب النفسية والمعجزة ضد يريخو وسكانها. بأن أمر قومه بأن يدوروا حول المدينة مرة كل يوم لمدة ستة أيام وهم ينعقون ويصرخون بشعارات الاجتياح المرتقب والقتل والتدمير والتنكيل المُخطط. وفي اليوم السابع أمرهم بالدوران حول المدينة سبعة مرات وهم يصرخون وينفخون في الأبواق. وبفعل معجزة انهارت أسوار المدينة فجأة ، فدخلها الإسرائيليون المتعطشون للدماء وقاموا بذبح كل ما فيها من بشر: رجالاً ونساء، صغاراً وكبار. كما " قتلوا أبقارها وأغنامها وحميرها " وأعتبروها "مدينة ملعونة" ... فقط الداعرة راحاب وعائلتها نجت من القتل وبقيت على قيد الحياة وتم مكافئتها بسخاء على حسن خيانتها لقومها!

احتلال مدن أي وبيثيل ويورشاليم في أرض كنعان

أرسل يهوشع جواسيسه من جديد إلى مدينة أسمتها التوراة بـ أي (غير معروفة الموقع ولكن يعتقد اليهود أنها تقع بالقرب من قرية التل أو قرية دير دبوان شمال غرب البيرة)، ومن ثمّ أرسل ثلاثة الاف مقاتل لاحتلالها. إلا أن هجوم الإسرائيليين فشل وقُتل منهم الكثيرون. وقد عزى يهوشع سبب الفشل إلى أن أحد الجنود اليهود قد أخذ معه ذهباً من يريخو بعكس تعليمات الإله يهوا القاضية بعدم سبي أي من ثروات تلك المدينة الملعونة، فأمر بقتل ذلك الرجل ومن ثمّ وضع خطة جديدة لاحتلال مدينة أي، وقرر قيادة الحملة ضدها بنفسه هذه المرة.

وقد قام يهوشع خلال المعركة بسحب جنوده والتظاهر بأنهم قد انهزموا وانسحبوا. وما أن طارد مقاتلو أي فلول الإسرائيليين تاركين مدينتهم بدون حماية كافية، إلا وقامت كتيبة إسرائيلية كانت قابعة بالقرب من المدينة بالهجوم عليها وإحراقها. وعندما رأى يهوشع الدخان المتصاعد من المدينة، عاد هو وجنده، فكر على مطارديه وقام بذبحهم جميعا! وقد قتل الإسرائيليون في ذلك اليوم ما يزيد عن 12 ألف نسمة في أي وشنقوا ملكها ودمروها تدميرا!

أما مدينة بيثيل (Bethel) (بيت ايل/ بيتين؟) التي وصفتها التوراة بأنها قريبة من أي، فقد سقطت نتيجة خيانة أحد سكانها. وقد أمر يهوشع بقتل جميع سكانها ما عدا العميل وعائلته الذين تمت المحافظة عليهم ومكافئتهم على حسن صنيعهم!

وما لبثت أن سقطت يوروشاليم (Yeroshalim) ومدن أربع أخرى بيد يهوشع الذي قام بجلب ملوكها الخمس أمامه، وطلب من جميع رجاله بأن يضعوا أقدامهم "فوق رقاب هؤلاء الملوك" وبعد أن انتهوا من ذلك، أمر يهوشع بشنقهم وتعليقهم على شجرات خمس وعلى مرأى من الجميع.

خلال ذلك الهجوم الدموي على أرض كنعان وحسب ما أوردته التوراة، فقد نجا من الذبح والسفح فقط مواطنو مدينة تدعى غبيون (Gibeon) وذلك لتمكنهم من خداع يهوشع، عن طريق زيارته واقناعه بتوقيع معاهدة سلام معهم، بعد أن ادّعوا بأنهم ليسوا من كنعان وإنما من بلاد أخرى. وعند اكتشافه لخدعتهم، قام يهوشع بإبلاغهم بأنهم سيكونون ملعونين إلى الأبد، وسيعملون عبيدا لليهود "يجمعون لهم الحطب ويجلبون لهم الماء" (hewers of wood and drawers of water). ويعتقد اليهود أن موقع غبيون التوراتية هي قرية "الجيب" الحالية الواقعة قرب القدس وبالتالي أقاموا حولها عشرات المستوطنات!

وتقول التوراة بأن يهوشع استطاع احتلال الجبال والهضاب والوديان والصحراء وقتل جميع الملوك وكل من يتنفس من غير اليهود على "أرض الميعاد"، فيما عدا الجواسيس والعملاء وسكان مدينة (غيبون) المخادعين الذين وافقوا على العيش بسلام كعبيدٍ للإسرائيليين.

حقيقية ما حدث في كنعان قبل ثلاثة آلاف عام

لا أريد الخوض كثيرا في صحة ما جاء في التوراة أو عدمه، فتلك مسألة معتقدات روحانية أكثر من كونها حقائق واقعية. ولكن الكثيرين من علماء الآثار والتاريخ ينفون واقعة احتلال أريحا (يريخو؟) على يد يهوشع وقومه وتدميرها في تلك الحقبة من الزمن. ومع أن المدينة تم احتلالها وتدميرها عدة مرات في التاريخ، إلا أن جميع هذه التواريخ تتناقض مع تاريخ احتلال يهوشع لها وتدميرها حسب ما جاء في التوراة. وكذلك الأمر بالنسبة لمدينة أي ومدن أخرى!

ويؤكد علماء آخرون بأن القصة الأكثر واقعية تتلخص بقدوم بعض قبائل البدو الرُحّل الاسرائيلية، وكانت قليلة العدد والعدة والتحضر، إلى أرض كنعان بعدما رامت في صحارى سيناء وشبه الجزيرة العربية وشرق الاردن حيث أقامت لمئات

السنين. ولكن لم يكن هناك بين هذه القبائل وبين أصحاب الأرض الفلسطينية - وكانوا سكان مدن متحضرة - أكثر من مناوشات صغيرة، مما عني أن هناك تضخيما غير واقعي في التوراة عن حقيقة هذه المناوشات وطبيعتها، ومبالغة شديدة في رواية القصص التاريخية لصالح الاسرائيليين وعلى حساب الكنعانيين والفلسطيين سكان تلك الاراضي منذ آلاف السنين قبل مجيء الاسرائيليين. حيث أن الحياة البشرية في مدينة أريحا تقدر بعشرة الاف سنة وهي بالتالي أقدم مدينة في التاريخ!

كما يوضح هؤلاء العلماء بأنه كانت هناك علاقات جوار وزواج عادية بين قبائل الإسرائيليين والقبائل المجاورة في أرض كنعان على عكس الوصف الذي جاء في التوراة بخصوص الحروب الضارية وسفك الدماء وجمع العذارى واستعباد العبيد!

وبالتالي، وحسب الوصف التاريخي المبني على العلم، لم يكن يهوشع بن نون ذلك القائد الفذ الذي حقق الانتصارات الكبيرة والفتوحات العظيمة في "أرض الميعاد"!

بل أن أحد أساتذة التاريخ وهو الدكتور كمال الصليبي (وهو أستاذ سابق في الجامعة الأمريكية في بيروت)، يؤكد بأن كل القصص المذكورة في التوراة والخاصة باحتلال شخص يدعى يهوشع لأرض كنعان لا علاقة لها إطلاقا بأرض فلسطين، بل أن كل هذه القصص قد حدثت في منطقة الحجاز في شبه الجزيرة العربية، وبأن كل الأسماء المذكورة في التوراة على أنها أسماء مناطق في فلسطين (اليردن، يوروشليم، يريخو، غيبون، أي، بيثيل) هي أسماء قرى ومدن ومناطق في الحجاز وعسير والطائف، وبأن اليهود الذين هاجروا لاحقا وبعد مئات السنوات من شبه الجزيرة العربية إلى فلسطين في فترة ظهور السيد المسيح عليه السلام، حملوا معهم هذه الأسماء وأطلقوها على بعض المدن والقرى الفلسطينية تماما كما أطلق المهاجرون الأوروبيين أسماء المدن الأوروبية على مدنهم الجديدة في أمريكا الشمالية!

كما يعتقد د. الصليبي بأن موسى (Moses) الذي تقول التوراة اليهودية بأنه وُلد في مصرايم (Misraim) والذي فهم منها خطأ أنها مصر، فهي منطقة تدعى مصرامة في غرب شبه الجزيرة العربية، وكانت مُحتلة آنذاك من قبل الفرعون المصري.

ويمضي د. الصليبي قائلا بأن الخريطة الجغرافية والسياسية في غرب شبه الجزيرة العربية قبل ثلاثة الاف عام كانت قريبة جدا من الأحداث والأسماء والمناطق المذكورة في التوراة، وبعكس مصر وفلسطين، وبالتالي فهو يعتقد جازماً بأن هذه الأحداث التوراتية قد حصلت في شبه الجزيرة العربية وليس في فلسطين!

سيغموند فرويد وأحداث التوراة

في سياق البحث عن حقيقة ما دار على أرض كنعان قبل ثلاثة الاف عام، لا بد أن نذكر ما كتبه الدكتور سيغموند فرويد (Freud) والذي يُعتبر أهم من كتب في علم النفس الحديث وفيه يدعم نظرية د. الصليبي بخصوص الموقع الجغرافي للروايات التوراتية.

يقول د. فرويد - اليهودي الأصل - في احدى مؤلفاته المنشورة عام 1937، بأن قبائل الإسرائيليين قامت باعتناق ديانة جديدة في عهد شخص يدعى موسى، ولكن هذا الحدث لم يكن في مصر ولا في سيناء، ولكن في منطقة تدعى مربط قادس (Mirbat Qades) إلى الجنوب من فلسطين بين سيناء والجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية.

وفي مربط قادس هذه اعتنق الإسرائيليون ديانة عبدوا فيها إلها اسمه ياهفي (Jahve) أو يهوا، وقد حدث ذلك في أرض مليئة بالبراكين كما تصفها التوراة. ومن المعروف بأن مصر وفلسطين وسيناء كانت خالية من البراكين آنذاك، أما منطقة الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية في تلك الحقبة الزمنية فقد كانت فيها براكين مشتعلة!

كذلك فإن الدكتور فرويد يعتقد بأنه لم يكن هناك موسى واحد فقط، بل اثنين على الأقل، أحدهما "ذكي"، ذو دم حامي، ودموي"، وهو الذي قاد اليهود من "مصرايم" إلى "اليردن" في شبه الجزيرة العربية. أما موسى الآخر فكان "صبورا، غفورا، رحيما" وهو الذي تلقى الوصايا العشر من يهوا في سيناء.

ويعتقد مؤرخ شهير آخر هو آرنست سيلين (Sellin) بأن مؤسس الديانة اليهودية موسى قد قضى نحبه نتيجة ثورة من قبل قومه "العنيدين والناكرين للجميل" ولم يكن موته طبيعيا في شرق الأردن، كما جاء في التوراة.

أثر سيرة يهوشع على التفكير الصهيوني الحديث

توفي يهوشع وعمره مائة وعشر سنوات، حسب الرواية التوراتية، قضاها في أعمال القتل والسلب والنهب والقهر، واحتلال الأراضي وإقامة المستوطنات، وحماية الجواسيس والعملاء، واستعباد واذلال الذين كانوا يرغبون بإقامة معاهدات السلام مع الإسرائيليين في أرض كنعان.

ويعتبر الكثيرون من مؤرخي الحركة الصهيونية بأن يهوشع بن نون هو "الصهيوني الأول" حيث أنه كان أول من دخل فلسطين قائداً لقبائل الإسرائيليين. بل ويعتبرونه أحد أهم ثلاثة زعماء يهود، إضافة إلى موسى وداوود، "حولوا القبائل الإسرائيلية آنذاك إلى شعب له وطن". وفي هذا الصدد، يعتقد المتدينون اليهود أن يهوشع قد دُفن في قرية كفل حارس بالقرب من بلدة سلفيت بالضفة الغربية، مما حدا بالحكومة الاسرائيلية الى مصادرة معظم أراضي القرية واقامة احدى أكبر المستوطنات - أريئيل - عليها!

ومما لا شك فيه أن تأثير بطولات يهوشع التوراتية - وبغض النظر عن صحتها- كان كبيرا على جميع قادة الحركة الصهيونية الحديثة من ثيودور هرتزل إلى بنيامين نتانياهو. فكل هؤلاء القادة كانوا قد ذهبوا في طفولتهم المبكّرة الى مدارس توراتية دينية تعلموا فيها قصص موسى ويهوشع وغيرهما.

فموسى هس الملقب "بنبي الحركة الصهيونية" وثيودور هرتزل وحاييم وايزمان درسوا التوراة وقصصها على يد أساتذة تلموديين. أما فلاديمير جابوتسكي الأب الروحي لمناحيم بيغن واسحق شامير، فقد تأثر بيهوشع بشكل مباشر ودعا شباب اليهود الى "استذكار المعارك البطولية لقدماء الإسرائيليين وملئ النفس بالروح القتالية".

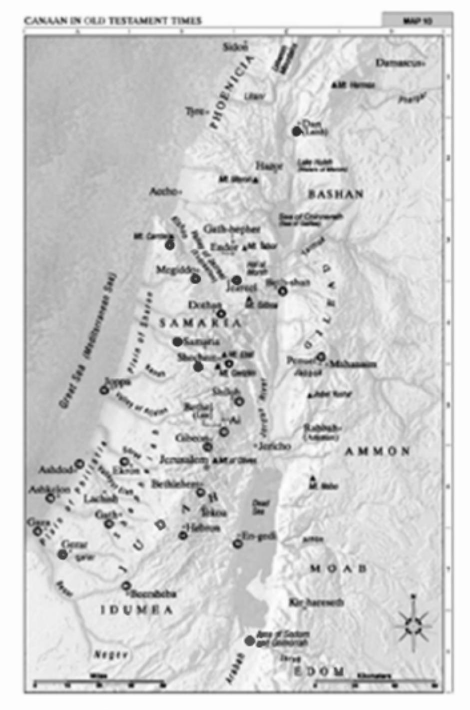
حتى ديفيد بن غوريون، وهو أحد مؤسسي حزب العمل العلماني، فقد تعلم العبرية وتاريخ التوراة، وقارن في إحدى كتاباته بين احتلال فلسطين من قبل الصهيونيين عام 1948 واحتلال يهوشع لأرض كنعان قبل الاف السنين، معتبرا أن يهوشع وصحبه هم "الصهيونيون الاوائل". وكذلك الامر بالنسبة لغولدا مائير وهي أيضا من قيادات حزب العمل، فقد درست التوراة "على يد حاخام كبير في السن.

يقضي وقته نصف نائم. وقد علمها نتفاً من العبرية وتاريخ اليهود". ومثلُها مثل عشرات القادة الصهيونيين الاوائل، المتدينين منهم والعلمانيين وما بين البينين!

وهنا لابد من التساؤل - ولو نظرياً - عن طبيعة شعور يهوشع والإسرائيليين الذين تبعوه أو قرأوا عن "بطولاته"، تجاه أولئك السكان الذين احتل أراضيهم هو وقومه، وذبحوهم واستعبدوهم!

- إن قيام يهوشع بقتل جميع السكان - نساءً وأطفالاً وشيوخاً ورجالاً - لا بد أن يعني بأنه كان يشعر بالكراهية العظيمة لهم. صحيح أنه أبقى النساء العذارى على قيد الحياة في إحدى المرات ولكن ذلك كان من أجل الملذة فقط. وأبقى في مرة أخرى على أهل قبيلة غيبون ولكن بعد أن خدعوه فاستعبدهم شر استعباد. فقد كان ابقاء غير اليهود على قيد الحياة الإجراء الاستثنائي وليس القاعدة ليهوشع وقومه.
- إن التعبير الذي استعمله مناحيم بيغن لوصف الفلسطينيين عندما كان رئيسا للحكومة الإسرائيلية عام 1982، بأنهم "حيوانات تسير على ساقين". والتعبير الذي استعمله الجنرال روفائيل إيتان بأن الفلسطينيين في بيروت عام 1982 محاصرون "كالصراصير في الزجاجة". أو تعبير الوزير رحمبعام زئيفي الذي أغتيل عام 2001 بأنهم "قمل". أو تعبير الحاخام عوباده يوسف (رئيس حركة شاس) بأنهم "ثعابين" لا بد وأن تعكس نفس النظرة التي كانت موجودة لدى يهوشع وقومه منذ أكثر من ثلاثة الاف عام والتي توارثها عنهم العديد من قادة الحركة الصهيونية الحديثة!
- إن أحداث الخيانة والعمالة من قبل بعض سكان يريخو وبيتيل التي ورد ذكرها وتضخيمها في التوراة لا بد وأن جعلت يهوشع ينظر باحتقار لشعب كنعان والذي استطاع أن يجد فيه عاهرة خائنة ومواطنين عملاء! كذلك فإن انتصاره بالخديعة على أهل أي وغيرها واستعباده لأهل غيبون لا بد وأن جعله يحتقر أهل كنعان أكثر وأكثر... إن ذلك الشعور لا بد وأنه قد انعكس على من اعتقدوا بأنهم خليفة يهوشع بالنسبة لمن هم الورثة الطبيعيين لاهل كنعان!

● لم يسمح يهوشع لقبائله بالاختلاط أو التزاوج مع شعب كنعان حسب التوراة، ولم يعرف لغاتهم ولا عاداتهم ولا ثقافتهم، وبالتالي فقد كان سكان كنعان غرباء بالنسبة له وللإسرائيليين. إن مرد ذلك كان شعور يهوشع وقبائله بالتفوق العرقي من جهة والتفوق الديني من جهة أخرى.



خريطة تبين المناطق والمدن الرئيسية عند هروب موسى والقبائل الاسرائيلية من مصر باتجاه فلسطين والأردن (أرض الميعاد) قبل ثلاثة آلاف عام.



رسم يبيّن يهوشع وهارون وهما يسندان موسى لصد تمرد اليهود ضده في سيناء بعد عودة الجواسيس من أرض كنعان وكذبهم بخصوص سكانها وأرضها، وموسى يطلب تدخل يهوا



خريطة تبين خط سير القبائل اليهودية بعد هروبهم من مصر بقيادة موسى: التيه في سيناء لمدة أربعين عاما والوصول الى شرق الأردن (حسب الرواية التوراتية).



بعل اله مؤاب الذي قرر اليهود عبادته ضد ما بشّرهم به موسى فأنزل الاله يهوا بهم وباء الزهري مخلفا فيهم 28 الف قتيل.



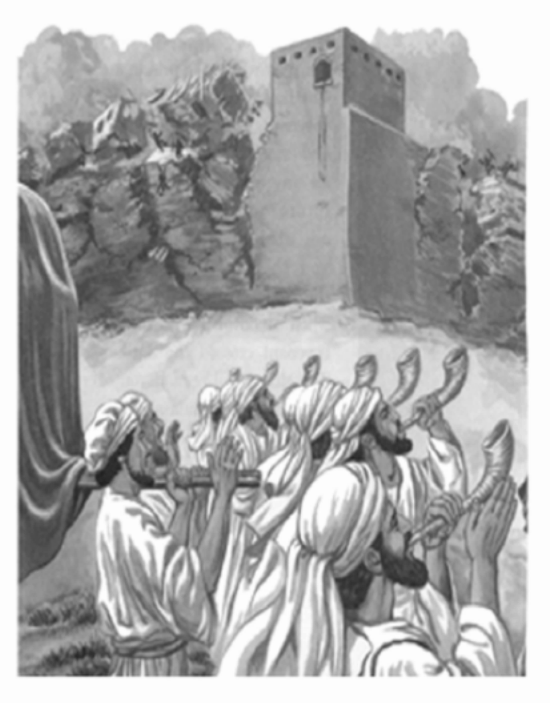
رسم لموسى يخطب في جمع اليهود على جبل نيبو شرقي نهر الأردن قبيل وفاته (عن عمر يناهز 120 عاما) ويحذرهم من الابقاء على سكان ارض كنعان ويجلس الى جانبه يهوشع بن نون.



رسم يتخيل يهوشع والقبائل الاسرائيلية تعبر نهر الاردن باتجاه يريخو (أريحا؟) بعد معجزة توقف تدفق المياه.



راحاب صاحبة بيت الدعارة تخفي جواسيس يهوشع في يريخو (أريحا) قبيل الهجوم على المدينة وتدميرها وقتل كافة سكانها - الا راحاب وعائلتها!



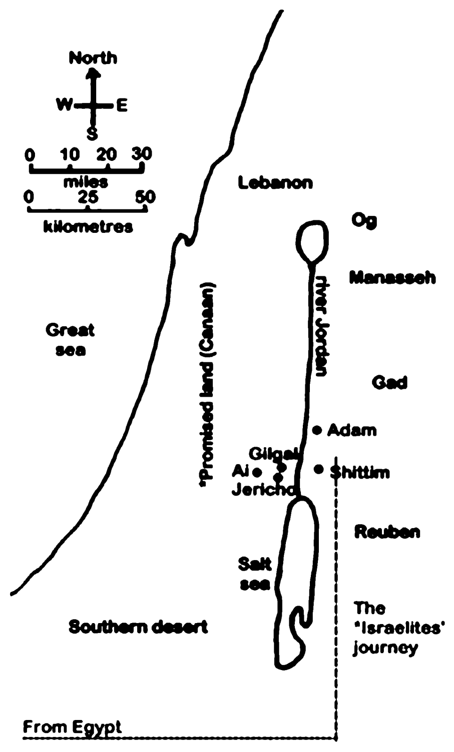
سقوط أسوار يريحو بفعل معجزة وتدميرها تماما من قبل يهوشع وجيشه



رسم يبين أسر الملوك الخمسة في كنعان ومن ثم الدوس على رؤوسهم من قبل يهوشع وجيشه وقتلهم بما فيهم ملكي أورشاليم وحبرون



أيقونة رسمها مسيحي صهيوني ليهوشع بن نون تبينه كقديس مع أنه قضى حياته (110 عاما) في أعمال احتلال أراضي الغير وقتل الابرياء من الشيوخ والنساء والاطفال!



خريطة تبين خط وصول القبائل اليهودية الى شرق الاردن والمناطق التي احتلها يهوشع في بداية هجومه على "أرض الميعاد" حسب الرواية التوارتية (مع ثبوت عدم صحتها التاريخية!)



سيغموند فرويد استاذ علم النفس اليهودي الشهير الذي يشكك بحدوث قصص التـوراة في فلسطين ويدعي بوجـود قـائدين يهـوديين باسم مـوسى ثم الخلط بينهما في التوراة

الفصل الثاني

جذور الحركة الصهيونية الحديثة - موسى هس وليو بنسكر

التفكير بالعودة الى أرض الميعاد

انتهى الحكم الإسرائيلي لبعض الأجزاء الداخلية من أرض الكنعانيين في العام 586 قبل الميلاد، أي بعد ما يقارب 600 عام من إدعاء التوراة بعبور يهوشع بن نون لنهر الأردن واحتلاله لمدينة يريخو (أريحا؟) في العام 1180 ق.م. وكان الكنعانيون قد استقرّوا في فلسطين منذ أن وصلوا اليها خلال موجات متعاقبة من الهجرة من شبه الجزيرة العربية خلال الفترة 2500-3000 ق.م. - أي قبل نزوح القبائل اليهودية اليها بحوالي 1800 عام - فأقاموا فيها وبنوا حضارات هامة وأنشاوا مدنها الرئيسية، ومنها القدس وأريحا والخليل ونابلس وبيت لحم، وذلك قبل وصول القبائل الاسرائيلية اليها بآلاف السنين، وبقوا فيها الاف السنين بعد اندحار الاسرائيليين منها.

وفي خلال فترة الحكم الإسرائيلي لأرض كنعان، حكم الدولة اليهودية الملك سول (Saul) ثم الملك داوود (David) ومن بعدهم سليمان (Solomon) وذلك من الأعوام 1020 ق.م. الى 922 ق.م. ثم انقسمت الدولة الى دولتين: اسرائيل ويهودا. وقد استمرت الأولى حتى عام 721 ق.م. أما الثانية فقد استمرت حتى عام 586 ق.م.. عندما سقطت أوروشاليم (أورسالم) بأيدي الغزاة البابليين القادمين من العراق.

ثم احتل الفرس أرض كنعان (538 ق.م.)، فاليونانيون (333 ق.م.)، فالمصريون والسلاقدة السوريون بالتناوب (323 ق.م.)، فاليهود المكابيين (165 ق.م.) ثم الأرمن (83 ق.م.).

وفي العام 63 ق.م. احتل الرومان كنعان وأطلقوا عليها اسم فلسطين. وقد استمر احتلالهم لها لمدة 700 سنة حتى العام 638م عندما دخلها العرب المسلمين فاتحين، فدخل الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس بسلام وبدون اراقة أية دماء، موقّعاً العُهدة العُمرية الشهيرة التي حمى فيها حقوق المسيحيين في المدينة وأكنافها، رافضاً الصلاة في كنيسة القيامة حتى لا يأتي من بعده متزمّتون مسلمون فيحولونها الى مسجد، فصلّى بالقرب منها وحسناً فعل! فقد أقام المسلمون لاحقاً مسجداً في الفناء الذي صلّى فيه الخليفة قرب أم الكنائس المسيحية، ويُعرف اليوم بمسجد عمر.

وفيما عدا فترة لم تزد عن مائتي عام، فقد استمر الحكم الإسلامي لفلسطين لأكثر من1280 سنة حتى العام 1917م. عندما احتلّتها القوات البريطانية إبّان انتهاء الحرب العالمية الأولى بعد هزيمة الامبراطورية العثمانية وانسحابها من كافة أراضي المشرق العربي بما فيها فلسطين.

فلسطين تحت الحكم الاسلامي

استمر الحكم الإسلامي لفلسطين بدون انقطاع من 638م حتى عام 1099م عندما بدأت الحملات الصليبية المتعاقبة بالهجوم واحتلال أجزاء من فلسطين. وفي العام 1187م استعاد صلاح الدين الأيوبي معظم أراضي فلسطين مع سماحه لبعض الصليبيين بالبقاء فيها. وفي العام 1270م طرد السلطان الظاهر بيبرس ما تبقّى الصليبيين من فلسطين (مع استمرار بعضهم في آخر قاعدة لهم في عكا حتى العام 1291م).

وفي الفترة 1270-1517م دخلت فلسطين ضمن الحكم المملوكي، ثم وقعت تحت الحكم العثماني في الفترة 1517-1917م . فأُلغي اسم "فلسطين" وضُمّت لولاية دمشق وقُسمّت الى خمسة سناجق هي القدس ونابلس وصفد وغزة واللجون، ومن ثم أُعيد تقسيم فلسطين ادارياً في القرن التاسع عشر واعتبار سُنجق القدس (والذي ضمّ كل المنطقة الجنوبية بما في ذلك يافا والخليل وغزة) سُنجقاً "مُستقّلا".

لم ينقطع الحكم العثماني عن فلسطين إلا فترة قصيرة جداً خلال الحملة الفرنسية واحتلال يافا وحيفا وقيصرية وحصار عكّا عام 1799م والتي أراد خلالها الأمبراطور نابليون إعلان فلسطين دولة لليهود تحت حماية فرنسية، ولكن الإحتلال الفرنسي لم يستمر أكثر من خمسة أشهر!

وفي عام 1832م ضم الخديوي المصري محمد علي فلسطين بالاضافة الى سوريا والأردن ولبنان الى مملكته المصرية، وذلك الى حين اصطدامه بالإنجليز عام 1841م وإنسحابه الى الحدود المصرية، وبالتالي عادت فلسطين إلى الولاية العثمانية مرة أخرى وظلّت كذلك حتى هزيمة الحامية التركية في شتاء 1917م.

تفرّق اليهود في العالم وبروز القبيلة الثالثة عشر

بعد سقوط مملكة يهودا عام 586 ق.م. وبحسب الاساطير، فقد تفرّق اليهود في بقاع الأرض. فمنهم من تم أخذهم كسبايا الى بابل. ومنهم من أقاموا في سوريا ولبنان. وهاجر قسم منهم جنوباً الى شبه الجزيرة العربية فعاشوا في الحجاز واليمن، واتّجه بعضهم غرباً الى مصر والمغرب العربي.

وخلال سنوات الفتح الإسلامي للأندلس منذ عام 711م، توجّه عدد كبير من اليهود الى هناك، ثم عادوا وخرجوا منها نهائياً مع المسلمين الى بلاد المغرب العربي بعد هزيمة الخليفة أبو عبدالله محمد الثاني عشر على يد الملك فرديناند والملكة ايزابيلا في العام 1492م بعد أن أقاموا معهم فيها حوالي 800 سنة.

في فترة وجود دولة الأندلس، تلك الحُقبة التي ازدهرت فيها البلاد، أقام هناك أكثر من مليوني يهودي، كما أقاموا وبأعداد متفاوتة، في كافة البلدان التي فتحها العرب المسلمون بما فيها فلسطين منذ القرن الثامن الميلادي. وقد تمتع اليهود آنذاك بحرية العبادة والعمل والمهنة بشكل غير مسبوق، فعملوا في حقول الطب والفلسفة والأدب والفلك، بل وقاتلوا الى جانب العرب المسلمين في الحروب التي خاضوها. بل يمكن القول أن القضية الوحيدة التي أدت الى وقوع خلاف وقتال وضحايا بين الطرفين منذ ذلك التاريخ وحتى مطلع القرن العشرين هي ظهور الحركة الصهيونية في العام 1897م!

ويُعرف اليهود الذين انتشروا في العالم العربي والاندلس باسم السفارديم (Sephardim). أما كيف وصل اليهود الغربيون، ويُعرفون بالأشكناز (Ashkenazim)، وبأعداد كبيرة الى أوروبا الشرقية - وبالتحديد الى روسيا الكبرى وبولنده - واتجهوا منها الى اوروبا الغربية وأمريكا أو غادروا منها الى فلسطين، فلذلك قصة مثيرة كَثُرت محاولات طمسها واخفائها (ولكن بدون انكارها!) من قبل الحركة الصهيونية.

إن هولاء اليهود الشرق-أوروبيين، حسب ما كتب الباحث الصهيوني المعروف آرثر كوستلر (Kostler)، لم يكونوا ينتمون الى أي من القبائل الإسرائيلية الإثني عشر، بل الى قبيلة أسماها كوستلر بالثالثة عشر. وهي قبيلة "الخزر"!

يقول الدكتور كوستلر بأنه خلال القرن الثاني عشر الميلادي، أقامت إحدى القبائل القوقازية وتُدعى الخزر (Khazar) على الحدود الواقعة بين الدولة الإسلامية الممتدة الى شمال تركيا، والدولة المسيحية الممتدة الى أقصى روسيا جنوبا. وقد كانت هذه القبيلة تعتاش على تقديم الخدمات المختلفة للقوافل التجارية التي كانت تتنقل بين الجنوب الاسلامي والشمال المسيحي وبالعكس، وتمرّ في طريقها بمملكة "الخزر" فتتوقف للتزود بالاحتياجات وتلقّي الخدمات.

ومن أجل أن تتقي مملكة الخزر - الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود - شرّ الدولتين الإسلامية والمسيحية وتُظهر حيادها الكامل وعدم انحيازها لإحداهما، قرر ملك القبيلة أن يعتنق هو وقومه الديانة اليهودية. وكان ذلك في القرن الثاني عشر الميلادي، أي بعد سقوط الدولة اليهودية في فلسطين بحوالي (1700) عام!

وبعد حوالي 300 سنة، أخذ الخط التجاري القائم بين الشمال والجنوب - والذي كان يمر بمملكة الخزر المزدهرة - بالإضمحلال والتقلّص. وبالتالي، لم يعد بإمكان الخزر العيش من وراء تقديمهم الخدمات للقوافل التجارية، فهاجر الكثيرون من أبناء هذه القبيلة "المتهودة" شمالا باتجاه روسيا أولا ومن ثم الى بولنده، وأقاموا هناك وتوزّعوا على المدن المختلفة وكوّنوا جاليات يهودية كبيرة في أوروبا الشرقية. ومع نهاية القرن التاسع عشر، هاجر بعض يهود أوروبا الشرقية الى الغرب وجاءت أعداد قليلة منهم الى فلسطين.

إن هذه الحقيقة التاريخية التي أبرزها كوستلر تعني أن أولئك اليهود القادمين الى فلسطين من روسيا وبولنده وباقي أنحاء أوروبا الشرقية، والذين أطلق عليهم اسم "القبيلة الثالثة عشر"، ليست لهم أية علاقة بأرض كنعان من قريب أو بعيد عدا الصلة الروحانية، ولم يسكن أجدادهم فلسطين قبل الآف السنين. بل وكما أوضح العديد من العلماء، أن اليهود القادمين من شرق أوروبا (الاشكناز) يختلفون تماما من الناحية البيولوجية والفيزيائية عن اليهود الذين أقاموا في العالم العربي (السفارديم) وهم بالتالي ليسوا من أصل واحد!

أما الشعر الأسود والأنف المعقوف الذين اشتهر بهما اليهود الاشكناز، فلا علاقة لذلك بكون أصولهم شرق أوسطية من "أرض الميعاد"، وإنما يتعلق بأصولهم الاسيوية الوسطى من "أرض القوقاز"، وهم بذلك لا يمتون بأية صلة فيزيائية للقبائل الإثني عشر المذكورة في التوراة والذي انتمى لها يهوشع بن نون!

التفكير اليهودي بالهجرة الى "أرض الميعاد"

خلال العصور الوسطى والحكم المسيحي للقارة الأوروبية، بدأ اليهود الاشكناز في أوروبا الشرقية، يفكرون بالهجرة الى "أرض الميعاد"، وخاصة بعد حصول مجازر وحوادث قتل وإعتداءات تعرضت لها الجاليات اليهودية بين الفينة والأخرى وعرفت باسم "بوغروم" (Pogrom). أما اليهود السفارد الذين كانوا يعيشون مع العرب المسلمين في المغرب العربي ومصر وبلاد الشام والعراق واليمن فلم يفكروا مطلقا بالعودة الى فلسطين، فهم لم يتعرضوا لأي نوع من المجازر أو الكراهية أو العنصرية من قبل الاسلام أو العرب!

كان المفهوم التوراتي السائد عند اليهود آنذاك يقول بأن عودتهم الى "أرض الميعاد" لن تكون عن طريق عمل من قبل بشر أو إنسان، بل عن طريق الاله يهوا وبعد قدوم المسيح المنتظر، حيث أن عيسى عليه السلام كان من وجهة نظرهم مسيحاً دجالا!

وفي العام 1665م، ادّعى أحد الحاخامين اليهود والمقيم في شمال تركيا ويدعى ساباتاي زئيفي (Zevi) بأنه المسيح المنتظر، فبدأت بعض الجاليات اليهودية التي آمنت به في أوروبا، بالإستعداد للهجرة الى فلسطين. ولكن سرعان ما ثبت لهؤلاء بأن زئيفي ما هو إلا "مسيح مزيّف"، وبالتالي توقفوا عن حزم متاعهم وعادوا الى بيوتهم!

ولم يتغير هذا المفهوم - بأن العودة الى أرض الميعاد سوف تتم فقط بعد قدوم المسيح المنتظر - إلا في العام 1862، وبشكل جزئي، عندما أفتى الحاخام هيرش كاليشر (Kalischer) البولندي الأصل، بأن إنتظار المسيح لا يجب أن يكون على حساب التوجه الى أرض الميعاد، بل انه من المُحبّذ إقامة مجتمع يهودي في فلسطين قبل قدوم المسيح يتم تمويله من قبل أغنياء اليهود، وتحميه قوة عسكرية "تتصدى للبدو"!

موسى هس : نبي الحركة الصهيونية

تزامنت كتابات الحاخام كاليشر مع صدور كُتيّب نشره يهودي ألماني يدعى موسى هس (Hess) عام 1848.

في كُتيّبه بعنوان "روما والقدس". وضع هس خطة عملية للإستيطان اليهودي في فلسطين. قوامها قيام أغنياء اليهود أمثال ناثان روثشيلد (Rothschild) وموسى مونتيفوري (Montefiore) بتمويل جمعية هدفها الإستيطان في فلسطين. تقوم بشراء الأراضي هناك وتأجيرها لليهود القادمين من أوروبا.

وقد لقّب بعض المفكرين الصهيونيين هس بـ "نبي الصهيونية" لأنه كان أول من صرح علانية بأنه " اذا كان هناك من تناقض بين القومية اليهودية ومساواة اليهود في البلاد المختلفة. فيجب "التضحية بمسألة المساواة في سبيل القومية اليهودية". كما تبنّى بقيام دولة يهودية تتحالف مع الغرب ضد الشرق!

وُلد موسى هس في العام 1812 في مدينة بون بالمانيا. وذهب الى باريس عام 1840 لإكمال دراسته. وكان آنذاك مؤمنا إيمانا شديدا بقضية إعادة بناء واصلاح المجتمع الإنساني. لدرجة أنه قرر التزوج من مومس غير يهودية تدعى سيبل برتش (Pritsch) حتى ينقذها من " الأعماق التي غاصت فيها". ومنذ تلك اللحظة. قررت عائلته اليهودية مقاطعته تماما!

وانتقل هس للإقامة في بروكسل ببلجيكا. وهناك انضم الى الحزب الشيوعي الذي كان ما يزال في طور التأسيس. وفي العام 1848. وبعد صراع مع كارل ماركس (Marx) مؤسس الفكر الشيوعي وهو أيضا يهودي الأصل. استقال من الحزب معتبرا بأن من بين أعضاء الحزب السبعة عشر. ستة عشر برجوازيا وبروليتاريا حقيقيا واحدا فقط هو هس نفسه. أما الاعضاء الستة عشر الآخرين في الحزب. فقد أجمعوا على أن الحزب قد طرد موسى هس لأن "خامته قومية تعصبية" (شوفينية) لا تصلح لعضوية الحزب الشيوعي. وخصوصا بعد تصريحاته بأن " الصراع العرقي هو الأساس" أما "الصراع الطبقي فهو ثانوي..."!

وفي العام نفسه. 1848. وبعد موجة عنف ضد اليهود في أوروبا. وضع هس في كُتيّبه "روما والقدس" خطة اقامة وطن يهودي في فلسطين بمساندة القوى الإستعمارية. واقتبس فيه من كتابات ارنست لاهاران (Laharane) - وهو فرنسي مسيحي كان هدفه غير المعلن التخلص من اليهود في فرنسا - التي يحث فيها اليهود على الهجرة الى فلسطين قائلا لهم: "بجهدكم وعملكم ستُنقذون الشرق

المليء بالكسل والسرقة والتحريض... كونوا المدافعين عن الأخلاق في الشرق... إن قرآنهم سيتم تطهيره عندما يحتك بتوراتكم...»

ويبدو أن هذه العبارات قد ألهمت موسى هس وألهبت مشاعره فكتب يقول: «إن فرنسا تبتغي بالتأكيد أن تكون الطريق الى الهند والصين مسيطرا عليها من قبل قوم سيذودون عنها حتى الموت... ومَن هم أحسن من اليهود لهذه المهمة. أولئك الذين كان قدرهم منذ قديم الزمن أن يقوموا بهذا العمل... إن الفرنسيين واليهود قد خُلقوا لبعضهم البعض...!»

ويستمر هس كاتبا بأنه:

«عندما تستعيد فلسطين تاريخها بمساعدة فرنسا، ستقوم «يهودا» بتعليم الحضارة للشعوب البدائية في الصين والهند... وسيزرع الرأسمال اليهودي أراضي فلسطين البور وسيقوم العمال اليهود ببناء الصناعات... يجب أن تساعدنا فرنسا سياسياً، لأنها تريد شعباً صديقاً على الطريق الى الهند، التي تمثل الهدف التاريخي للأمم الأوروبية».

والجدير بالذكر بأن الغالبية العظمى من اليهود الذين كانوا يعيشون في أوروبا في ذلك الزمان، كانوا غير صهيونيين. بل كانت غالبيتهم العظمى معادية لفكرة الصهيونية، حيث أنهم كانوا يعتقدون بأن هذه الفكرة ستُعطي المبرر الكافي لأولئك الأوروبيين المعادين لليهود (أمثال لاهاران)، بالمطالبة بطردهم من البلاد التي يقيمون فيها، وعدم مساواتهم بالسكان المسيحيين!

ولم يكن لاهاران وحيدا بين الشخصيات الفرنسية في عدائه الشديد لليهود. فقد كتب المفكر والعالم الفرنسي الشهير فولتير (Voltaire) في أواخر القرن الثامن عشر (حوالي العام 1770) يقول: «لماذا اليهود مكروهون؟ ان ذلك هو النتيجة الحتمية لشرائعهم ... فهم اما يجب أن يحتلوا الجميع أو يكرهوا كافة البشر... انهم يُولدون وفي قلوبهم تعصّب هائج... لن أفاجىء على الاطلاق ان كان هؤلاء السبب في هلاك الجنس البشري في يوم من الأيام!»

أما المصلح والمفكر الفرنسي كاننو (Cannot) وكان أيضاً يكره اليهود فقد كتب في نهاية القرن التاسع عشر يقول: « أيها اليهود ... اتركونا! اعبروا البحر الأحمر

من جديد، واذهبوا الى الصحراء، الى أرض الميعاد التي تنتظركم، البلاد الوحيدة التي تصلح لكم، أيها الأشرار قليلو الأدب وغير الصادقين ارحلوا الى هناك!"

ليو بنسكر: المحلل النفسي للفكر الأوروبي اللاسامي

في العام 1881، وبعد اغتيال القيصر اسكندر الثاني في روسيا، اعتلى سدة الحكم ابنه اسكندر الثالث الذي قام بالحد من الحريات وشجع الإعتداء على الأقليات بهدف طردها من روسيا. وكان اليهود آنذاك يمثلون الجالية الأكبر التي تأثرت بقدوم اسكندر الثالث، فتعرض أعضاؤها لحوادث القتل والضرب والشتم المستمر.

وفي العام 1882، كتب الدكتور ليو بنسكر (Pinsker) وهو طبيب يهودي من مدينة أوديسا في روسيا، مقالة حلل فيها الفكر اللاسامي ومعناه، معتبرا بأنه مبني على كره وخوف غير طبيعيين لليهود (Judeaphobia) قائلا: "هذه الكراهية غير الطبيعية لليهود هي مرض نفسي خطير. ينتقل بالوراثة عبر الأجيال مثل أي مرض عقلي خطير. وقد انتقل عبر ألفي سنة وهو غير قابل للعلاج ولا يمكن الشفاء منه".

وبالتالي، فإن طريقة العلاج الوحيدة الممكنة، كما أوضح بنسكر، هو انتقال اليهود الى وطن لهم للإقامة على أرض خاصة بهم حتى يستطيعوا الحياة بسلام وحرية. ولكن بنسكر لم يحدد أين يجب أن يكون هذا الوطن، معتبرا أن فلسطين تمثل أحدى الإحتمالات الممكنة، مع أنه أردف قائلا - وفي اشارة واضحة ضد فلسطين - بأن على اليهود: "ألا يربطوا أنفسهم بمنطقة تم فيها تحطيم الحياة السياسية اليهودية سابقا... إننا لا نحتاج الا لقطعة أرض تكون ملكاً لنا ولا يستطيع أي سيد أجنبي أن يطردنا منها".

ولكن ومع قرب نهاية حياته، إقتنع بنسكر بأن فلسطين هي المكان الأنسب لإقامة الوطن القومي اليهودي!

جمعية "أحباء صهيون" و"رابطة الإستيطان اليهودي"

في الفترة ما بين 1880-1890م، برزت الى حيّز الوجود مجموعتان يهوديتان تعملان من أجل انتقال اليهود من أوروبا الشرقية الى أرض يمكن لليهود أن يُقيموا

عليها وطناً لهم، وذلك عقب حوادث الإعتداء (البوغروم) المتكررة على الجاليات اليهودية في روسيا.

أسمت إحدى هاتين المجموعتين نفسها والتي بدأت جذور نشاطها في روسيا بـ "أحباء صهيون". فعملت على محاولة إقتناء الأراضي في فلسطين على أساس كونها مُؤمنة بأن الوطن اليهودي لا يمكن إلا أن يُقام في "أرض الميعاد".

أما المجموعة الأخرى، فكانت تدعى "رابطة الإستيطان اليهودي". وقد أسسها المليونير اليهودي البارون مورتيز دي هيرش (Baron De Hirsch) برأسمال مقداره 2 مليون جنيه استرليني. وكان هدف هذه الرابطة المُعلن هو نقل اليهود من أوروبا الشرقية بعيدا عن الارهاب المسيحي - ولكن ليس الى فلسطين وإنما الى الأرجنتين في أمريكا الجنوبية! وقد قام البارون دي هيرش بشراء مساحات شاسعة من الأرض في الأرجنتين وبدأ بعملية نقل مجموعات يهودية الى هناك للعمل في الزراعة واستصلاح الأراضي.

وكان البارون قد قام بدراسة الوضع في فلسطين، واستقر على الرأي بأنها غير مناسبة لليهود من الناحية الإقتصادية أو السياسية. وقد رفض أن يُساعد جمعية أحباء صهيون لأنه اعتقد بأن العلاقة الروحية بين اليهود وفلسطين لا تكفي وحدها لاعادة اقامة وطن لهم من جديد في أرض الميعاد.

وبعد عام من المحاولات الفاشلة لاستصلاح أراضي الأرجنتين من قبل مجموعات اليهود الأوروبيين التي لم تعمل في فلاحة الارض قط، أيقن البارون بأن هذه البلاد أيضاً غير مناسبة، وذلك بسبب ما أسماه "عدم صلاحية العنصر البشري"، بالاضافة الى "نوعية الأرض وسوء الإدارة".

"أحباء صهيون" والفلسطينيون

استمر "أحباء صهيون" في توجههم العقائدي للاستيطان في فلسطين معتمدين على مبدأ العمل من أجل العودة الى "أرض الميعاد" منذ عام 1880، اي قبل اعتناق هرتزل الفكر الصهيوني بخمسة عشر عاما! وقد كانت أكبر مشكلة تواجههم آنذاك هي وجود سكان عرب في فلسطين!

في محاولة لتجاوز هذه " الحقيقة المؤلمة" -كما أسماها منظرو "أحباء صهيون"- وتشجيع يهود أوروبا للهجرة الى فلسطين، كتب زيف ليفوتين (Levotin) - وهو أحد مؤسسي مستوطنة " ريشون لي زيون" (Rishon Le Zion) في فلسطين - يصف العرب في العام 1882 بأنهم: "شعب هادئ، خانع، ويحترم الأوروبي... إضافة فإذا كان بإمكان الألمان أن يصبحوا أسياد بولندة عن طريق احتلال أحسن الأراضي، فلماذا لا يستطيع أبناء اسرائيل، هذا الشعب المنطقي والحكيم، أن يشتروا الحقول والبساتين في فلسطين وامتلاك ذلك البلد؟"

وفي العام 1885م، كتب منشّه مايروفيتش (Meyerovitch)، وهو أحد المستوطنين اليهود الأوائل الذين حضروا من روسيا لاستيطان فلسطين مع " أحباء صهيون"، يصف أولئك المستوطنين الأوائل قائلا بأنه: " لا شيء أخافهم، لا شيء أوقفهم... لا كون الأرض غير مستصلحة، ولا وحشية العرب - الذين بدوا متوحشين للذين قدموا في البداية - ولا حتى عدم معرفتهم بالعادات والتقاليد السائدة"!

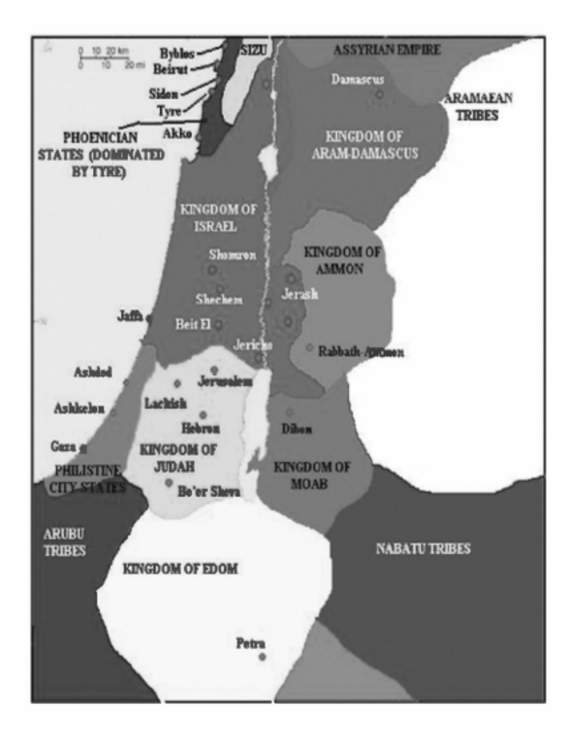
ظلت الأمور تسير ببطء بالنسبة للحركة الصهيونية الممثلة "بأحباء صهيون" خلال الأعوام 1885-1895م، الى حين ظهور نجم صهيوني جديد على الساحة اليهودية في فيينا عاصمة النمسا هو ثيودور هرتزل (Hertzl) الذي وصفه هوارد ساكار (Sachar) أحد الأدباء اليهود بأنه: "يملك كل المقومات التي يجب أن يمتلكها القائد... فجسمه كان مصبوباً في قوالب الأبطال، وجهه كوجه الأنبياء، مشيته أرستقراطية وأخلاقه كانت تسرّ أتباعه وتؤثر إيجابيا على أعدائه..."

أما بيني موريس (Morris) وهو كاتب يهودي آخر فقد كتب قائلا: "إن هرتزل كان يشرب من ينبوع حب النفس (النرجسية)، وعندما فقد الحب الشخصي، قام بتعويضه بحب الظهور أمام الناس... إن حب الشهرة والمجد كان ظاهراً لديه وكان بحاجة عاجلة لهذا الحب".

في العام 1895، أي قبل عام واحد من تبنّيه لفكرة الصهيونية، وبعد أن فشل في أن يصبح كاتباً مرموقاً كتب هرتزل لأحد أصدقائه قائلا: "أنا بحاجة ماسة الى

صداقة جيدة. إنني أفكّر جدّياً بنشر إعلان يقول: رجل في مقتبل العمر، يبحث عن صديق يستطيع أن يُطلعه على أسراره بدون خوف من كل ما يمثّله ذلك من ضعف وسخافة.... أنا لا أجد صديق جيد بين كل معارفي. فأحدهم غبي جداً، والآخر متآمر جداً، والثالث يقوم بتقليدي في كل ما أقوم به...

ومع ذلك، وفي العام 1897 أي بعد سنتين فقط من اعترافه بعدم وجود صديق واحد له، أصبح هرتزل قائد الحركة الصهيونية بلا منازع وحتى وفاته عام 1904!



خريطة تبين الممالك القديمة في شرق البحر الابيض المتوسط حوالي العام 1000 ق.م. بما فيها مملكتي اسرائيل (721-922 ق.م.) ويهودا (586-922 ق.م.) وذلك حتى تدميرهما من قبل الغزاة البابليين، وكما يُلاحظ أن معظم الساحل الفلسطيني وصحراء النقب لم يكونا جزءا من من هاتين الدولتين!

العهدة بسم الله الرحمن الرحيم العمرية

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان
أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها
وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها
ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على
دينهم، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.
وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن
يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى
يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من
الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي
بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى
يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم
قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم ومن شاء
رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.
وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة
المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك

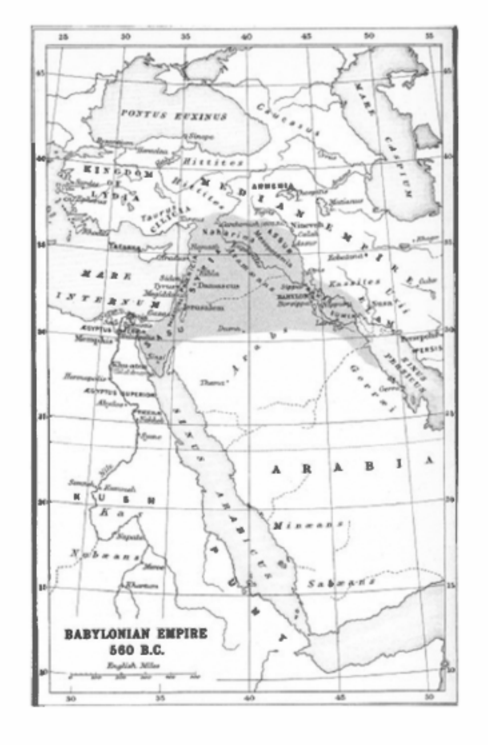
خالد بن الوليد — عمرو بن العاص
عبد الرحمن بن عوف — ومعاوية بن أبي سفيان

وكتب وحضر سنة خمس عشرة

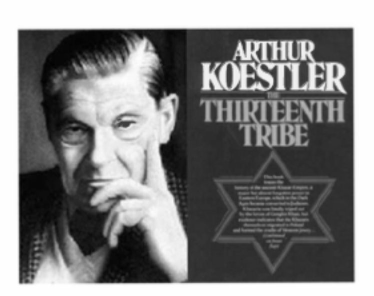
العهدة العمرية التي أعطاها الخليفة عمر بن الخطاب لبطريرك القدس (ايلياء) صفرونيوس لحماية حقوق المسيحيين الدينية والمدنية في المدينة عام 638م بما في ذلك الا "يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود"، وشهد على ذلك التعهد خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان



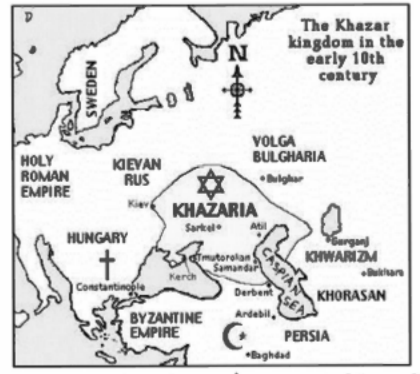
نابوليون بونابارت الأمبراطور الفرنسي الذي احتل أجزاء من فلسطين عام 1799 وأراد اقامة دولة لليهود تحت حماية فرنسا ولكنه هُزم ورحل بعد خمسة أشهر!



الامبراطورية البابلية كما امتدت بعد احتلال كامل الهلال الخصيب وتدمير مملكة يهودا حوالي العام 560 ق.م.



ارثر كوستلر (1905-1983) مؤلف كتاب "القبيلة الثالثة عشر" التي يُثبت فيها ان اصل اليهود الغربيين "الأشكناز" هو من القوقاز وليس من فلسطين!



خريطة تبين مملكة الخزر بين البحر الأسود وبحر قزوين التي تهودت في القرن الثاني عشر، التي كانت تقع بين روسيا المسيحية وتركيا المسلمة، حسب دراسة الكاتب الصهيوني ارثر كوستلر، والتي انتقل معظم سكانها إلى أوروبا الشرقية في القرن الخامس عشر وما بعد!



الحاخام ساباتي زليفي (1626-1676) الذي ادعى في العام 1665 انه المسيح المنتظر وطلب من اليهود في أوروبا الهجرة معه الى فلسطين ولكنهم اكتشفوا زيفه قبل شد الرحال بأيام!



الحاخام هيرش كاليشر البولندي (1795-1874) الذي افتى في العام 1862 بأن إنتظار المسيح لا يجب ان يكون على حساب التوجه الى "أرض الميعاد" واقامة دولة يهودية!



موسى هس (1812-1875) الذي كان شيوعياً ومؤيداً كبيراً لكارل ماركس حتى العام 1848 حين اعتبر ان الصراع العرقي أهم من الصراع الطبقي وأصبح يُعرف بنبي الصهيونية بعد نشر كتابه "روما والقدس"



ليو بنسكر(1821-1891) الطبيب اليهودي الذي شبّه معاداة السامية بمرض نفسي يتم توارثه من قبل غير اليهود ولا يمكن علاجه الا باقامة دولة خاصة باليهود



البارون دي هيرش (1831-1896) الذي أسس جمعية لنقل اليهود الى الارجنتين للعمل بالزراعة عام 1880 ولكن المشروع باء بالفشل الذريع لعدم "صلاحية العنصر البشري" حسب رأي البارون!



صورة ليهود سفارد (شرقيين) في فلسطين في العام 1895 قبيل نشأة الحركة الصهيونية وكانوا يمثلون آنذاك حوالي 5% من مجموع السكان

الفصل الثالث

ثيودور هرتزل : الأب المؤسس للدبلوماسية الصهيونية

ليس هناك من شك بأن ثيودور هرتزل (Herzl) يمثّل أحد أهم القيادات الصهيونية الحديثة على الإطلاق. فهو الذي حوّل الصهيونية من فكرة هُلامية نظرية غير قابلة للتطبيق، الى برنامج عمل دولي الأبعاد وممكن التحقيق. وقد تعّمد بن غوريون وهو يعلن عن اقامة دولة اسرائيل في 14 مايو عام 1948، أن تكون خلفه صورة كبيرة لهرتزل الذي أعتبر الأب المؤسس للدولة المنشودة.

إلا أن تحليلا موضوعيا لتصرفات هذا الأب المؤسس يؤدي الى الاستنتاج بأن تلك التصرفات تعكس غرابة في الأطوار على أقل تقدير. الأمر الذي يجعل دراسة شخصية هرتزل أمراً محيّراً ومثيراً للجدل في الوقت ذاته. فقد انعكست غرابة الاطوار تلك على شخصية هرتزل السياسية وتفكيره وآرائه المتغيّرة المتبدّلة دوماً وأبداً قبل وبعد اعتناقه للصهيونية. بل أدّت في النهاية الى تمرّد عدد كبير من أعضاء الحركة الصهيونية على خطه ونهجه ولم ينقذ وحدة الحركة في النهاية الا وفاته!

ومثال على هذا الموقف المتغير في شخص هرتزل هو ذاك المتعلق بالمبدأ الاساسي للحركة الصهيونية بحد ذاتها. ففي العام 1894. كتب هرتزل قائلا: "إنه لمن الطفولية بمكان، أن نبحث عن الوطن الجغرافي لليهود"! ولكنه في العام 1896، أي بعد حوالي عامين، غيّر رأيه تماماً فكتب يقول بأن "الدولة اليهودية هي حاجة دولية"!

النشأة والطفولة والحلم بالنبوة

وُلد هرتزل في مدينة بودابست بهنغاريا عام 1860 وتعلم العبرية وتاريخ اليهود عن طريق المدرسة اليهودية التي تلقى دراسته الابتدائية فيها بالاضافة الى أحد المدرّسين الخصوصيين.

وقد ادّعى الشاب ثيودور بأنه عندما شارف على الثالثة عشر من العمر. شاهد حلماً في المنام، مفاده أن المسيح المنتظر حمله لملاقاة النبي موسى، فأبلغه الأخير بأنه الولد الذي صلّى طويلا من أجل قدومه!

وخلال اللقاء بالنبي موسى، قال المسيح المنتظر موجّهاً كلامه لهرتزل: "إخبرْ اليهود بأنني قادم قريباً وسأقوم بعمل مُعجزات وأفعال كبيرة لشعبي والعالم أجمع"!.

هرتزل الشاب في فيينا: النرجسية في التأليف والواقعية في الصحافة

أنهى هرتزل دراسته الجامعية في المحاماة في فيينا عام 1879، ولكنه قرر بعد فترة قصيرة جداً ترك مهنة المحاماة وتكريس وقته للكتابة وبنفس الوقت العمل كمحرر في صحيفة نمساوية تُدعى "دي فلت" (Die Welt) أي "العالم". فقد كان هناك هاجس واحد يحكم حياته وأحلامه وهو أن يصبح مهماً بأية طريقة ومهما كان الثمن، وبخاصة من أجل لفت أنظار الفتيات العديدات اللواتي أحب. فعندما كان في الثانية والعشرين من العمر وقع في غرام إحدى قريباته فكتب يقول في مذكراته: " لو كنت مهماً لكان بإمكاني أن أطلب الزواج منها ". وعندما وقع في حب فتاة تدعى "ماغدا" وكانت في الثالثة عشر من العمر بينما كان هو في السادسة والعشرين، ولكنها تجاهلت ملاحقته لها باستمرار، كتب يقول: " أحتاج الى نجاح خارجي، حتى أستطيع أن ابني عُشاً لهذا الطير الذهبي". وفي إحدى خطاباته غريبة الأطوار، كتب هرتزل الى أحد أصدقائه الشبان يتبجح فيه بحجم عضوه التناسلي وانتصابه المستمر والذي أسماه في الرسالة "بالفارس الشاب"!

مما لا شك فيه أن حب الذات (النرجسية) كانت إحدى أهم صفات هرتزل الشاب الذي إدّعى أنه قابل المسيح المنتظر وموسى وهو في الثالثة عشر ومن ثم أخذ يبحث عن دور يقوم به ليصبح من خلاله انساناً مهمّاً.

بين الأعوام 1886 و1892، كتب هرتزل عدة مؤلفات: دراما وكوميديا وقصص أخرى، إلا أن هذه الكتب لم تحقق أي نجاح يُذكر لدى النقاد أو القراء على حد سواء. وحتى العام 1894، كان يمكن للدارس لشخصية هرتزل في تلك الفترة أن يعتبره معادٍ للفكر الصهيوني. ففي مراجعته لأحد الكتب الروائية التي تتحدث عن عودة اليهود الى أرض الميعاد، يقول هرتزل: "إن اليهود لن يستفيدوا من إستعادة وطنهم التاريخي. إنه لمن الطفولية بمكان أن نبحث عن وطن جغرافي لليهود ... وإن حصل وتحققت عودة اليهود الى وطن مشترك، فإنهم سيكتشفون في اليوم التالي بأنهم لا يمتّون بصلة الى بعضهم البعض... لقد أقاموا لقرون عدة في أوطان جديدة مختلفة، لا يجمعهم فيها سوى الضغط الخارجي الموجه ضدهم في كل مكان".

وفي العام 1895، وبعد أن فشلت آخر رواياته المسماة بـ "الغيتو الجديد" في تحقيق أي نجاح يُذكر- وكان قد اعتقد بأنها ستتجح نجاحاً هائلاً - أصيب هرتزل بخيبة أمل وإحباط شديد فكتب لأحد أصدقائه عبارته الشهيرة قائلاً:

"إنني أحتاج لصداقة جديدة... أنا على أبواب نشر إعلان يقول: رجل في مقتبل العمر بحاجة الى صديق يستطيع أن يطلعه على أسراره بدون شعور بالخوف أو السخافة. إنني لا أجد أحدا كهذا بين كل معارفي. فأحدهم غبي والآخر متآمر والثالث يقلّدني في كل ما أفعل".

وقد قاد الفشل الذريع الذي مُني به هرتزل ككاتب الى أن ينتقل الى باريس ويعمل كمراسل لمجلة نمساوية هي نيو فري برس (Neue Freie Presse).

هرتزل في مواجهة اتهام درايفوس واللاسامية في فرنسا

في العام 1894، اعتقلت السلطات الفرنسية ضابطا في الجيش الفرنسي من أصل يهودي يُدعى ألفرد درايفوس (Dreyfus)، بتهمة التجسس لصالح ألمانيا. وبعد إدانته وأرساله الى السجن وقضائه خمسة سنوات من أصل حكم بالسجن المؤبد، تم اثبات براءته وأُطلق سراحه في العام 1899 وفي خضم ارتفاع أصوات يهودية تتهم النظام الفرنسي بالعنصرية واللاسامية.

في العام 1896، وبينما كان هرتزل في باريس وكان درايفوس ما يزال في السجن، بلغ الحقد والكره لليهود من قبل الفرنسيين أوجّه، وبخاصة بين أوساط الصحافيين الذين كان هرتزل يعمل في خضمّهم.

وفي العام نفسه، نشر هرتزل أهم كتيّباته على الاطلاق، بعنوان "الدولة اليهودية" (Der Judenstaat). بدّل خلاله ما حمله من مفاهيم سابقة بخصوص عدم الحاجة الى وطن جغرافي لليهود، وأضحى داعياً مرّاً لإقامة هذا الوطن! بل أصبح متأثرا باللاسامية الى أبعد الحدود، حتى في تعريفه لليهود حيث وصفهم بأنهم " مجموعة تاريخية من البشر يشدّهم الى بعضهم البعض العدو المشترك... ألا وهو اللاسامية".

هرتزل والتلاقي مع المسيحية الصهيونية

إعتقد هرتزل اعتقادا راسخا بأن إيجاد وطن لليهود يمكن أن يصبح مطلباً عالمياً وذلك ليس بسبب حب أو قناعة من قبل الأوروبيين المسيحيين لليهود ولكن من أجل التخلّص من وجودهم في البلدان الأوروبية المختلفة. وبالتالي فان نقلهم بعيداً عن اللاسامية المتأججة في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر هو طريق الخلاص الوحيد لهم.

ولهذا، فقد قرر هرتزل التحرك باتجاه محاولة اقناع الدول العظمى والقوى الكبرى بأهمية دعم الحركة الصهيونية واقامة الدولة اليهودية. وقد اختار التحرّك أولا باتجاه الأتراك الذين كانوا يحكمون فلسطين، ثم الألمان بصفتهم حلفاء الأتراك، والبريطانيين بصفتهم يحكمون بلادا ملاصقة لفلسطين ولهم طموحات في احتلال أجزاء من الإمبراطورية العثمانية، والروس الذين كانوا في حرب مع الأتراك، والفاتيكان الذي كان يسيطر على غالبية الرأي العام المسيحي الكاثوليكي، والنمساويين الذين كان لهم بعض التأثير في أوروبا.

ولهذا الغرض، فقد جنّد هرتزل شخصيتين مسيحيتين للعمل معه كمديرين لعلاقاته العامة، وهما الكونت فيليب نيولنسكي (Newlinsky) والقس وليام هكلر (Hechler).

كان نيولنسكي بولندي كاثوليكي من سلالة نبيلة عريقة. جار عليه الزمن فكثُرت ديونه وانعدمت مصادر دخله. وقد استأجر هرتزل خدماته لأنه كان "يملك المعرفة في الأساليب الدبلوماسية ويعرف الكثير من المهمّين في العاصمة العثمانية".

وأما هكلر، فهو ألماني الأصل بروتستانتي وُلد في أفريقيا الجنوبية، وكان يعمل مدرّساً في بيت دوق بادن (Duke of Baden) ويعرف الأمبراطور الألماني وليام الثاني معرفة شخصية. وفي العام 1882، أي قبل أكثر من 14 عاماً من إلتقائه بهرتزل، جمع هكلر بعض الشخصيات المسيحية لمناقشة ما أسماه بالمشكلة اليهودية التي تواجه اوروبا الغربية آنذاك من جراء ازدياد الهجرة اليهودية اليها. وفي العام نفسه، قام هكلر بزيارة فلسطين لدراسة أوضاع اليهود هناك وإمكانية استيطانهم فيها.

وفي العام 1894، قبل نحو عامين من اصدار هرتزل لكتيّبه المثير للجدل بعنوان "الدولة اليهودية"، نشر هكلر كتيّباً بعنوان "إعادة اليهود الى فلسطين". وفي هذه الوثيقة، إدعّى هكلر بوجود نبوءة من أيام الخليفة عمر بن الخطاب، تؤكد عودة اليهود لحكم فلسطين بعد (1260) عاماً من تاريخ النبوءة. وعلى اثر ذلك سياتي المسيح للمرة الثانية لتنصير كلّ اليهود هناك دفعة واحدة. وبحسب حسابات هكلر، فان تلك المعجزة ستتم بين الأعوام 97-1898م. ويقول هكلر بأنه ما أن قرأ كتيب هرتزل "الدولة اليهودية"، إلا وأسرع للبحث عنه عارضاً عليه خدماته من أجل تحقيق النبوءة.

ولم تكن هاتان الشخصيتان المسيحيتان هما الوحيدتين اللتين أيّدتا هرتزل ودعمتاه، فهناك الكثيرون من هؤلاء "المسيحيون الصهيونيون" أمثال الأب أغناشيوس (Ignatius) الذي نعت هرتزل "بيهوشع الجديد"، ووليم بلاكستون (Blackstone) الذي كان أول من صاغ عبارة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، وفرانك جاناواي (Jannaway) الذي ادّعى بأن "يسوع المسيح لن يأتي مرة أخرى قبل أن يكون هناك وجود واضح لليهود في فلسطين"!

كذلك كتب القس الأسكتلندي روبرت مكشين (McCheync) الذي ذهب الى فلسطين في مهمة تقتضي بتحويل اليهود هناك الى نصارى، في رسالة لأحد أصدقائه في اسكتلنده قائلا : "إن ضربة واحدة هنا (أي تنصير يهودي في فلسطين) تساوي عشرين في بلد آخر"!

أما الدكتور ليفنفستون (Livingstone) وهو طبيب ومبشر بريطاني أقام في فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر، فقد اعتبر أن الحركة الصهيونية مفيدة من وجهة النظر المسيحية. " فبعد أن يتم بناء الوطن اليهودي، فإن الحب سوف يهديهم الى المسيح..."

وبالإضافة الى هذه الأسباب الدينية التي دفعت عدد من المتزمّتين المسيحيين الى تأييد الحركة الصهيونية، كانت هناك أسباب دنيوية أهمها تحويل مجرى ذلك السيل من اللاجئين البؤساء من اليهود القادمين من أوروبا الشرقية بإتجاه فلسطين بدلاً من بلدان أوروبا الغربية.

تحرّك هرتزل باتجاه الدولة العثمانية

في أواخر القرن التاسع عشر، كانت الإمبراطورية العثمانية تعاني من ضائقة مالية شديدة وديون كبيرة للقوى الأجنبية والبنوك الخارجية. وقد بلغ هذا الدين في العام 1881 أكثر من 106 مليون جنيه استرليني، وهو رقم يعادل مئات مليارات الدولارات في يومنا هذا، وكان هذا الرقم ما زال مستمراً في التزايد نظراً لتراكم الفوائد.

وفي يونيو 1896، تحرك هرتزل ومستشاره الكونت نيولنسكي الى القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية، وهناك، وبالرغم من عدم نجاحه في ترتيب لقاء مع الباب العالي السلطان عبدالحميد الثاني، الاّ أن الكونت استطاع أن يرتّب لهرتزل سلسلة من اللقاءات مع إبن الوزير الأكبر (رئيس الوزراء) وسكرتيره العام، ومن ثمّ مع الوزير الأكبر بنفسه، خليل رفعت باشا.

وقد قدم هرتزل لمستمعيه من الأتراك نظرية بسيطة تتلخص بما يلي:

"أن تركيا تعاني من الديون الكبيرة، الأمر الذي سيؤدي الى تدخل القوى الأجنبية في شؤون الدولة العثمانية... واليهود، وفقط اليهود، هم القادرون على المساعدة، فإذا ما تم منحهم فلسطين كدولة مستقلة لهم، فهم سيتعهدون بحل الأزمة المالية التركية".

ولكن هذه المعادلة التي بدت بسيطة وممكنة لم تجد آذانا صاغية في صفوف المتنفذين الأتراك، ومع أن الباب العالي رفض حتى مقابلة هرتزل، الا أن نيولنسكي استطاع أن يحصل له على وسام شرف من السلطان كنوع من الترضية.

واتجه هرتزل من تركيا الى بلغاريا، وهناك أعّد نيولنسكي له لقاء مع ولي العهد الأمير فيرديناند (Ferdinand) الذي أصبح ملكا فيما بعد. وقد عبّر الأمير عن تعاطفه مع المشروع الصهيوني معتبره "مشروعا عظيما". ولكن كلامه كان بدون مضمون فعلي أو أهمية حقيقية لأنه لم يكن لبلغاريا آنذاك أي تأثير في السياسة العالمية وبخاصة في الشرق الأوسط.

محاولة استخدام القضية الأرمنية لصالح اقامة الدولة اليهودية

بعد زيارته لبلغاريا في 1896، أيقن هرتزل بأن الأتراك وحدهم يملكون مفاتيح فلسطين. وبالتالي، وبناء على نصيحة نيولنسكي، بدأ ثيودور بمحاولة جديدة لكسب رضا السلطان وحاشيته عن طريق التدخّل لحل الأزمة المتفاقمة مع الأرمن لصالح الحكم العثماني، فقام أولاً بالاتصال بعدد من المحرّرين اليهود للتخفيف من النقد للسلطان في الصحافة الأوروبية وبدأ بمقابلة عدد من القيادات الأرمنية في أوروبا محاولا اقناعهم بوقف العصيان ضد السلطان والخضوع له مقابل وعد بفتح باب التفاوض عن طريقه! وقد أبلغ هرتزل صديقه المفكر ماكس نورداو (Nordau) الذي كان مقيماً في باريس آنذاك، بخطته السرية بخصوص أرمينيا في مايو 1896 في رسالة جاء فيها:

" اذا ساعدناه [السلطان] في هذه المسألة [الأرمنية] فسيكون ممتناً. انها مسألة بقاء بالنسبة له. ومن أجل أن نبقى مُمسكين بزمام الأمور، يجب أن نحصل من الشعب الأرمني على وقف لاطلاق النار، ولكن ليس اتفاق سلام فوري. وخلال وقف اطلاق النار سنتفاوض مع السلطان...

" بالاضافة فعلينا أن نحاول التأثير على الصحف، وبخاصة الانجليزية والفرنسية. يجب أن نُهيئ الرأي العام للاستسلام الأرمني وبعد ذلك نبرز كرم السلطان وتسامحه...

"وتحت أي ظرف من الظروف، فلا يجب ان يُصبح معروفاً [للأرمن] أننا نريد استخدامهم من أجل اقامة دولة مستقلة لليهود حتى لا يقوموا هم باستغلال هذه الفرصة لعمل الشيء نفسه... على الأكثر يجب أن يُسمح لهم بأن يعرفوا أننا فقط نرغب بأن يتم رفع الحظر الموضوع على دخولنا الى فلسطين. اذا كان هناك من ضرورة لاعطائهم سبباً لتدخلنا...

" ولكن الحجة الأفضل والأكثر اقناعا [للأرمن] هي كما يلي: هناك حاجة لقرض [للحكومة التركية] لتسديد ثمن الدمار الذي أحدثته أحداث الشغب الأرمنية (سيكون هذا أيضا، كما يمكن افتراضه، أحد المطالب الأرمنية). وان هناك مجموعة من المموليين [اليهود] ترغب في ترتيب القرض، ولكن شريطة أن يُوقّع الأرمن اتفاقية وقف اطلاق النار (حتى شهر أغسطس) وبعد ذلك تُوقع اتفاقية سلام".

ولكن محاولة خداع القيادات الأرمنية للخنوع للسلطان لخدمة الهدف الصهيوني السرّي لم تنجح، فمن جهة، رفض نورداو وبشكل قاطع التعاطي مع الفكرة، ومن جهة ثانية لم يستطع هرتزل اقناع أي من القيادات الأرمنية التي قابلها في فرنسا وبريطانيا خلال صيف 1896 بدور الوساطة الذي كان يبحث عنه، فدُفنت الفكرة!

المؤتمر الأول وأهداف الحركة الصهيونية

بعد عام واحد فقط من تبّنيه التام لفكرة الدولة اليهودية في فلسطين، بدأ هرتزل، يساعده عدد من المناصرين وعلى رأسهم نورداو، بالتحضير ومن ثم عقد المؤتمر الصهيوني الأول في 29 أغسطس 1897 في ملهى (كازينو) في مدينة بازل بسويسرا، حيث حددت الحركة الصهيونية خلاله أهدافها كما يلي:

"إن الحركة الصهيونية ستعمل جاهدة على إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين يحميه القانون العام [الدولي]. وللوصول الى هذه الغاية، فإن المؤتمر يعتبر الوسائل التالية:

1. ترويج الإستيطان في فلسطين للعمال الزراعيين والصناعيين [اليهود].
2. تنظيم اليهود ولمّ شملهم عن طريق المؤسسات المناسبة، المحلية منها والعالمية وحسب قوانين البلدان المختلفة.
3. تقوية الإحساس والشعور الوطني اليهودي.
4. إعداد الخطوات التحضيرية للحصول على موافقة الحكومات من أجل تحقيق هدف الصهيونية."

ومن ثمّ انتخب المؤتمر هرتزل رئيساً للمنظمة الصهيونية التي تم انشاؤها بقرار من المؤتمر.

العودة للتواصل مع الباب العالي والحكومة التركية

بعد انتخابه رسمياً رئيساً للمنظمة الصهيونية، قرر هرتزل أن يتواصل مع القيادات التركية بشكل مستمر كونهم يملكون المفتاح الأساسي لفلسطين. ولتسهيل عملية التواصل، وافق على استعمال أداة نصحه نيولنسكي مسبقاً باستخدامها مع كبار الموظفين الأتراك، ألا وهي الرشوة.

وبعد رشوة نوري بك، السكرتير العام لوزارة الخارجية التركية، تم ترتيب لقاء بين هرتزل والسلطان عبد الحميد الثاني بعد خمس سنوات من المحاولة الأولى، في مايو 1901. ولكن الباب العالي استقبله على أساس أنه مراسل لصحيفة نمساوية وليس على أساس كونه زعيما للحركة الصهيونية.

وفي بداية اللقاء، لم يتطرق هرتزل الى الصهيونية أو فلسطين. بل أبلغ السلطان عن إمتنانه له لأنه يعامل اليهود معاملة حسنة للغاية. ومن ثم تطرّق الى موضوع الدُيون التركية التي أسماها بـ "الشوكة في ظهر الأسد". فأبلغ السلطان بأنه ربما يتمكن من المساعدة على حلها.

وعندما سأله السلطان عن الطريقة، أبلغه هرتزل بأنه اذا ما منح السلطان اليهود حق الإقامة والعمل في إحدى مناطق الإمبراطورية، فإنهم سيستطيعون المساعدة في سداد ديون الدولة. فأنهى السلطان المقابلة قائلاً بأن هناك أراضٍ غنية وشاسعة في الإمبراطورية، فهناك البترول في العراق والحدائق الخضراء في الأناضول، ولكن أحداً لم يذكر فلسطين بالتحديد خلال المقابلة: لا هرتزل ولا السلطان.

وفي شباط 1902، عاد هرتزل مرة أخرى الى القسطنطينية والتقى مع عزت بك مستشار السلطان لمناقشة ديون تركيا مرة أخرى، وأبلغه بأنه يجب:

" أن يكون هناك صلة بين الإستيطان اليهودي وبين ايجاد قرض للحكومة التركية... إن هذه الصلة يمكن أن تكون عن طريق إعطاء ترخيص لشركة استيطانية كبيرة..."

فتساءل عزت بك عما رمى اليه هرتزل، فأجاب "تصريح لصالح اليهود يعطيهم الحق في الهجرة الى فلسطين بدون قيود"!

وعندما أبلغ عزت بك السلطان عبد الحميد عما دار بينه وبين هرتزل، طلب الباب العالي منه ابلاغ الأخير بأنه على استعداد لمنح اليهود أراض للإستيطان في آسيا الصغرى مثلا، ولكن فلسطين بالذات ستكون دوما وأبدا خارج أية اتفاقية!

هرتزل والحكومة الألمانية

في محاولة للوصول الى قلب الشعب الألماني الذي كان في غالبيته معاديا لليهود، استعمل هرتزل مدير علاقاته الثاني، القس هكلر، والذي تحرك بادئ ذي بدء - في العام 1896 - باتجاه دوق بادن البالغ من العمر 71 عاما، مصطحبا معه هرتزل في مقابلة زادت عن الساعة والنصف. وقد قام هكلر خلال الإجتماع بجعل الدوق الكهل يبكي على ابنه المتوفي الأمير لودويغ (Ludwig) ثم طيب خاطره بقراءة قصيدة دينية تحكي عن استعادة اليهود لجبل صهيون.

وفي العام 1898، طلب هرتزل من هكلر أن يُهيء له مقابلة مع القيصر الألماني ويلهم الثاني (Wilhem II)، ووعده بأنه اذا ما حقق له ذلك فسوف يغطّي كافة نفقات رحلته الى فلسطين، وذلك عندما يزور القيصر فلسطين لاحقا في العام نفسه. ولكن هكلر فشل في ذلك، إلا أنه استطاع اعداد مقابلة لهرتزل مع الأمير كارل هونلوي (Hohenlohe) المستشار الألماني، وبحضور فون بيولو (Von Bulow) وزير الخارجية. ودار بينهما الحديث التالي:

هونلوي: هل تعتقد بأن اليهود سيتركون البورصة المالية ويتبعونك؟

هرتزل: يا صاحب السمو، لن يتبعني اليهود الأغنياء والمقيمين في غرب برلين، ولكن يهود شمال وشرق برلين - الفقراء منهم - سيأتون معي.

هونلوي: وأي أراض تريد ... الى بيروت شمالا أو أكثر من ذلك؟

هرتزل: نحن نطلب ما نحتاج اليه. كلما زاد عدد المهاجرين زاد حجم الأرض التي نحتاج. بالطبع سنقوم بشراء الأرض من أصحابها.

هونلوهي: ومن هم هؤلاء؟

هرتزل : عرب، يونان، وقوم مختلطون من المشرق!

وفي العام نفسه، استطاع هرتزل مقابلة القيصر الألماني للمرة الاولى. فخاطب الأخير هرتزل قائلا :

إن هناك من شعبك أناسٌ سيكون من المستحسن نقلهم الى فلسطين. أنا أتحدث عن هؤلاء مثلاً المقيمين في مقاطعة هس (Hesse) المليئة بالمرابين الذين

يعملون بنشاط على الفلاحين هناك. لو أخذ هؤلاء رأسمالهم الى المستعمرات سيكون ذلك مفيدا أكثر".

ثم تحدث فون بيولو وزير الخارجية الذي كان حاضرا فقال بأن اليهود لم يقدّروا المعروف من قبل القيصر وعائلته، بل إنهم انضموا الى الحزب الثوري (الشيوعي)، فكان ردّ هرتزل بأن الصهيونية ستصفّي الأحزاب الثورية عند اليهود.

وبعد ستة أشهر، تقابل هرتزل مع القيصر الألماني مرة أخرى في فلسطين، فخطب الأول أمام الثاني قائلاً:

" إن هذه أرض آبائنا، وهي أرض صالحة للإستيطان والزراعة... إنها تصرخ طالبة الرجال من أجل أن يأتوا ويقوموا ببنائها. ورجالنا المشردون بنفس الوقت يصرخون من أجل أرض يبنوها... إن صرختي الأرض والرجال يمكن أن تتلاقى".

ورد القيصر قائلاً: " هناك متسع للجميع... أوجدوا المياه والظلال... أما بالنسبة للسكان الأصليين، فإن الإستيطان سيعطيهم مثلا على المبادرة". فأجاب هرتزل: " نحن نستطيع ايجاد المياه... إن هذا سيكلّف الملايين ولكن بنفس الوقت سوف يُدرّ الملايين". فرد القيصر بقوله: "أنتم تملكون ما يكفي من المال، أكثر منا جميعا!" وانتهت المقابلة بعد ذلك مباشرة.

وفي العام 1899، استطاع هكلر أن يرتّب مقابلة لهرتزل مع الدوق الأكبر لمقاطعة هس (Hesse)، والذي كانت أخته متزوجة من قيصر روسيا. وقد طلب هرتزل منه أن يحاول إقناع زوج أخته بالإهتمام بفكرة الصهيونية ودعم استيطان اليهود في فلسطين.

هرتزل في روسيا وايطاليا والفاتيكان

في العام 1903، استطاع هرتزل أن يقابل فون بليفي (Von Plehve) الوزير الروسي المعروف بمعاداته الشديدة لليهود. وقد أبلغه بليفي بأن الحكومة الروسية مهتمة بهجرة اليهود من روسيا، ولهذا السبب فإن الحكومة تؤيد الحركة الصهيونية طالما هي حركة تهجير لليهود من روسيا.

وطلب هرتزل من الوزير إعطاءه رسالة بهذا المضمون للمؤتمر الصهيوني يوضح من خلالها للحركة الصهيونية أنها تستطيع الإعتماد على التأييد المادي والمعنوي من الحكومة الروسية!

وفي يناير 1904 ، قابل هرتزل الملك الإيطالي فيكتور ايمانيول الثالث (Emanuel III)، الذي أبدى اهتماما كبيرا بالحركة الصهيونية وبقائدها. ولكن الفاتيكان، وكما كان متوقعا، لم يُولِ الحركة الصهيونية أي تعاطف على الاطلاق. وفي الشهر نفسه، قابل هرتزل البابا بيوس العاشر (Pope Pius X) ودار بينهما الحديث التالي:

البابا : القدس مقدّسة لعلاقتها بحياة المسيح، ونحن لا نسمح ولا نحتمل أن يستقر اليهود هناك. إن اليهود لا يعترفون بمخلصنا ونحن لا نعترف باليهود.

هرتزل: وهل من الأفضل أن تظل الأماكن المقدسة بأيدي الأتراك؟

البابا: علينا أن نقبل بذلك، وأن نصل الى حل معهم بهذا الخصوص... ولكننا لن نقبل بالحركة اليهودية!

هرتزل: إن هذه الحركة جاءت بسبب الحاجة، ونحن نريد أن نبتعد عن المشاكل الدينية.

البابا: فليكن، ولكننا لن نستطيع عمل شيء مغاير ما دام اليهود ينكرون وجود مسيحنا، وينتظرون مسيحهم الذي جاء فعلا لنا. كان يجب أن يكون اليهود أوائل الناس الذين اعترفوا به ولكنهم ينكرون مجيئه حتى اليوم.

هرتزل: ربما الإضطهاد ليس الاسلوب الوحيد لكسب اليهود.

البابا: لقد جاء المسيح بدون أية قوة. لقد كان فقيراً... كان مسالماً... لم يضطهد أحداً، ولكنه عُذّب وأُضطهد وكذلك الحال بالنسبة لتابعيه. لقد قامت الكنيسة بعد ذلك بكثير، بأكثر من ثلاثمائة عام، وكان هناك وقت كاف لليهود للإعتراف به بدون أية قوة أو ضغط خارجي، ولكنهم لم يفعلوا ذلك.

هرتزل: ولكن يا قداسة البابا، لقد عانى اليهود كثيراً. أنا لا أعرف إن كان قداستكم يعرف ماذا يحدث لليهود وعن وضعهم السيء... إن المضطهدين يريدون أرضاً.

البابا: ولماذا الإصرار على القدس؟ لقد دُمر هيكلكم إلى الأبد. وإلا فهل تريدون أن تعيدوا بناءه حتى تُقدّموا القرابين والتضحيات كما كنتم تفعلون في السابق؟

هرتزل: نحن لا نريد من الأرض سوى الجزء غير المقدس منها.

البابا: نحن لا نوافق... إذا أردتم الذهاب الى فلسطين والإقامة هناك، فسيكون هناك كنائس وقساوسة لتعميدكم جميعاً.

وانتهى اللقاء بدون أي تفاهم.

هرتزل والحكومة البريطانية والعرض الأوغندي

وجّه هرتزل اهتماماً كبيراً للدور البريطاني الممكن في دعم الحركة الصهيونية، وبخاصة بعد فشل مساعيه مع الأتراك. وقد تمّت ترجمة كتابه "الدولة اليهودية" الى اللغة الإنجليزية في نفس السنة الذي قام هرتزل بكتابته بالألمانية، أي عام 1896. وفي النسخة الإنجليزية أضاف هرتزل العبارة التالية:

" إن المشكلة اليهودية موجودة أينما تواجد يهود بأعداد كبيرة. حتى في الأماكن التي لا توجد فيها هذه المشكلة، يقوم اليهود المهاجرين بإحضارها معهم... وهذا هو الواقع حتى في البلدان المتقدمة - فرنسا تُثبت ذلك - اذا لم يكن هناك من حل سياسي للمشكلة اليهودية. إن اليهود الفقراء يحضرون معهم اللاسامية الى بريطانيا. وهم قد أوصلوها الى أمريكا أيضاً".

وفي المؤتمر الصهيوني الرابع الذي عقد في لندن عام 1900، خطب هرتزل قائلا: " من هذا المكان سترتفع الحركة الصهيونية الى أعلى فأعلى... إن انجلترا العظيمة، انجلترا الحرة، انجلترا التي تضع نصب أعينها البحار السبع ستفهمنا..."

وفي عام 1902، عيّنت الحكومة البريطانية لجنة ملكية لدراسة هجرة الفقراء الأجانب الى بريطانيا - وقد كان معظمهم من يهود أوروبا الشرقية. ولهذا الغرض، طلبت اللجنة من هرتزل المثول أمامها والإدلاء برأيه، فلخّص المشاكل الناجمة عن الهجرة اليهودية الى بريطانيا وأوضح أن " الصهيونية هي الحل!"

وفي اليوم التالي، قدم هرتزل لرئيس اللجنة، وبصورة سرية، خطة لتوطين

اليهود إما في سيناء والعريش أو في جزيرة قبرص. حيث أن هاتين المنطقتين كانتا آنذاك تحت الحكم البريطاني المباشر. وفي العام نفسه وبعد شهرين من مثوله أمام اللجنة الملكية، طلب جوزيف شامبرلين (Chamberlain) وزير المستعمرات البريطاني - الذي أصبح رئيسا للوزراء فيما بعد - مقابلة هرتزل. وخلال اللقاء، أبلغ الوزير هرتزل بأنه ليس بالإمكان إعطاء اليهود جزيرة قبرص. فاقترح هرتزل العريش وسيناء قائلاً: "هناك أرض خالية... انجلترا تستطيع أن تعطينا إياها... وبالمقابل فنحن نتعهد بأن نزيد من قوتها وأن نضمن لها عرفان عشرة ملايين يهودي".

وقد وافق الوزير البريطاني على ارسال لجنة لدراسة توطين اليهود في فلسطين أو سيناء وإعداد تقرير بهذا الشأن. ثم عاد فطلب لقاء هرتزل في نيسان 1903 ودار بينهما الحديث التالي:

شامبرلين: التقرير ليس مؤاتيا لما تطلبون.

هرتزل: أعرف، ولكننا سنستطيع عمل شيء ما رغم ذلك.

شامبرلين: خلال تجوالي، وجدت لك بلدا... وقلت لنفسي هذه هي البلد المناسبة للدكتور هرتزل... أوغنده. ولكنه يريد فقط فلسطين ويرفض الإنتقال إلا الى جوارها.

هرتزل: نعم هذا ما يجب أن يكون... يجب أن تكون القاعدة التي ننطلق منها قرب فلسطين... نستطيع أن نستوطن في أوغنده أيضا فيما بعد.

وفي أيار 1903، أعلنت الحكومة المصرية رسمياً رفضها مشروع توطين اليهود في سيناء. فقام شامبرلين بعرض أوغنده على هرتزل مرة أخرى. وفي هذه المرة وفي خطوة غريبة وغير متوقعة وبدون أسباب واضحة، وافق هرتزل على العرض البريطاني باستيطان اليهود قلب القارة الأفريقية!

وما أن حصل شامبرلين على هذه الموافقة، إلا وباشر فوراً باعداد كل الدراسات اللازمة والحصول على الموافقة الرسمية من الحكومة البريطانية. وبالمقابل، قامت المنظمة الصهيونية بتعيين ديفيد لويد جورج (Lloyd-George)، وهو محامي صاعد أصبح فيما بعد رئيسا لوزراء بريطانيا، للقيام بوضع مسوّدة خاصة بالإستيطان في أفريقيا الشرقية.

وفي المؤتمر الصهيوني السادس في أغسطس 1903، وضع هرتزل مشروع قرار يؤيد فيه المؤتمر العرض البريطاني بخصوص أوغنده وإرسال لجنة لدراسة الوضع على الطبيعة. وهنا انقسم المؤتمر على نفسه، وثارت ثائرة الكثيرين ووقعت مشادات كبيرة بين الأعضاء، الذين اعتبر بعضهم هذا القرار خيانة للهدف الصهيوني، وأن الصهيونية تعني إما فلسطين أو لا شيء. وكانت نتيجة التصويت على مشروع القرار 295 مؤيداً، 177 معارضاً و100 ممتنعاً عن التصويت. فانسحب المعارضون، ثم عادوا بعد أن قام هرتزل بمراضاتهم وتهدئة خواطرهم عبر خطبة توفيقية.

بعد ذلك كله، قررت الحكومة البريطانية سحب عرضها بخصوص أوغندة وذلك نتيجة لحملة مؤثرة من قبل اليهود البريطانيين المناهضين للصهيونية الذين اعتبروا أن عرض أوغنده كوطن لليهود هو بمثابة تحريض على طردهم من بريطانيا. بالاضافة، ادّعى هرتزل بأن العرض لم يلب طموحاته حيث أن الأراضي التي تم عرضها في افريقيا الشرقية لم تكن صالحة لإستيطان أعداد كبيرة من اليهود. وبالتالي، فقد حافظت بريطانيا من جهة وهرتزل من جهة أخرى على ماء الوجه، فانسحب الطرفان من المشروع الأوغندي بدون خسارة سياسية كبيرة.

وفي ديسمبر 1903، اعتبر هرتزل بأن العرض البريطاني قد انتهى. ولكن البريطانيين لم ينتهوا، فهم كانوا ما زالوا يرون أهمية الحد من هجرة اليهود الى بريطانيا وتوجيههم الى مكان آخر. وفي يناير 1904، عادت الحكومة البريطانية فجددت عرضها بخصوص أوغنده، وعرضت أرضاً جديدة صالحة للإستيطان الجماعي. ولكن هرتزل قرر أن يؤجل البت في هذه القضية الى المؤتمر الصهيوني السابع.

وفي أبريل 1904، وبعد مقابلة طويلة مع وزير الخارجية النمساوي، أحسّ هرتزل بوعكة صحية شديدة، ظل على أثرها مريضا حتى 3 يوليو من العام نفسه حيث توفي وقد بلغ من العمر 44 عاما.

ومعه دُفن مشروع التوطين اليهـــودي في أوغنده. وفي المؤتمر السابع المنعقد عام 1905، رفض المؤتمر رسمياً العرض البريطاني وأيّد تكثيف الإستيطان في فلسطين.



ثيودور هرتزل الشاب خلال دراسته للمحاماة في فيينا بعد انتقاله من مسقط رأسه بودابست عام 1879 وقد ادعى هرتزل أنه قابل موسى والمسيح المنتظر وهو في سن الثالثة عشر وقد أبلغ موسى المسيح بأن هرتزل هو الشخص الذي كان ينتظره منذ آلاف السنين



غلاف صحيفة "دي فلت" أي "العالم" النمساوية التي كان هرتزل يعمل بها وتظهر عيها نجمة داوود التي أصرّ هرتزل على وضعها في كل عدد!



هرتزل في فيينا عندما كان يعمل كمراسل في صحيفة "دي فلت" النمساوية عام 1893 وبنفس الوقت يؤلف الروايات والمسرحيات وكتب أخرى لم ترى النجاح على الاطلاق!



الضابط الفرنسي اليهودي ألفرد درايفوس الذي سُجن عام 1894 بتهمة التجسس لصالح ألمانيا مثيراً موجة من العداء لليهود في فرنسا ولكن أطلق سراحه عام 1899 بعد تبرائه



DER

JUDENSTAAT.

VERSUCH

MODERNEN LÖSUNG DER JUDENFRAGE

THEODOR HERZL

غلاف كتاب "الدولة اليهودية" الذي نشره هرتزل في العام 1896

مطالباً فية باقامة دولة يهودية في فلسطين لما فيه من مصلحة للعالم اجمع



القس هكلر احد أهم المسيحيين الصهيونيين بالزي العربي عند زيارته فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر (حوالي العام 1882) قبل لقاء هرتزل بسنوات وصاحب النبوءة القديمة بعودة اليهود الى فلسطين ومن ثم عودة المسيح لتعميدهم في حوالي العام 1897-1898



دوق بادن (1856-1907) وقد استقبل هرتزل عام 1897 بترتيب من القس هكلر، احد المنظرين الأوائل للمسيحية الصهيونية وضرورة عودة اليهود الى فلسطين لتحقيق نبوءة من عهد الخليفة عمر بن الخطاب، يتم بعدها عودة المسيح وتعميد اليهود!



المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل في 29 اغسطس 1897 وأُنتخب خلاله هرتزل رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية



ماكس نورداو الذي نظّم المؤتمر الصهيوني الأول في بازل في اغسطس عام 1897 مُعتبراً ان اليهود يعانون من بؤسيين: مادي في دول أوروبا الشرقية واخلاقي-معنوي في دول اوروبا الغربية!



فرديناند الاول (1861-1948) ملك بلغاريا وقد قابله هرتزل عام 1896

مع أن بلغاريا كانت بدون تأثير ينكر في صناعة القرار بالنسبة لتهويد فلسطين



الباب العالي السلطان عبد الحميد الثاني الذي عـرض على هرتزل في عـام 1901 اراضي في مناطق مـختلفـة من الدولة العثمانية ولكنه استثنى فلسطين!



المستـشـار الالماني هونلوي (1819-1901) وقد التـقـاه هرتزل عام 1898 وابلغـه بأن الصهيونية ستأخذ كل المرابين والفقـراء اليهود من المانيا الى فلسطين!



الامبراطور ويلهم الثاني (1859-1941)
وقد قابله هرتزل في فلسطين عام 1898

فعلق الأمبرطور بأن اليهود يملكون من
الأموال "أكثر منا جميعا!"



فون بيلاو (1849-1929) وزير خارجية
المانيا وقد قابله هرتزل مرتين عام 1898
لاقناعه بأهمية تأييد المانيا للحركة
الصهيونية



هرتزل خلال الرحلة على السفينة متجهاً إلى فلسطين للقاء القيصر الألماني عام 1898



الوزير الروسي المعادي لليهود فون بلهفي (1846-1904) وقد قابله هرتزل عام 1903 وطلب منه رسالة تدعم ترحيل اليهود الروس يقرأها في المؤتمر الصهيوني



الملك الايطالي ايمانويل الثالث (1869-1947) الذي أبدى "اهتماما بالصهيونية" عندما قابله هرتزل عام 1904



البابا بيوس العاشر (1835-1914) الذي كان صارما مع هرتزل عندما قابله عام 1904 وبخاصة فيما يتعلق برفض الكنيسة الكاثولوكية عودة اليهود الى القدس



جوزيف شامبرلين (1836-1914) وزير المستعمرات البريطاني الذي عرض على هرتزل توطين اليهود في أوغندة عام 1902 الأمر الذي كان سيؤدي الى شق الحركة الصهيونية في المؤتمر السادس عام 1903



ديفيد لويد جورج (1863-1945) محامي المنظمة الصهيونية لدراسة مشروع التوطين في أوغندة عام 1903 وكان مؤيدا كبيرا للحركة الصهيونية وبخاصة بعد ان أصبح رئيسا لوزراء بريطانيا فيما بعد

الفصل الرابع

هرتزل والفلسطينيون:

العثرة المخفية

"عرب، يونان، وقوم مختلطون من المشرق"... هكذا عرّف ثيودور هرتزل الشعب الفلسطيني في حديثه مع المستشار الألماني كارل هونلوي عام 1898. ولكنه، وفي حقيقة الأمر وكما سيتضح لاحقاً، كان يعرف أن هناك سكاناً في فلسطين يمثّلون جزءاً من الشعب العربي بمختلف أديانه ومِلله أقاموا هناك منذ الأزل، حتى قبل احتلال جزء من أراضيهم من قبل يهوشع ومن تبعه من ملوك اسرائيل بآلاف السنين. ولأن هرتزل استوعب منذ بداية تخطيطه بأن الحركة الصهيونية ستواجه مشكلة عويصة بوجود عدد كبير من الفلسطينيين في "أرض الميعاد"، فقد أخذ ومنذ العام 1895 يفكّر بحلول جذرية لمواجهة هذه المشكلة.

منذ نشوء فكرة الدولة اليهودية، حاول هرتزل ومنظرّو الحركة الصهيونية، أن يصوّروا فلسطين وكأنها بلاد قاحلة ماحلة، يسكنها بعض البدو الرّحل، الذين ما زالوا يعيشون في العصور الوسطى، وسيبتهجون ويفرحون بالتأكيد بقدوم "التقدم والرقي التي ستجلبه الصهيونية"!

فلسطين بين الوصف الصهيوني والواقع الحقيقي

يقول أبراهام ريفوسكي (Revusky) في كتابه "يهود في فلسطين"، بأنه في بداية الإستيطان الصهيوني عام 1881-1882، كانت فلسطين:

" قاحلة تماماً... فالغابات التي كانت تغطي جبالها من أيام التوراة قد اختفت. وقد أخذت قطعان الماعز، التي يسير من ورائها عرب كسولين، بتدمير ما تبقّى من خضرة وزراعة... أما المستنقعات، فلم تكن لتعيق الإنتاج الزراعي فحسب، بل كانت مرتعاً لمرض الملاريا المُنتشر".

أما جيمس باركس (Parkes) وهو مسيحي صهيوني، فقد استدّل بالتوراة لمقارنة الأرض الفلسطينية عام 1880 بما وصفتها التوراة قبل ثلاثة الاف عام قائلا:

"وكل من زار فلسطين آنذاك عاد بوصف ينطبق تماما على ما قالته التوراة لليهود... لقد إزداد الخراب والدمار في فلسطين بعد الفتح العربي. فلقد احتل العرب ثلاثة مناطق كانت غنية في الزمن البعيد، وهي حوض النيل، وحوض الفرات وسوريا الكبرى، وحوّلوها بسبب فشلهم، الى ما يقارب الصحاري الجرداء..."

"لقد قال الرب بأن مدنهم سوف تُدّمر وتُصبح بلا سكّان... وبأن الأرض ستصبح مغطّاة بالأطلال والخرائب. إن البوم وأبناء آوى يشهدون على الفقر والقهر الذي تعرضت له العصور القديمة والجبال العالية، وحتى القدس نفسها..."

"ومن جراء حروب الثأر والدم بين القرى العربية، وبسبب الإعتداءات المستمرّة بما يتبعها من سلب ونهب وقتل بين البدو، فليس بمبالغة أن يتحدث المرء عن أرض يرفع كل انسان فيها يده ضد جاره، وينتشر فيها القهر والباطل انتشاراً كبيراً".

أما فرانك جاناواي (Jannaway) وهو أيضا مسيحي صهيوني وأحد مؤسسي الكنيسة الكرستدلفية (Christadelphian Church) وكان يعتقد بأن المسيح لن يعود إلا بعد عودة اليهود الى فلسطين. فكتب يقول بعد زيارة له للقدس في مطلع القرن العشرين عندما كان سكان المدينة المقدسة اليهود لا يتجاوزون 5% من مجموع السكان:

"إن القدس لم تعد مدينة إسلامية، بل ليست مدينة لاتينية أو يونانية. إنها الآن مدينة يهودية. وسأوضح ذلك عن طريق حادثة صغيرة تركت في عقولنا انطباعاً لا يُمحى. لقد حدث ذلك بعد ظهر أحد أيام السبت..."

ويتساءل المرء عما حدث لجاناواي يا هل ترى، الأمر الذي أقنعه بأن القدس قد أصبحت يهودية؟ يقول جاناواي بأنه أراد الذهاب الى الحي المسيحي في المدينة لشراء بعض الطرابيش:

"وماذا وجدنا؟ من بين كل عشرين دكّان، كان هناك دكّان واحد مفتوح فقط... ما هي المشكلة؟ لماذا دكّان واحد فقط من بين عشرين؟ أين أصحاب الدكاكين التسعة عشر؟ سألنا أول رجل قابلناه ويعرف اللغة الإنجليزية، فأخبرنا بأن هذا هو الوضع طيلة أيام الراحة الأسبوعية. ولكننا قلنا بأن اليوم هو السبت وليس الأحد. "نعم"، قال الرجل، "ولكن هذا الشارع المسيحي قد أصبح مليئاً باليهود، لأن المسيحيين لا يستطيعون منافسة اليهود"... لقد أفرحنا ما قاله هذا الرجل فرحاً شديداً... عندما يتم إطلاق يد اليهودي، فإن غير اليهودي لا يستطيع المنافسة".

ويكمل جاناواي خواطره الجوفاء قائلا:

"هناك حادثة أخرى تُدلل على كيف تسير الرياح [في فلسطين]. في إحدى الأمسيات تسلّمنا بطاقة زيارة في الفندق الذي كنّا ننزل فيه، كُتبت عليها العبارة

التالية "اسحق نسيباوم - تنظيف ملابس". وقد قمنا بمقابلة هذا الرجل وسألناه عن سبب زيارته، فقال: "لقد حضرت لتنظيف ملابسكم". نعم، كنا بحاجة لتنظيف ملابسنا وبخاصة بعد رحلة مضنية في ذلك اليوم، إلا أننا لم نكن نحمل ملابس أخرى نظيفة لنلبسها خلال تنظيف ما كنّا نلبس. ولكن هذه المسألة لم تمثّل مشكلة بالنسبة لإسحق الذي قال: "اخلعوا ملابسكم الآن واخلدوا للراحة في أسرّتكم، وسأعود بعد ساعتين وقد أتممتُ غسيل وكي ملابسكم". وقد كان اسحق صادقا في كلامه، فلا عجب أن غير اليهودي قد أزيح من قبل اليهودي".

بالتأكيد، لم تكن الصورة الصهيونية لفلسطين حقيقية على الإطلاق. فعلى سبيل المثال فان المؤرخ الشهير لورنس أوليفانت (Oliphant) الذي زار فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر، كتب واصفاً مرج إبن عامر:

"إن كل فدان من الأرض في مرج إبن عامر مستغلّ استغلالاً كاملاً في الزراعة... إنه يشبه بحيرة خضراء كبيرة مليئة بالقمح المزروع، ومتوّجة بالقرى التي تشبه الجُزُر. إن هذا المنظر يمثل أحد أروع الصور للأرض الخصبة المزروعة..."

وكتب السير جيمس فريزر (Fraser) وهو مؤرخ بريطاني آخر، يقول:

"إن فلاحي فلسطين الناطقين باللغة العربية هم نسل القبائل القديمة التي رامت في أرض فلسطين قبل الغزو الإسرائيلي (قبل الميلاد)، وقد تمسّك هؤلاء بالأرض دائما وأبداً منذ ذلك الزمان. ومع أنه قد تم غمرهم بعد كل إحتلال، إلا أنهم لم يُدمّروا".

أما فان در هوسن (Van der Hoeeen) وهو مستشرق هولندي، فكتب عام 1907 يقول:

"إن الفلاح العربي الفلسطيني ذكي وقادر ويعمل بجدّ واجتهاد وبخاصة إذا ما قيس ذلك بالإمكانيات البسيطة المتاحة له... لقد حاول دوماً أن يعيد بناء مجتمعه بعد كل كارثة حلّت بفلسطين... وقد زرع العرب حول يافا برتقالاً بحجم غير طبيعي، الأمر الذي جلب الإنتباه منذ القرن الثامن عشر".

الفلسطينيون في دولة هرتزل اليهودية

في مؤلفه بعنوان "الدولة اليهودية" الذي نُشر عام 1896، وضع هرتزل أُسساً كاملة تتضمن أدقّ التفاصيل بخصوص الدولة اليهودية المرتقبة. فقد تضمن الكتيّب فصولاً عن "العمّال" و"المنازل" و"شراء الأراضي" و"العمّال غير الحرفيين". كما وضع هرتزل تصوّراً للعلم اليهودي وألوانه، وطريقة تمويل المشروع الصهيوني، ومواضيع أخرى شتّى. ولكن الشيء الوحيد الذي لم يأت هرتزل على أي ذكر له في هذا الكتاب هو "الفلسطينيون". بل ليس هناك ذكر لكلمة "فلسطيني" أو "عربي" مطلقاً في ذلك المؤلف!

في "الدولة اليهودية" يذكر هرتزل منطقتين يمكن أن تصبحا الدولة اليهودية، وهما الأرجنتين وفلسطين، ومع أنه لم يستبعد الأولى كُلياً، إلا أنه قال واصفاً فلسطين:

" هي أرضنا التاريخية التي لا يمكن نسيانها... إن اسمها فقط يكفي لأن يكون دعوة جذابة لشعبنا. لو يوافق جلالة السلطان على إعطائنا فلسطين، فإننا سنكون مستعدين لتنظيم الوضع المالي للحكومة التركية. أما بالنسبة لأوروبا، فسنكون في فلسطين جزءاً من المتراس ضد آسيا، وسنحتل موقعاً متقدماً للحضارة لوقف المد البربري... سنكون حُماة الشرف للأماكن المقدسة".

إن تحمّس هرتزل للقيام بدور مساند للإستعمار الاوروبي ضد آسيا وسكانها "البربريين"، عني أن دولة هرتزل اليهودية لا بد وأن تظل في تناقض مستمر مع جيرانها، وستظل تنظر الى الغرب من أجل الحماية والدعم. وهذا ما آل اليه الواقع حتى يومنا هذا.

وفي إشارة وحيدة للسكّان في فلسطين - ولكن بدون تسميتهم - يقول هرتزل:

" فلنفترض، على سبيل المثال، أنه كان علينا أن نطهّر بلداً ما من الوحوش البرية... لا يجب علينا أن نقوم بذلك بنفس الطريقة التي اتّبعها الأوروبيون في القرن الخامس مثلا. لا يُعقل أن نتسلّح بالدرع والرمح ونجري وراء الدببة واحداً واحد. بل يجب أن نُعّد لرحلة صيد جماعية، فنقوم بحشر الحيوانات في منطقة واحدة، ومن ثم نُلقي بقنبلة كبيرة في وسطها".

وقد يتساءل المرء وبجدية: هل عرف هرتزل حقاً بوجود الفلسطينيين؟

يقول الكاتب الصهيوني ليونارد ستين (Stein) عام 1925 وبغرض الدفاع عن هرتزل بأنه:

"لم يكن يبتغي طرد أي من العرب من فلسطين، بل وكما يمكن الحكم من خلال خطاباته في المؤتمرات الصهيونية، فإنه لم يكن يعي بأن في فلسطين سكّاناً مقيمين، وهو وبكل حسن نيّة، قد أسقط العرب من حساباته..."

ولكن هل هذا الإدعاء صحيح؟

لقد كان هرتزل صحافياً. ولا بد أن اطلّع على كتاب الإحصاء الخاص بـ "فلسطين وسوريا" والمنشور عام 1888 باللغة الألمانية، والذي جاء فيه بأن في فلسطين 650 الف مواطن منهم 47 الف يهودي فقط!

ويقول الدكتور آرثر روبين (Ruppin) وهو أحد أعضاء الهيئة التنفيذية للحركة الصهيونية في فلسطين في العشرينات ومن أنصار التفاهم مع الفلسطينيين قبل اقامة الدولة اليهودية:

" إن فكرة هرتزل بإقامة دولة يهودية كانت ممكنة فقط لأنه تجاهل وجود العرب، وقد اعتقد بأنه يستطيع بالأساليب الدبلوماسية الملتوية أن يغيّر تاريخ العالم".

ربما كان ستين الذي كتب مدافعاً عن هرتزل عام 1925. لم يقرأ مذكرات هرتزل السرية التي سنأتي على ذكرها لاحقا، والذي بدأ الأخير بكتابتها منذ العام 1895. ولم يكن ينوي لها أن تُنشر أبداً.

والسؤال الثاني الذي يمكن طرحه هو: هل ومتى وكيف تم إتصال هرتزل بالفلسطينيين؟

لقد تمّ أول اتصال شبه مباشر بين هرتزل والفلسطينيين في العام 1899، عندما قام هرتزل بكتابة رسالة الى محمد يوسف الخالدي، وكان نائباً سابقاً في البرلمان العثماني ورئيس بلدية القدس آنذاك. وكان الخالدي قد كتب في وقت سابق الى

رئيس حاخامي اليهود في فرنسا، محتجاً على الحركة الصهيونية وممارساتها في فلسطين. وقد قرر هرتزل الرد على الرسالة بنفسه قائلاً:

"عند السماح لهجرة عدد من اليهود يُحضرون معهم ذكاءهم وأموالهم وخبرتهم في التجارة والصناعة، فلا يمكن لأحد أن يشّك في أن النتيجة السعيدة ستكون الرفاه الذي سيعّم على الجميع. إنه لمن المهم أن تفهم ذلك وتبلّغه للجميع".

ويكمل هرتزل مخاطباً الخالدي قائلاً:

"إنك ترى صعوبة أخرى، يا صاحب السعادة، وهي وجود سكان غير يهود في فلسطين... ولكن من ذا الذي يفّكر بطردهم أو إبعادهم؟ إن رفاهيتهم وثرواتهم الشخصية سوف تزداد عندما نُحضر ثرواتنا... هذا ما يجب على السكان الأصليين أن يعوه، فهم سيكسبون أخوة ممتازين، وسيحصل السلطان على تابعين مخلصين".

ومن أجل تأكيد المقولة بأن الصهيونية ستأتي بالخير والرفاه على الفلسطينيين، كتب هرتزل في العام 1902، رواية دعائية أسماها بـ "الأرض القديمة-الجديدة" (Altneuland).

وتبدأ أحداث هذه الرواية عام 1902، وسرعان ما تنتقل الى العام 1923، حيث لم تعد فلسطين قاحلة أو فقيرة. كذلك لم يوجد فيها أي إحتكاك ديني أو عنصري، حيث يعيش العرب جنبا الى جنب مع اليهود وبصداقة وإتفاق كاملين.

فقد باع العرب، حسب قصة هرتزل، الأراضي الفائضة والزائدة عن حاجتهم، لليهود وبأسعار عالية. بالإضافة، فقد عملوا لديهم في تنظيف الأرض من المستنقعات العديدة. كما تعلموا منهم التنظيم الإقتصادي وأضحت المستوطنات اليهودية النظيفة مثالا يحتذي به سكان القرى العربية المجاورة والتي كانت سابقاً "مليئة بالقاذورات".

وفي الرواية، يشرح الناطق بلسان العرب، ويُدعى رشيد بك، لأحد النبلاء المسيحيين، السيد كينغزكورت (Kingscourt) كيف أن الفلسطينيين لم يخسروا على الإطلاق، بل استفادوا بشكل كبير من النظام الجديد والدولة اليهودية. ويقول السيد كنغزكورت معلّقاً:

"إنكم قوم غريبون، أيها المحمّديون. ألا تنظرون لليهود على أساس أنهم دخلاء؟"

ويرد رشيد بك قائلاً:

"أيها المسيحي، كم استغرب ما تقول... هل تعتبر أولئك الذين لا يأخذون منك شيئاً، بل يعطونك الكثير، دخلاء وسارقين؟ إن اليهود قد أغنونا، فلماذا يجب أن نغضب منهم؟ إنهم يعيشون معنا كالإخوة، فلماذا لا يجب أن نحبّهم؟"

هكذا كان هرتزل يدّعي بأنه يتخيّل العلاقة مع العرب في فلسطين، ولكن هل هذه حقيقة ما كان يكنّه لهم في السرّ؟

قبل الولوج الى مذكرات هرتزل السرّية، لنقف - ولوهلة قصيرة - عند جزء هام من روايته "الأرض القديمة-الجديدة"، والتي يتخيّل هرتزل فيها أحد الشخصيات اليهودية وهو الدكتور ستاينك (Steinek)، عالم الأحياء الدقيقة، وهو يقوم بالأبحاث ومن ثمّ بحملة كبيرة تقضي على مرض الملاريا في فلسطين. الأمر الذي لا يستفيد منه سكّانها فحسب، بل وحسب رواية هرتزل، يجعل من الممكن استخدام طرق الدكتور ستاينك من أجل إعادة توطين الأمريكيين السود في أفريقيا!

إن هرتزل في آخر رواياته الدعائية، لم يحاول إيجاد حلول لمشكلات السكّان الفلسطينيين فحسب، بل يطرح حلاً يناسب الأمريكيين البيض وذلك - ومن خلال اقامة الدولة اليهودية - بأن يصبح بالامكان توطين الأمريكيين السود، الذين شقوا وتعبوا وتعذّبوا خلال اقامتهم البائسة في الولايات المتحدة لمئات السنين وإعادتهم إلى غابات القارة الأفريقية!

الفلسطينيون في المذكرات السّرية

خلال كل الحملات الدعائية والإعلامية من رسائل وروايات وخُطب أمام الأتراك والألمان والروس والإنجليز والايطاليين والبلغار وغيرهم، والذي تحدّث فيها هرتزل عن الدولة المثالية القائمة على الأخوّة والمحبة والتعايش السلمي، دونما تعصّب أو عنصرية أو طائفية، أفرد هرتزل أكثر من عشرين صفحة في مذكراته السرية لإيجاد الحلول لمعالجة مسألة وجود شعب في فلسطين، وذلك بداية من تاريخ 12 يونيو 1895!

وفي هذه الصفحات السّرية كتب هرتزل يقول:

" عندما نحتّل الأرض، يجب أن نحضر معنا ايجابيات فورية للدولة التي ستستضيفنا. يجب أن نمتلك الأرض المملوكة من قبل القطاع الخاص بهدوء وبدون ضجيج. وعلينا وبنفس الوقت العمل على طرد الشعب الفقير الى خارج الحدود، عن طريق خلق فرص عمل له في الدول المجاورة، وحرمانه فرص العمل داخل دولتنا.

" إن أصحاب الأراضي سيكونون في صفنا [ضد الفقراء] في البداية. إن عمليتي إمتلاك الأراضي واخراج الفقراء يجب أن تتما بصورة سرّية وغير مُعلنة... فلندع أصحاب الأراضي يعتقدون بأنهم يخدعوننا ويبيعون أرضهم لنا بأغلى مما هي في الواقع. ولكننا ومتى امتلكنا هذه الأراضي، فلن نقوم بإعادة بيعها لهم مطلقاً.

" إن إمتلاكنا الأراضي يجب أن يتم عبر وسطاء أجانب سرّيين. إن شركتنا ستقوم بدفع مبالغ عالية، ومن ثمّ لن نبيع هذه الأراضي إلا لليهود، وستتم التجارة في العقارات والأراضي فقط بين اليهود!

" وسنقوم باستعمال سماسرة محليين، والذين لن يعرفوا أن الوسيط الأجنبي الذي يتعامل معهم يأتمر بأوامر لجنة شراء الأملاك [الصهيونية]. إن شراء كل الأملاك يجب أن يتم بصورة منسقة وبنفس الوقت، وكأننا نضغط على زرّ كهربائي. إن وسطائنا السّريين الذين سيظهرون وكأنهم يشترون هذه الأملاك لغاياتهم الشخصية، سيتلقّون منا إشارة تقول: تحركوا!"

ويحدد هرتزل مدة لا تتجاوز الإسبوع وذلك كفترة زمنية يتم خلالها شراء أكبر قدر ممكن من الأملاك الخاصة، وإلا "فسترتفع الأسعار بصورة جنونية".

أما أولئك المُلاّك الذين يرتبطون بأرضهم ارتباطاً شديداً أو الكبار منهم سناً والذين يمكن أن يُحرجوا اذا باعوا أراضيهم لليهود، فستقوم الحركة الصهيونية بتقديم عرض لهم يتضمن:

"... نقلهم كلية الى أي مكان يريدون في العالم. إن هذا العرض يجب أن يتم تقديمه فقط عند فشل جميع المحاولات الأخرى للحصول على أرضهم. وإذا لم يقبل هؤلاء بهذا العرض، فهذا ليس مهّماً، فإن هذا الإرتباط الشديد والتشبّت الكبير

بالأرض لا يوجد إلا لدى عدد محدود جدا من الملاّك [الصغار]. أما الملاّك الكبار، فيمكن شراء ممتلكاتهم بالثمن المناسب".

ثم يعاود هرتزل الحديث عن كيفية استغلال السكان الأصليين قبل نقلهم وإخراجهم من فلسطين قائلاً:

"إذا انتقلنا الى منطقة فيها حيوانات متوحشة لم يعتدْ عليها اليهود من قبل... أفاعي كبيرة مثلاً، علينا ان نستعمل السكان الأصليين. وذلك قبل ايجاد فرص عمل لهم في البلدان المجاورة. من أجل القضاء على هذه الحيوانات... سندفع مثلاً ثمناً كبيراً لجلد الأفاعي وأنيابها..."

ويختتم هرتزل مذكراته السرّية متحدّثاً عما سيحدث عندما يقوم اليهود بطرد الشعب الفلسطيني من ناحية الحكومات والدول الأجنبية والرأي العام العالمي، فيقول:

"في البداية، ستقوم الشعوب المتحضّرة بالانكفاء عنا، وسيعتبرون ما قمنا - ونقوم - به غير مقبول وتفوح منه رائحة سيئة. ولكن مع مرور الزمن، سيتغير الرأي العام العالمي لصالحنا، وبنفس الوقت سنكون قد ثبّتنا أقدامنا في دولتنا، ولم نعد نخاف من مجيء الوفود الأجنبية، وسنقابل زوّارنا بأخلاق أرستقراطية عالية ووُدّ ممزوج بالفخر والاعتزاز".

النهاية المفاجئة لهرتزل و"المآسي" العائلية التي تبعتها

بالطبع، لم ينوِ هرتزل أن تُنشر مذكراته السرّية، والتي عكست واقعاً مخالفاً للدعاية والإعلام الذي كان ينشره ويردده لجميع من قابلهم من أجانب وعرب.

ويبدو أن الإله يهوا قد قرر معاقبة هرتزل وعائلته شرّ عقاب قبل تحقيق حلمه، تماما كما عاقب القبائل اليهودية في سيناء قبل دخولهم الى "أرض الميعاد"! فقد تُوفي زعيم المنظمة الصهيونية وهو لم يتجاوز الرابعة والأربعين من العمر. أما كُبرى بناته وتُدعى بولين (Pauline) فقد توفيت هي الأخرى وهي في الأربعين من العمر، وذلك بسبب الإدمان على المخدرات وبعد عدة زواجات وعلاقات غرامية فاشلة مع عدد كبير من غير اليهود. أما ابنه هانز (Hans) فقد تحوّل من اليهودية الى

الكاثوليكيـة وهو في سـن الثـلاثين. ثم مـا لبث وأن أقـدم على الإنتـحـار وهـو في التاسعـة والثلاثين. وأما ابنته الأخرى ترود (Trude)، فقد تزوجت برجل يكبـرها بستة وعشرين عاماً، ثم ماتت وهي في الخمسين من العمر بعد أن قضت معظم حياتها مصابة بمرض عقلي وفي المصحّات النفسية. وأخيراً، وليس آخراً، فقد أقدم حفيد هرتزل، ستيفان ثيودور (Theodor) على الإنتـحار في واشنطن بالولايات المتحدة، وهو في الثامنة والعشرين من العمر!

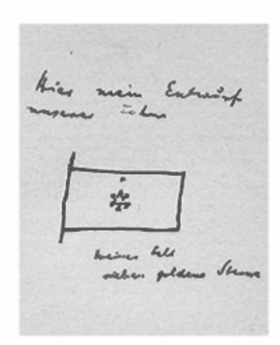
يبدو أن لعنة إلهية حقيقية قد حلّت بهرتزل وعائلته، أودت بحياته وحياة عائلته قبل دخوله "أرض الميعاد". ولكن هذه اللعنة لم تضاهي للأسف ما أتى به هرتزل للشعب الفلسطيني من نكبة كبرى عام 1948، أي بعد وفاته بأربع وأربعين عاما عن عمر يناهز أربعاً وأربعين، وذلك في العام 1904.



لورنس أوليـــفـــانت (1829-1888) الذي زار فلسطين في العام 1879 وكتب عن استغلال كل فدان من أراضي مرج ابن عامر للزراعة بشكل كامل من قبل الفلسطينيين



السير جيمس فرايزر (1854-1941) الذي كتب في العـام 1902 بأن فـلاحي فلسطين هم نسل القبـائل القـديمة وقد تمسكوا بأرضهم عبـر العصور ولم يُدمروا


Hier mein Entwurf

اول رسم باليد لمسودة العلم الصهيوني كما تخيله هرتزل عام 1896 فكتب حوله بالألمانية "هذه مسودة علمنا... خلفية بيضاء وفي الوسط سبعة نجوم ذهبية (يقصد نجمة سداسية كبيرة تضم في زواياها ستة نجوم صغيرة)" ولكن شكل العلم تغيرعند افتتاح المؤتمر الصهيوني الأول بعد تعديله من قبل ولفسون وآخرين!



حدود الدولة اليهودية كما حددها هرتزل في مذكراته السرية عام 1895 وهي من النيل الى الفرات، ولكنه لم يطالب بها مطلقاً في العلن حتى لا يوسع من معسكر الأعداء!



هرتزل في استقبال القيصر الالماني ويلهم الثاني في فلسطين عام 1898 والذي اختتم الحوار مع هرتزل قائلا بأن اليهود يملكون من المال "أكثر منا جميعا"!



هرتزل في بازل في نظرة تأملية خلال المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897



Roman

von

Theodor Herzl

Wenn Ihr wollt,
Ist es kein Märchen



Leipzig
Hermann Seemann Nachfolger.

غلاف كتاب هرتزل الدعائي "الأرض القديمة الجديدة" الذي نشره عام 1902 ويصف فيه ازدهار فلسطين بعد استيطان اليهود فيها والفرحة العارمة لأهلها بالمستوطنين اليهود، وكذلك التقدم العلمي الذي حققه العلماء اليهود في الدولة، والذي يفسح المجال لاعادة توطين الأمريكيين السود في القارة الأفريقية!



هرتزل مع أولاده بولين (توفت وهي مدمنة على المخدّرات) وهانز (تحوّل الى الكاثوليكية ثم انتحر) وترود (أصيبت بمرض نفسي وتوفيت في احدى المصحّات العقلية)

الفصل الخامس

آحاد هاعام : الصهيونية "الثقافية" ونظرية الدولة ثنائية القومية

بشكل عام، لم تواجه سياسة ثيودور هرتزل المخادعة تجاه الفلسطينيين أي انتقاد -أو حتى تساؤل- من قبل قيادات الحركة الصهيونية آنذاك. ولم يبد أي منهم اعتراضاً أو تحفّظاً حول خطة هرتزل في التعامل العنصري مع سكان فلسطين. ومحاولته المستمرّة تشويه صورتهم لدى القوى الأجنبية والرأي العام العالمي.

فما كتبه هرتزل في مذكراته السرّية عن كيفية سحب الأرض من تحت أرجل الشعب الفلسطيني ومن ثم تسهيل عملية انتقالهم عبر الحدود الى الدول المجاورة. كان معروفاً لدى المقرّبين منه. ولكن أياً منهم لم يكن ليأبه بما كتبه ذلك القائد الملهم عن الفلسطينيين من مغالطات وتشويه للحقائق وما خططه من وسائل غير أخلاقية للتعامل معهم، الا قلة قليلة يُمكن عدّها على أصابع اليد الواحدة، والتي كان على رأسها يهودي من روسيا يحمل أفكاراً شيوعية لقّب نفسه باسم آحاد هاعام - أي واحد من الشعب.

هاعام ونقد القيادة الصهيونية

وُلد هاعام عام 1856 بالقرب من مدينة كييف في روسيا آنذاك، وكان اسمه الحقيقي أشير غنزبرغ (Ginzberg) وتلقى تعليماً يهودياً دينياً وتميّز في دراسة التلمود والفلسفة اليهودية لعدد من كبار الحاخامين اليهود. ولكنه اتّجه بعد ذلك الى الدراسة العلمانية، فأتقن عدة لغات ودرس مجموعة من الثقافات. وقد غيّر اسمه لاحقاً الى آحاد هاعام (Ha'am) ويعني بالعبرية "أحد العامة" أو "واحد من الشعب". وذلك ليستعمله كاسم مُستعار عند الكتابة في الصحافة.

كان هاعام - وهو أحد قيادات حركة "أحباء صهيون" - صهيونياً "ثقافياً"، وعُني بذلك أنه كان يريد بناء قاعدة ثقافية يهودية في فلسطين كخطوة أولى، وليس بالضرورة قاعدة سياسية أو حتى دولة مستقلة.

وقد قرر هاعام، وكان أحد الذين عاصروا هرتزل واستمعوا الى الحلول السرّية التي اقترحها بخصوص التخلص من الفلسطينيين الى خارج "أرض الميعاد"... قرر أن يكون صادقاً مع نفسه ومع الآخرين في الحركة الصهيونية، وأن يسبح - ولو

لفترة قصيرة من الزمن - ضد التيار. علّه يغيّر من التفكير الهرتزلي (السرّي) بشأن جيران المستقبل فيصبح الموقف على الأرض كما وصفه هرتزل في روايته "الأرض القديمة الجديدة" بدلاً من كما أراد له في الجزء السرّي من مذكراته!

وكان هاعام قد قام بزيارة فلسطين عام 1891، أي قبل تحوّل هرتزل الى الصهيونية بأكثر من خمس سنوات. وخلال وجوده هناك، كتب مقالاً بعنوان "الحقيقة من فلسطين" جاء فيها:

" في الخارج، نحن معتادون على التصديق بأن اسرائيل هي أرض شبه فارغة، وليس هناك فيها من خضرة أو زراعة، ومن يرغب في شراء أرض يمكنه أن يأتي الى هنا ويشتري كما يشتهي قلبه. وفي الواقع، فإن الموقف ليس هكذا... في كل أنحاء البلاد، فإنه من الصعوبة بمكان أن تجد أرضاً صالحة للزراعة ولكنها غير مزروعة..."

" في الخارج، تعوّدنا على تصديق الدعاية بأن كل العرب شعب صحراوي، بل هم كالحمير لا يرون ولا يفهمون ما يدور حولهم. إن هذا الخطأ فادح. فالعربي، مثله مثل أي إنسان آخر، يملك عقلاً متوقداً، يستوعب ويحسب ما يدور حوله".

ويتساءل هاعام:

" ولكن ماذا يفعل إخوتنا في فلسطين؟ العكس تماماً. عبيدٌ كانوا في بلدان الشتات، وفجأة وجدوا أنفسهم في جو من الحرية المطلقة. وقد أيقظ فيهم هذا التغيير النزعة نحو الإستبداد. إنهم يعاملون العرب بقسوة وعداء، ويحرمونهم من حقوقهم، يهاجمونهم بغير سبب، وحتى أنهم يتفاخرون بأعمالهم هذه. وليس هناك منّا من يعارض هذه التوجهات الخطيرة التي تستحق الإزدراء".

وشجب هاعام المزارعين اليهود لتعاملهم القومي (الشوفيني) مع العمال والفلاحين العرب وطلب منهم التعلم من " تاريخنا الماضي والحاضر. وعلينا أن نكون حذرين حتى لا نجلب على أنفسنا غضب شعب هذا البلد بسبب ما نقوم به من أعمال غير أخلاقية".

ولم يكتفي هاعام بهذا القدر من التنديد، بل وما أن قرأ رواية هرتزل الدعائية "الأرض القديمة-الجديدة" التي نشرها عام 1902، إلا ووجّه له نقداً لاذعاً، معتبراً

أن الرواية تعبّر عن رغبة هرتزل بمحاباة أعداء اليهود وبأنه لا يتبنّى ثقافة يهودية في فلسطين بل يريد تقليداً كاملاً ومصطنعاً للثقافة الغربية الأوروبية.

ولمّا لم يكن هرتزل راغباً بالرد على النقد "الشخصي" الذي وجهه له هاعام، فقد أرسل ترجمة باللغة الألمانية لمقالة هاعام الى صديقه ماكس نورداو. الذي ردّ واصفاً هاعام بأنه "حاخام علماني احتجاجي وعدو كبير للصهيونية!"

ولكن. وفي رواية مختلفة سردها قيادي صهيوني آخر هو مارتن بوبر (Buber)، أن نورداو ذاته وعند سماعه - ولأول مرة حسب ادعائه - بأن هناك عرباً يسكنون فلسطين. هرع الى هرتزل، وكأنه قد أصيب بصدمة، وقال معاتباً: " لم أعرف ذلك! إننا نرتكب ظلما!"

وبعد وفاة هرتزل، وتبوّئه رئاسة المنظمة الصهيونية، نسي نورداو الظُلم الذي سيحل بالفلسطينيين، فخاطب المؤتمر السابع عام 1905 وبنفس طريقة سلفه، قائلاً:

" إن الحركة القومية العربية، والتي أخذت تستأثر بقطاعات واسعة من الشعب العربي، يمكن أن تأخذ مَنحاً يُصيب فلسطين بالضرر... إن الحكومة التركية لربما تجد نفسها مُضطّرة للدفاع عن أراضيها في فلسطين وسوريا، وضد المواطنين [العرب] وبقوة السلاح... وفي هذه الحالة، فإن تركيا يمكن أن تقتنع بأنه من المهم لها أن يتواجد في فلسطين وسوريا شعب قوي ومنظم تنظيماً جيداً، والذي - مع احترامه لحقوق السكان [العرب] هناك - سيقاوم أي هجوم ضد سلطة السلطان، وسيدافع عن هذه السلطة بكل ما أُوتي من عزم!"

استمرار هاعام في التهجم على الموقف الرسمي بعد وفاة هرتزل

استمر هاعام بالتهجم على أسلوب تعامل القيادة الرسمية للحركة الصهيونية مع الفلسطينيين، حتى بعد وفاة هرتزل. ففي العام 1908، عندما اقترح أحد قادة الحركة الصهيونية الروس ويدعى أوسيشكن (Ussishkin)، بأن تقوم المنظمة الصهيونية بإصدار جريدة باللغة العربية، كتب هاعام متهكّماً:

" وماذا سنقول فيها للعرب؟ إننا نريد الإستيطان في فلسطين؟ وماذا سيكون جوابهم؟ عظيم، فلنحيا سوياً ولنعمل معاً"؟ الى متى سنظل نُضلل أنفسنا بعبارات

فارغة؟ يجب أن يكون واضحاً بأنه لدينا مهمة واحدة فقط الآن: أن نخبر اليهود بأن يأتوا ويعملوا. فإن جاءوا، فإن هذا سيقوينا في هذا البلد، وسيأتي وقت نستطيع خلاله أن نقترب من العرب ونخاطبهم بإسم شعبنا في فلسطين. وإذا لم نستطع أن ندفع شعبنا باتجاه وهب قواه الجسدية والعقلية من أجل العمل في فلسطين، فماذا نتوقع من العرب؟"

وفي عام 1914، كتب هاعام الى موشى سملانسكي (Smilansky)، وهو أحد أوائل المستوطنين في فلسطين وكان قد هُوجم من قبل قيادة الحركة الصهيونية في فلسطين لأنه كان يذكّرهم بمسألة وجود فلسطينيين:

" ولهذا، فإنهم يغضبون من أولئك الذين يذكّرونهم بأن هناك شعب آخر في اسرائيل الكبرى، الذي كان يعيش هناك منذ زمن بعيد، ولا يرغب في ترك المكان. في المستقبل، عندما يتم إنتزاع الوهم من عقولهم، وسينظرون بأعين مفتوحة الى الحقيقة، سيفهمون كم هي مهمة هذه المسألة، وكيف أن واجبنا الكبير هو أن نعمل على إيجاد حل لها".

التغيّر باتجاه دولة ثنائية القومية

خلال الحرب العالمية الأولى، بدأ هاعام يُغيّر (ويُخفف) من نقده الحاد واللاذع لأسلوب تعامل الحركة الصهيونية مع الشعب الفلسطيني. وبدأ يتحدث أكثر فأكثر عن أهمية الهجرة اليهودية الى فلسطين، من أجل أن يصبح هناك عدد كبير من اليهود يمكن أن يكونوا أنداداً للشعب الفلسطيني ومن ثم يستطيعون تحقيق مكاسب على الأرض.

وقد أخذ هاعام بالتحدث عن "الحق التاريخي" لليهود في فلسطين، وتفسيره في ظل وجود الفلسطينيين متبنياً نهجاً جديداً باتجاه دولة ثنائية القومية:

" إن الحق التاريخي لشعب في بلد ما يسكنها آخرون، يعني شيئاً واحداً فقط: حق العودة والإقامة في أرض الآباء، وزراعة الأرض وتطوير قدراتها الكامنة... ولكن هذا الحق التاريخ لا يمحو حقوق المقيمين الآخرين في ذلك البلد، والذين كان لهم الحق في الإقامة والعمل لأجيال عدة. إن هذا البلد هو وطنهم القومي أيضاً، وهم كذلك لهم الحق بتطوير قواهم الوطنية الى أقصى ما يستطيعون... إن هذا الموقف

يجعل من فلسطين الوطن المشترك لعدة شعوب. كل منها يحاول بناء وطنه القومي هناك".

وفي العام 1917، وبعد صدور وعد بلفور والذي كان هاعام أحد المفاوضين اليهود مع البريطانيين. عكس هاعام مزيداً من التوجه في تفكيره باتجاه دولة ثنائية القومية، مؤكداً بأن الحركة الصهيونية:

"لا يجب أن تطالب بإقامة دولة مستقلة، ولكن على العكس (لأن اليهود ما زالوا اقلية صغيرة جداً وبخاصة فيما يتعلق بمقوّمات الإنتاج في فلسطين). أنا لم أتخيل قط دولة لشعب غائب عنها... إذا كان العرب شديدي البأس في فلسطين. فعلينا نحن والبريطانيون أن نأخذ ذلك في الحسبان. فلا يمكن أن نُطالب بعملة يهودية، ولا بحكّام يهود لمدن فيها أكثريات عربية. إنهم سيسخرون منا إذا ما وضعنا مثل هذه المطالب".

ولكن ما حدث في فلسطين هو بالفعل ما أوضح هاعام بضرورة عدم المطالبة به. فقد تم استعمال اللغة العبرية على النقود، كما تم تعيين يهودي بريطاني (وصهيوني!) كحاكم عام لفلسطين. هو السير هربرت صمونيل (Samuel).

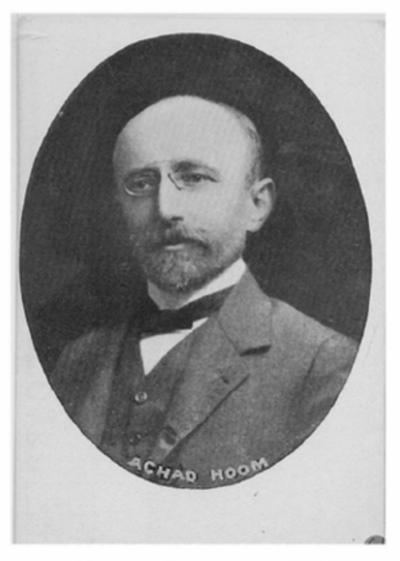
وعندما قررت عصبة الأمم وضع فلسطين تحت الإنتداب البريطاني عام 1920، وفي اشارة الى تثبيت نظرية الدولة ثنائية القومية. رحب هاعام بهذا القرار، الى حين أن يصبح - على حد قوله - "المالكان الإثنان جاهزين لإدارة البلد ويتعاونا في هذه المهمة".

والسؤال الأخير الذي يطرح نفسه بخصوص صدق نوايا هاعام هو : هل كان الأخير يبتغي حقاً إقامة دولة ثنائية القومية، أم أنه كان صهيونياً صرفاً (أو تحول الى ذلك مع الزمن) إبتغى إقامة دولة يهودية في فلسطين مع كل ما يحمل ذلك من ظلم وجور للشعب الفلسطيني، ولكن راوده، من حين الى آخر، تأنيب ضمير؟

ربما سيظل السؤال بدون اجابة. ولكن، وفي أحسن الأحوال، كان هاعام يريد دولة ثنائية القومية وعلى أساس المساواة بين العرب واليهود وذلك عندما يتساوى عدد السكان. وفي أواخر أيامه كتب هاعام ، ردا على أولئك الصهيونيين الذين كانوا يطالبون بإقامة دولة يهودية بصورة فورية في أوائل العشرينات:

" لا تدفعوا بهذا الإتجاه... طالما أن الشروط لم تكتمل بعد"!

لم يهاجر هاعام من روسيا الى فلسطين الا في عام 1922 وبقي فيها الى حين وفاته عام 1927 وهو يدفع باتجاه حل مسألة وجود شعب آخر في فلسطين عن طريق مشروع الدولة ثنائية القومية عند اكتمال الشروط. وكان أحد المقربين له والذين أصغوا باهتمام لما كان يقول. نجم جديد للحركة الصهيونية أخذ يسطع هو حاييم وايزمان.



احاد هاعام (1856-1927) من قيادات جمعية "احباء صهيون" في روسيا وقد دعا منذ زيارته الأولى لفلسطين في العام 1891 الى التفاهم مع العرب وكان من انصار اقامة دولة ثنائية القومية وقد كان وايزمان أحد أتباعه في البدايات



أحاد هاعام صاحب نظرية "الصهيونية الثقافيه" وكان ينادي باقامة قاعدة ثقافية يهودية في فلسطين في البداية تبنى عليها الدولة اليهودية عندما "تكتمل الشروط" ولكن على أساس عدم الاجحاف بحقوق العرب في فلسطين



مستوطنون في روحافوت عام 1906 وهم يبدون - كما وصفهم هاعام - وكأنهم لا يمتون بصلة لأرض فلسطين، وكان هاعام يطالب اليهود الا يجلبوا على أنفسهم "غضب شعب هذا البلد بسبب ما نقوم به من أعمال غير اخلاقية".



موشى سميلانسكي (1874-1953) وهو من مواليد كييف بأوكرانيا، وكان أحد القيادات الصهيونية التي تريد التفاهم مع الفلسطينيين وفتح المجال للعمال العرب للعمل في المستوطنات اليهودية مما سيؤدي لتقوية التعايش بين الشعبين وفي هذا التوجه كان حليفاً لأحاد هاعام في انتقاده لسياسة اساءة معاملة العرب وعدم السماح لهم بالعمل في المستوطنات في أوائل القرن العشرين!



صورة تجمع بين وايزمان وانيشتاين وأوسشكين وهم يصلون الى نيويورك في العام 1921، وقد كان الأول والثاني من انصار الخط الذي انتهجه احاد هاعام بخصوص السعي لاقامة قاعدة ثقافية يهودية ومن ثم دولة ثنائية القومية في فلسطين، أما الثالث فقد كان معارضا لأي تفاهم مع الفلسطينيين على أساس أن فلسطين ملك خالص للشعب اليهودي!

الفصل السادس

الصهيونية بعد هرتزل - نورداو وولفسون وواريورغ

الحفاظ على الوحدة والمكتسبات

ماكس نورداو: العلماني المُندمج الذي تحوّل الى الصهيونية

ولد نورداو (Nordau) في بودابست عام 1849 لعائلة يهودية محافظة ومتدينة. وكان اسمه المدني سيمون ماكسميليان (Maximillian) أما اسمه اليهودي فكان سيمحا سودفلد (Sudfeld). وبعد حصوله على شهادته الجامعية انتقل الى برلين وابتعد عن أصوله اليهودية. فغيّر اسمه الى نورداو وتزوّج من مسيحية بروتستانتية واندمج في المجتمع الالماني.

انتقل نورداو مرة أخرى الى باريس للعمل في حقل الصحافة وكان قد أصبح أديباً ومفكراً شهيراً. وهناك تعرّف بهرتزل عندما قدم الأخير للعمل كمراسل لنفس الصحيفة النمساوية (نيو فري برس) التي عمل فيها. ولكن قضية الضابط الفرنسي اليهودي درايفوس الذي أُتّهم بالتجسس لصالح ألمانيا عام 1895 وما أفرزته من معاداة لليهود عادت فأثّرت في نورداو كثيراً كما حصل مع هرتزل. فانضم الى الأخير في الاعداد لأطلاق المنظمة الصهيونية.

في بداية التفكير بهيكلية الحركة الصهيونية. كان هرتزل يتطلع الى انشاء جمعية يهودية من مجموعة فكرية بالاضافة الى صحيفة لترويج أفكار الصهيونية. ولكن نورداو أقنعه بضرورة عقد اجتماع له طابع المؤتمر لاضفاء نوع من الديمقراطية على الحركة، بل وبعد رفض يهود ميونيخ - الذين كانوا مندمجين في المجتمع الألماني - عقد المؤتمر الصهيوني الاول في مدينتهم، تبّرع نورداو بتنظيمه في بازل في 29 أغسطس عام 1897 فكانت له الكلمة الثانية في المؤتمر بعد هرتزل.

وفي كلمته الفلسفية الطويلة أمام المؤتمر في بازل، حلل نورداو أسباب البُؤس اليهودي موضّحاً ان لهذا البؤس شكلان: في أوروبا الشرقية وشمال أفريقيا وغرب آسيا فهو بُؤس مادي، أما في أوروبا الغربية فهو أخلاقي ومعنوي. وأضاف نورداو أن تحرر اليهود وانعتاقهم في أوروبا الغربية لم يأت بسبب حاجة داخلية أو شعور حقيقي للسكان المسيحيين هناك وانما كان مجرد تقليد لموضة سياسية، معتبراً أن البلد الوحيد الذي كان تحرر اليهود فيه هو بسبب شعور داخلي ومن القلب هي انجلترة، وبالتالي "فليس هناك معاداة للسامية تذكر"!

وبعد أن شرح أبعاد تفشي اللاسامية في أوروبا وحجم المعاناة التي يتعرض لها اليهود اختتم خطابه الفلسفي الطويل قائلا:

"لا أحد يمكنه أن يظل متفرجاً على معاناة اليهود -لا المسيحيين ولا اليهود- وانها لجريمة أن يُترك هذا العنصر اليهودي يتآكل فكرياً وفعلياً. ان معاناة اليهود هي نداء لمد يد المساعدة. وهذه المساعدة ستوجد في العمل العظيم لهذا المؤتمر".

وفي هذا الخطاب الاول والاهم على الاطلاق لم يذكر نورداو العرب أو المسلمين أو فلسطين أو الفلسطينيين!

اليهودية ذات العضلات

في المؤتمر الصهيوني الثاني عام 1898 في بازل أيضاً، استعمل نورداو عبارة "اليهودية ذات العضلات" (Muscular Judaism) عنى بها أن الثقافة والمثل اليهودية - ان تم تبنّيها باسلوب منظم وطريقة نظامية على طريقة الحركة الصهيونية الناشئة - ستقوّي من عزيمة اليهودي وبنيته، الذي عُرف دوماً بالذكاء الذهني ولكن بالضعف البدني والبُنيوي!

وفي المؤتمر السادس عام 1903، قال نورداو في دفاع غير قوي عن رفيقه هرتزل ومشروع التوطين في أوغنده بأن هناك تعاطف هام من قبل القوى الأوروبية الاساسية - روسيا والمانيا وانجلترة بالاضافة الى الولايات المتحدة الأمريكية - مع المشروع الصهيوني للاستيطان في فلسطين. ومع أنه قد قيل للقيادة الصهيونية من قبل المتهكمين أن السلطان عبدالحميد لن - بل لا يمكنه - أن يمنحهم فلسطين كما أن روسيا لن تسمح للسلطان بذلك، فهي لن تقبل أن تصبح الارض التي رامها المسيح محكومة من قبل اليهود، الا أنه و" كما أبلغنا هرتزل [اليوم]... فان روسيا لا اعتراض لها على الاطلاق لاحتلال الارض الفلسطينية من قبل اليهود".

واستطرد نورداو قائلا:

" لقد طلبنا [من القوى الكبرى] فتح أبواب فلسطين لاحتلالها من قبلنا، ولكننا سمعنا من دبلوماسيين عديدين يتهكمون "ماذا تتوقعون أن يحدث؟ أن القوى ستقول للسلطان اعط فلسطين لليهود والا؟"... ولكننا نقول لهم [وللسلطان] انه في اليوم الذي ندخل فيه مقاطعة عثمانية سيكون يوم سعد في تاريخ الامبراطورية

العثمانية... أما اذا ما كان واضحاً بأنه لن يكون من الممكن التوصل الى اتفاق مع جلالة السلطان... فان علينا التمسك بقوة وعناد بالبرنامج الذي أقر في بازل [في المؤتمر الاول عام 1897]...

"علينا الانتظار بصبر الى حين تأتي ظروف أحسن في السياسة العالمية الأمر الذي سيجعل القوى الكبرى تجد أنه من المناسب الاستماع الى مطالبنا".

وفاة هرتزل ورفض نورداو للمنصب!

بعد وفاة هرتزل المفاجئة، تولى نورداو منصب رئيس المنظمة الصهيونية العالمية بالوكالة الى حين عقد المؤتمر السابع عام 1905 في بازل، ومن ثم عُرض عليه منصب الرئيس ولكنه رفضه مفضّلاً أن يكون مستشاراً للرئيس الجديد ديفيد ولفسون (Wolfsohn).

ومع مرور السنين أخذ نورداو بالابتعاد عن الحركة الصهيونية، وكان المؤتمر الصهيوني العاشر عام 1911 هو آخر مؤتمر يحضره مُعتبراً أن الحركة قد أضحت على غير ما كان يريد صديقه هرتزل والذي اعتبره القائد الأوحد. وبالتالي لم يهاجر نورداو الى فلسطين حتى بعد أن احتلت بريطانيا فلسطين وأعطت اليهود وعد بلفور عام 1917 وحصلت رسميا على الانتداب من عصبة الأمم عام 1920!

وقد توفي نورداو في باريس عام 1923 ونقل رفاته الى تل أبيب عام 1926.

ديفيد ولفسون: رئيس جديد ملتزم بالنهج "السياسي"!

ولد ديفيد ولفسون (Wolfsohn) في ليثوانيا عام 1856 حيث تلقى تعليماً يهودياً أصولياً ومن ثم تنقّل في بروسيا الشرقية (East Prussia) واستقر في مدينة كولون بالمانيا في عام 1888 حيث أصبح رجل أعمال ناجح. وفي العام 1893 أسس فرعاً لجمعية "أحباء صهيون" المعروفة بتوجهاتها الاستيطانية في فلسطين وجمع لها الأموال، وحال قراءته لكتيب هرتزل "الدولة اليهودية" عام 1896 سافر الى فيينا للقاء من اعتبره الزعيم المستقبلي للحركة الصهيونية وأصبح مقرّباً منه، فذهب معه الى فلسطين للقاء الامبرطور الألماني ويلهم الثاني عام 1898، وكذلك لزيارة القسطنطينية ولقاء السلطان عبد الحميد الثاني عام 1901. ومع أن ولفسون

اختلف مع هرتزل في بعض الأمور ومنها كيفية ادارة "الصندوق الاستعماري اليهودي" (Jewish Colonial Trust) الذي كان رئيساً له، الا انه ظلّ مُوالياً له خلال الأزمة التي حصلت بسبب العرض البريطاني لاوغنده، فبقي صامتاً خلال المناقشات حتى لا يعارضه.

وبعد وفاة هرتزل عام 1904 أصبح هناك فراغ قيادي وكان هناك ثلاث مرشحين أقوياء في المؤتمر السابع عام 1905: ولفسون ونورداو وأوتو واربورغ، ولكن الأول كان المرشح الأقوى فتم انتخابه في ذلك المؤتمر.

تحرك ولفسون - الذي نقل مركز الحركة الصهيونية الى كولون - على الخُطى السياسية لهرتزل فزار تركيا وروسيا وهنغاريا. كما زار جنوب أفريقيا في 1906 وأسس فيها أول تجمّع صهيوني، واستطاع اصدار صحيفة الحركة الصهيونية "ها أولام" في عام 1907.

مقارنة بهرتزل، كانت انجازات ولفسون محدودة. فهو - كما ادّعى - صاحب اقتراح وضع الخطين العريضين أزرقي اللون على علم الحركة الصهيونية حول نجمة داوود (والذي أصبح فيما بعد علم اسرائيل) وعلى أساس أن الخطين يمثلان الشال اليهودي الذي يرتديه المتدينون وقت الصلاة. ولكن هناك من القيادات الصهيونية من أوضح بأن هذين الخطين انما يمثلان نهري النيل والفرات وبينهما دولة اسرائيل ممثلة بنجمة داوود. وذلك انسجاما مع كتابات وتصريحات هرتزل غير المعلنة، حيث لم تجرؤ قيادة الحركة الصهيونية آنذاك على اعلان مطالبها الحقيقية بخصوص حدود "اسرائيل الكبرى" مع أنه تم الإعلان عن ذلك المطلب في عدة مناسبات لاحقة!

كما كان ولفسون صاحب اقتراح أن يدفع كل عضو في المنظمة الصهيونية "شيقل" (مع أن هذه العملة كانت ما تزال وهمية آنذاك) وقد عُرف المشروع لاحقا بضريبة الشيقل. ولكنه لم ينجح في تجنيد الاموال المتوقعة.

وفي المؤتمر الصهيوني السابع عام 1905 وبعد أن هُزم مشروع أوغنده نهائياً، استطاع ولفسون أن ينجح في تقريب وجهات النظر بين قيادات الصهيونية السياسية (نهج هرتزل) والصهيونية العملية (نهج واربورغ) وبالتالي الحفاظ على وحدة الحركة - وبنفس الوقت - المخطط الهرتزلي لاستيطان فلسطين.

وقد أُعيد انتخابه في المؤتمرين الصهيونيين الثامن والتاسع عامي 1907 و1909 ولكنه لم يرشح نفسه في المؤتمر العاشر (عام 1911) لسوء صحته من جهة، ومن جهة أخرى ازدياد المعارضة والنقد له من قبل من عُرفوا آنذاك "بالصهيونيين العمليين" الذين تزعمهم أوتو واربرغ (ومن بعده حاييم وايزمان).

تُوفي ولفسون في كولون ودُفن فيها عام 1914 ونُقل رفاته الى القدس عام 1952 حيث دُفن بجانب صديقه ومثله الأعلى هرتزل.

أوتو واربورغ: عالم النباتات المتميز والصهيونية "العملية"

وُلد أوتو واربورغ (Warburg) في هامبورغ بألمانيا عام 1859. وكان من عائلة يهودية غنية اندمجت في المجتمع الألماني منذ العام 1636 وعُرفت بالتميّز في حقلي المال والعلوم. وقد درس علم النباتات في جامعة برلين وسترازبورغ وحصل على الدكتوراة عام 1883 وقام بعد ذلك بزيارة عدد كبير من البلدان (منها الهند وسيلان واستراليا والفلبين وكوريا واليابان واندونيسيا) ولكنه لم يزر فلسطين!

وعند عودته واستقراره في برلين، نشر واربورغ أبحاثاً هامة في مجال الزراعة والنباتات وبخاصة الاستوائية. وبعد أن أخذ بالتدريس في جامعة برلين، شعر بأنه لن يستطيع الحصول على درجة الاستاذية الكاملة فقط لأنه يهودي وبالتالي بدأ يتقرّب من الحركة الصهيونية. بداية عن طريق والد زوجته غوستاف كوهين الذي كان صديقاً مُقرباً لهرتزل وعضواً في المؤتمر الصهيوني الاول، ومن ثم التقى بهرتزل لأول مرة عام 1898.

وفي العام 1899 وبطلب من هرتزل. قام واربورغ بزيارته الاولى الى فلسطين لدراسة النباتات هناك معّرجاً على قبرص حيث درس امكانية توطين اليهود حول مدينة فماغوستا. واثر عودته طلب منه هرتزل دراسة توطين اليهود في العريش وسيناء ولكنه لم يُبدي تحمساً لتلك الفكرة بسبب قلّة المياه هناك.

كذلك كان واربورغ أحد اعضاء البعثة التي زارت أوغنده عام 1903. حيث قدّم نتائجاً سلبية للمؤتمر السابع عام 1905 والمنقسم على ذاته منذ المؤتمر السادس. فجاءت نتيجة التصويت ضد الموافقة على مقترح استيطان أوغنده. وقبل ذلك المؤتمر، اثر وفاة هرتزل وعدم رغبة نورداو بالرئاسة، تم تعيين واربورغ في لجنة ثلاثية مع ولفسون ونورداو برئاسة الأخير لقيادة الحركة الصهيونية الى حين انتخاب قائد جديد.

وفي الاعوام 1905-1907 كانت اللجنة التنفيذية للحركة الصهيونية المكوّنة من 13 عضواً، وعلى رأسها ولفسون، تُمثّل "الصهيونية السياسية" وتُعارض القيام بأية نشاطات توطينية واسعة في فلسطين الا بعد الحصول على موافقة وميثاق عمل من السلطان العثماني. وفي المؤتمر السابع عام 1905 وضع واربورغ الذي كان رئيساً لـ "لجنة اسرائيل الكبرى" - وكان قد أصبح القائد الفعلي "للصهيونية العملية" - تصوراً لزيادة الاستيطان في فلسطين عن طريق زيادة الهجرة اليهودية، وتقوية اقتصاد المستوطنات، وبناء مؤسسات تعليمية وثقافية هناك. وكذلك محاولة تغيير الوضع القانوني في فلسطين من أجل السماح لليهود بالهجرة والاستيطان بدون قيود، مما حدا بأغلبية المؤتمر إلى تأييد أفكاره والتصويت لصالح أن يصبح نائباً للرئيس.

ولكن واربورغ أخذ يطرح تصورات جديدة لاستيطان أجزاء من العراق وقبرص باعتبارها جزءاً من أرض "إسرائيل الكبرى". فما كان من زملائه المتشددين في اللجنة التنفيذية الا أن رفضوا هذه الافكار خوفاً من أن تصبح بديلاً لفلسطين، فكتب واربورغ الى ولفسون مُستقيلاً من "لجنة اسرائيل الكبرى" مُدّعياً رغبته بالتركيز على تطبيق أفكاره العملية بخصوص فلسطين وقبرص، حيث بدأ بتأسيس عدة مؤسسات زراعية وثقافية وطبية في فلسطين وكذلك الترويج لامكانية استيطان قبرص التي كانت آنذاك مُستعمرة بريطانية وبالتالي يسُهل الحصول عليها من بريطانيا بعد فشل مشروع أوغنده!

خلال السنوات الاولى بعد انتخاب ولفسون رئيسا للمنظمة الصهيونية عام 1905 . ظل واربورغ مُؤيداً له ولنورداو في معظم تحركاتهما السياسية وبخاصة تلك المركّزة على تركيا بعد نجاح جمعية تركيا الفتاة بقيادة كمال أتاترك بالتمرّد وازاحة السلطان عبدالحميد وحاشيته عام 1908. وفي العام 1909 وافق واربورغ على العودة الى اللجنة التنفيذية خلال المؤتمر الصهيوني التاسع "حتى لا تدخل الحركة في أزمة داخلية".

وفي العام 1911 ، وعندما تبيّن أن ولفسون لم يعد قادراً على تحمل النقد الشديد الذي وُجّه له ولا راغباً في الاستمرار، أطلقت مجموعة "الصهيونية العملية" في المؤتمر العاشر شعار "لا ملك لنا غير أوتو!" وقد تمّ انتخابه بالاجماع رئيساً خلفاً لولفسون، ولكن الأخير ظل مسيطراً على البنك الصهيوني الوطني (الذي أصبح فيما بعد بنك ليئومي) ومنتقداً لسياسة "الاسراف" التي انتهجها واربورغ!

خلال الحرب العالمية الأولى لم يستطع واربورغ عمل الكثير للمضي بتحقيق البرنامج الصهيوني. وبعد خسارة ألمانيا للحرب العالمية الأولى انتقل مركز الثقل من برلين - حيث أقام واربورغ - الى بريطانيا صاحبة الانتداب على فلسطين وشرق الأردن والعراق. وحيث كان حاييم وايزمان مقيماً، فتم انتخابه في المؤتمر الثاني عشر عام 1921 - وهو أول مؤتمر يُعقد بعد الحرب - رئيساً للمنظمة الصهيونية.

ورغم أن ابنه وعائلته تركوا ألمانيا النازية عام 1933 للاقامة في فلسطين، الا أن واربورغ لم ينتقل الى هناك مُتذرّعاً بصحة زوجته أنّا (Anna) ولكنه ظل يزور فلسطين سنوياً حتى عام 1936.

وفي العام 1938 تُوفي واربورغ في برلين ودُفن رُفاته لاحقاً في كيبوتس ديغانيا قرب نهر الاردن الذي سعى لاقامته عام 1908 رغم معارضة الكثيرين من القيادة الصهيونية آنذاك.

المؤتمرات الصهيونية ابان الحرب العالمية الأولى في سطور (1897-1913)

المؤتمر الأول : بازل، سويسرا 1897

- كان من المقرر عقد المؤتمر الأول في مدينة ميونيخ بألمانيا، ولكن يهود المدينة - وكانوا كالغالبية الساحقة من يهود أوروبا آنذاك معارضين للحركة الصهيونية وأهدافها- اعترضوا بشدة ، فتم نقل المؤتمر الى بازل.
- حضر المؤتمر بحدود مائتي شخص وترأسه ثيودور هرتزل وتم خلاله اقرار البرنامج الصهيوني الذي حدد بأن "الصهيونية تهدف الى اقامة وطن لليهود في فلسطين مُعترف به علنياً ومؤمن قانونياً". وهذا ما عُرف فيما بعد بالتوجه السياسي الدبلوماسي أو "الصهيونية السياسية" التي قادها هرتزل.
- تم انتخاب هرتزل رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية فكتب هرتزل في مذكراته فيما بعد عن المؤتمر الأول قائلا: " في بازل أسّستُ الدولة اليهودية!"

المؤتمر الثاني: بازل، سويسرا 1898

- في مواجهة المعارضة اليهودية الشديدة للصهيونية طلب هرتزل من المؤتمر "اقتحام الجاليات اليهودية"!
- كما تم انشاء "الصندوق الاستعماري اليهودي" (Jewish Colonial Trust) لاستيطان فلسطين تحت ذريعة تطويرها.
- حضرت مجموعة من الصهيونيين الاشتراكيين لأول مرة وطلبت تمثيلها في المؤتمر ولجانه.

المؤتمر الثالث: بازل، سويسرا 1899

- شرح هرتزل الأهمية الرمزية الكبيرة للقائه بالامبراطور الألماني في العام السابق.
- قرر المؤتمر عدم السماح بصرف أموال الصندوق اليهودي الا في فلسطين أو سوريا.

المؤتمر الرابع: لندن، بريطانيا 1900

- جاء عقد المؤتمر في لندن من أجل تعميق العلاقات البريطانية - الصهيونية حيث تحرّك هرتزل لمقابلة كافة أقطاب السياسة البريطانية.
- ناقش المؤتمر مشكلة اليهود في رومانيا حيث تم ترحيل الآلاف ولكن لم يكن هناك أي خطوات عملية لدعمهم.

المؤتمر الخامس: بازل، سويسرا 1901

- شرح هرتزل للمؤتمر ما تمخّض عن لقائه بالسلطان عبد الحميد وعن عمل الصندوق اليهودي.
- كان هناك امتعاض من قبل عدد من الاعضاء وبينهم حاييم وايزمان الذي طالب مع مجموعة أخرى من الاعضاء باعتماد برنامج له أبعاد ثقافية في فلسطين.

المؤتمر السادس: بازل، سويسرا 1903

- اطلع هرتزل الأعضاء على محاولته تأمين أرض لتوطين اليهود كبديل مؤقت لفلسطين ومنها العريش ولكن المشروع فشل لرفض الحكومة المصرية آنذاك.

- تم مناقشة العرض المقدم من بريطانيا بخصوص أوغنده والذي كان هرتزل ومجموعته يحبذونه.
- رغم معارضة الصهيونيين الروس ومغادرتهم القاعة فقد صوت 295 عضوا مع ارسال لجنة لدراسة عرض توطين اليهود في شرقي أفريقيا، وعارضه 178 وامتنع 98 عن التصويت.
- كان هذا آخر مؤتمر بحضور هرتزل وقد توفي في العام التالي.

المؤتمر السابع: بازل، سويسرا 1905

- استمع الاعضاء الى تقرير لجنة دراسة أوغنده واستنتاجاتها بعدم صلاحية المنطقة لتوطين اليهود. وبالتالي صوّت المؤتمر لصالح عدم اقامة وطن قومي لليهود الا في فلسطين!
- مع أن ماكس نورداو كان الاختيار الطبيعي لخلافة هرتزل، الا أنه رفض المنصب وتم انتخاب ديفيد ولفسون رئيساً.

المؤتمر الثامن: لاهاي، هولندة 1907

- بدأت الخلافات تظهر بين مجموعتي "الصهيونية السياسية" بزعامة ولفسون والتي كانت تريد الحصول على قرار سياسي دولي قبل البدء باستيطان فلسطين، و"الصهيونية العملية" بزعامة أوتو واربورغ التي كانت تريد البدء بعملية استيطان موسعة للضغط على الدول الكبرى للموافقة على الوطن اليهودي في فلسطين.
- في هذا المؤتمر تبنّى حاييم وايزمان، النجم الصاعد للحركة الصهيونية، موقفاً توفيقياً مبنّياً على الموقفين المتباعدين أيّده عدد لا بأس به من الاعضاء.

المؤتمر التاسع: هامبورغ، المانيا 1909

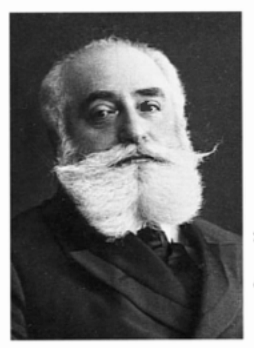
- في هذا المؤتمر أبدى ولفسون ونورداو أملهما بتغّير الموقف التركي جراء ثورة جمعية "تركيا الفتاة".
- اتهم بعض اعضاء "الصهيونية العملية" - وعلى رأسهم مناحيم أوسشكين وحاييم وايزمان وناحوم سوكولو- ولفسون بأنه وجماعته يقيّمون المشاريع "السياسية" في فلسطين بقيمتها "المادية" الاستثمارية!

المؤتمر العاشر: بازل، سويسرا 1911

- سُمي هذا المؤتمر بـ "مؤتمر السلام" لأنه أنهى الخلاف بين الصهيونيين "السياسيين" وأولئك "العمليين" ببرنامج توفيقي تم تبنّيه من قبل غالبية الأعضاء عُرف باسم الصهيونية المُركبة (Synthetic Zionism) صاغه حاييم وايزمان.
- تم انتخاب أوتو واربورغ رئيساً للمنظمة الصهيونية خلفاً لولفسون الذي تنحّى بسبب الخلافات الداخلية والحملة التي انتقدته، متعللاً بسوء الصحة.

المؤتمر الحادي عشر: فيينا، النمسا 1913

- ناقش المؤتمر مطوّلاً مسألة النشاط الاستيطاني في فلسطين.
- وافق المؤتمر على طلب وايزمان واوسشكين بانشاء الجامعة العبرية في القدس.
- لم يحضر نورداو هذا المؤتمر لاعتباره أن ما حدث في المؤتمر السابق خُروجاً على خط وتوجهات هرتزل!
- لم يُعقد المؤتمر التالي (الثاني عشر) الا في العام 1921 بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وبعد انتزاع الحركة الصهيونية لوعد بلفور من بريطانيا التي أعطيت الأنتداب من قبل عُصبة الأمم عقب عقد مؤتمر السلام عام 1920.



مـــاكس نوردداو الذي تبــوأ رئاســـة المنظمـــة الصهيونية بالوكالة بعد وفاة هرتزل عام 1904 ووافق على أن يكون لاحقا مستشارا لولفسون الذي انتخب رئيسا في 1905



Zionisten-Congress in Basel.
29. 30. und 31. August 1897.
Mitglieds-Karte
für
Herrn L. Motzkin

صورة عن بطاقة الدعوة للمؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام 1897، ويظهر في جـانب يهـودي يزرع أرض فلسطين وفي الجـانب الآخـر يهـود يصلون أمـام حائط المبكى في تركيز واضح على فلسطين



Dr Theodor Herzl

ثيودور هرتزل خلال المؤتمر الصهيوني الأول في بازل في 29 اغسطس 1897
والذي كتب لاحقا في مذكراته "هناك اسستُ الدولة اليهودية"



ديفيد ولفسون رجل الأعمال من مدينة كولون بألمانيا الذي تبوأ رئاسة المنظمة الصهيونية
بعد هرتزل عام 1905 وحتى 1911



العلم الصهيوني كما صممه هرتزل بالأساس ثم اضاف عليه ولفسون الخطين الأزرقين مدّعياً أنهما يمثلان شال الصلاة اليهودي ولكن هناك من القيادات المتطرفة في الحركة الصهيونية من اوضح أنهما في الحقيقة يمثلان نهري النيل والفرات



اوتو واربورغ الذي تبوأ رئاسة المنظمة الصهيونية من 1911 وحتى 1921 عندما تم انتخاب وايزمان رئيساً بعد حصول الحركة الصهيونية على وعد بلفور وبدء الانتداب البريطاني على فلسطين



منظر خارجي لكازينو بازل حيث عقد المؤتمر الصهيوني الاول 1897 وكان ذلك بسبب معارضة يهود ميونيخ لاهداف الحركة الصهيونية ورفضهم السماح بعقد المؤتمر في مدينتهم



المؤتمر الصهيوني الاول في كازينو بازل عام 1897 وقد ظهر في الخلف العلم الصهيوني الذي صممه هرتزل وولفسون

الفصل السابع

بريطانيا والحرب العالمية الأولى: بين اتفاقياتها مع اليهود ووعودها للعرب

كانت الحرب العالمية الأولى (1914-1918) حرباً صعبة بالنسبة للبريطانيين. قُتل خلالها مئات الآلاف من الجنود على جبهات القتال المختلفة، وبخاصة في خنادق الخطوط الأمامية في أوروبا، وبدون تحقيق أي نصر يُذكر. بل وصلت الحكومتان البريطانية والفرنسية إلى حافة الإفلاس المالي وعدم التمكن من الاستمرار في تمويل الحرب. وقد اضطّر ذلك الحكومة البريطانية لأن تروم العالم بحثاً عن حلفاء جدد من أجل حسم سير المعارك ضد قوات المحور المكّونة من جيوش ألمانيا وتركيا.

في العام 1917 توجهت بريطانيا التي أصبحت بحاجة ماسة إلى الأموال والعتاد والرجال الى الغرب محاولة إقحام الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب، فوجدتها مُتلككة مُترددة. كما تحركت باتجاه اليهود وقيادات الحركة الصهيونية لكسب تأييدهم المادي والسياسي وعلى أساس أن يقوم هؤلاء بالمقابل بجمع الأموال لصالح المجهود الحربي البريطاني من جهة، والتأثير على مجموعة من الدول التي آثرت الحياد في تلك الحرب الضروس من جهة أخرى.

اتفاقية حسين - مكماهون

أما في الشرق، فقد قامت بريطانيا بمحاولات عدة لإقحام بعض الشعوب الإسلامية الى جانبها، أو على الأقل للتمرّد على الأتراك العثمانيين. وقد وجد البريطانيون في العرب في الحجاز وبلاد الشام من التحفّز ما يدعوهم لتركيز الجهود عليهم للثورة ضد الحكم العثماني لبلادهم.

في بداية العام 1915، ومن خلال المندوب السامي البريطاني في القاهرة السير هنري مكماهون (McMahon)، قامت الحكومة البريطانية بالتفاوض السرّي مع أحد أبرز الزعماء العرب آنذاك، وهو الشريف حسين، شريف مكة الهاشمي.

وكانت مصالح الطرفين السياسية قد تلاقت آنذاك بصورة شبه كاملة... فالبريطانيون أرادوا أن يضمنوا تأييد العرب المادي والمعنوي -وهو الأهم- ضد الأتراك. أما الشريف حسين فأراد الحصول على تأييد البريطانيين المعنوي والمادي -وهو الأهم- من أجل تحرير المناطق العربية المحتلة من قبل العثمانيين منذ مئات السنين.

وبعد مفاوضات دامت أكثر من ستة أشهر (وقد كان السبب الرئيسي لطول المفاوضات هو صعوبة نقل المراسلات)، كتب مكماهون الى الشريف حسين في أكتوبر 1915 ، يبلغه بأن الحكومة البريطانية مستعدة لدعم إقامة دولة عربية مُستقلة في الأراضي المُمتدة من سوريا شمالاً الى اليمن جنوباً ومن العراق شرقاً الى خليج العقبة والبحر المتوسط غرباً. ولكن مكماهون استثنى من عرضه أجزاءً من شبه الجزيرة العربية (عدن، وعُمان والكويت) باعتبار أن للحكومة البريطانية معاهدات قائمة مع تلك الإمارات، كما استثنى من العرض جُزءاً من المنطقة الساحلية الشمالية على شاطئ البحر المتوسط (الساحل السوري واللبناني)، وذلك لأن فرنسا تريد السيطرة على هذه المناطق التي تقطنها أغلبية مسيحية مارونية وذلك كجزء من حصتها من الغنائم في منطقة الشرق الأوسط بعد إنتهاء الحرب.

أما بالنسبة لفلسطين، ومع أن العرض البريطاني للشريف حسين بخصوصها كان غامضاً بعض الشيء، إلا أن القارئ بتمعّن لرسالة مكماهون لا يمكن إلا أن يفهم منها بأن فلسطين لم تكن جزءاً من الإستثناءات البريطانية!

وفي يناير 1916، كتب الشريف حسين الى مكماهون مُوافقاً على العرض البريطاني، مع إبداء تحفظه على الإستثناءات البريطانية الخاصة بلبنان ومنطقة الساحل السوري الشمالي، وعلى أن يتم مناقشة تلك المسألة بعد طرد الأتراك.

معاهدة سايكس - بيكو

قبل شهر واحد فقط من بدء الثورة العربية، في مايو 1916، توصلت الحكومتان البريطانية والفرنسية الى اتفاق سرّي، عُرف باسم معاهدة سايكس-بيكو (Sykes-Picot). وفي هذه الإتفاقية، قُسّمت الأراضي العربية الواقعة تحت الحكم العثماني والتي وعدت بها بريطانيا الشريف حسين الى أربعة مناطق:

1) منطقة تُنشأ فيها دولة عربية مستقلة وتضم معظم شبه الجزيرة العربية (فلم تكن الحكومتان الاستعماريتان تعرفان بالذهب الأسود الموجود بكثرة تحت الصحراء الجرداء).

2) منطقة تخضع للنفوذ البريطاني المباشر، وتتكون من الأردن والعراق.

3) منطقة تخضع للنفوذ الفرنسي المباشر، وتتكون من سوريا ولبنان.

4) منطقة تعتبر دولية، وعلى أن يتم اشراك روسيا وايطاليا مستقبلاً في تقرير مصيرها وتتكون من فلسطين.

وبالطبع، لم يعلم الشريف حسين بوجود هذه المعاهدة التي ظلّت طيّ الكتمان حتى نوفمبر 1917، عندما قامت الثورة البلشفية الروسية التي أطاحت بالقيصر بنشر محتوياتها للعالم أجمع.

وعد بلفور ووعود أخرى مشابهة

ومن أجل تعقيد الأمور أكثر بوجه العرب، وبينما كان الجيش البريطاني قد أصبح على أبواب القدس، قام اللورد آرثر بلفور (Balfour) وزير الخارجية البريطانية آنذاك بإعطاء تصريحه الشهير للورد روتشايلد (Rothschild) يؤيد إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، وذلك في 2 نوفمبر1917.

وفي تعقيب على وعده لليهود أعلن اللورد بلفور:

"إن القوى العظمى الأربع [بريطانيا، فرنسا، روسيا، والولايات المتحدة] تؤيد الصهيونية، سواء أكانت على حق أم على خطأ، جيدة كانت أم سيئة. وإن جذور هذا التأييد موجودة في تقاليد مرافقة لنا منذ القدم، وفي حاجات حالية، وآمال مستقبلية. وإن كل ذلك أهم بكثير من رغبات أو أحقاد سبعمائة ألف عربي يعيشون الآن في هذه الأرض التاريخية".

يعتقد المؤرخون أن أحد الأسباب الاضافية لصدور هذا التصريح يعود الى علاقة حاييم وايزمان مع عدد من أعضاء الحكومة البريطانية ومنهم ونستون تشرشل ولويد جورج، بل وبلفور نفسه. ولكن هذا بالطبع ليس السبب الرئيسي لصدور مثل هذا التصريح. ففي برقية سرّية من وزير الخارجية البريطانية الى وزير الخارجية الروسي في 13 مارس 1916، كتب الأول يطلب رأي الأخير بخصوص "تصريح لصالح اليهود" يقول:

" من الواضح بأنه باستعمال الفكرة الصهيونية، فإن نتائج سياسية هامة يمكن أن تحدث. وإحدى هذه النتائج هي تحويل العناصر اليهودية في الشرق والولايات المتحدة وأماكن أخرى لصالح الحلفاء، وهي عناصر موقفها الحالي معاد للحلفاء...".

"إن الهدف الوحيد لحكومة جلالته هو أن تجد اتفاقاً يمكن أن يؤثر على غالبية اليهود... إن حكومة جلالته هي من الرأي الذي يقول بأن أي مشروع يُعطي اليهود إدارة شؤونهم الداخلية في فلسطين (باستثناء القدس والأماكن المقدّسة) وذلك عندما يصل المستوطنون [اليهود] الى درجة يستطيعون منافسة العرب من حيث القوة، إن اتفاقاً كهذا سيكون له أكبر الأثر على غالبية اليهود".

وهنا تجدر الافادة الى إحدى الحقائق الهامة التي لم يعر لها المؤرخ العربي أي اهتمام وهي أن عدة دول غربية قامت باصدار تصاريح مشابهة لوعد بلفور، تلت صدور الوعد البريطاني مباشرة.

ففي فبراير 1918، أرسل وزير الخارجية الفرنسي، السيد بيشون (Pichon) بلاغاً رسمياً لممثل المنظمة الصهيونية، يبلغه فيه بأن هناك تفاهماً تاماً بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية "بخصوص مسألة إقامة وطن يهودي في فلسطين".

وفي مايو من العام نفسه، أكّدت الحكومة الإيطالية، عبر سفيرها في لندن، للمنظمة الصهيونية عن رغبتها "في تسهيل إقامة مركز قومي يهودي في فلسطين، ولكن بدون أن يؤثر ذلك سلباً على الوضع السياسي للسكان المقيمين هناك". وقد تميّز التصريح الايطالي عن التصريحين البريطاني والفرنسي في أنه ذكر أهمية عدم التعرض للوضع "السياسي" للسكان [العرب] المقيمين في فلسطين بينما ذكر التصريح البريطاني ضرورة عدم الاجحاف "بالحقوق المدنية والدينية" لهؤلاء السكان وبالحقوق "السياسية" لليهود المقيمين في أية دولة أخرى!

وفي أغسطس 1918 ، رحّب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ويلسون (Wilson) "بالتقدم الذي أحرزته الحركة الصهيونية منذ أن أيّد تصريح بلفور إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين".

بدء الثورة العربية ضد الامبراطورية العثمانية

غير دار بمعاهدة سايكس- بيكو، وواضعاً ثقته بالحكومة البريطانية ووعودها، أطلق الشريف حسين رصاصة الثورة العربية من مكة في يونيو عام 1916. واتجه ابن الشريف، الأمير فيصل، على رأس قوة من الفرسان العرب - يرافقهم الضابط الإنجليزي لورنس (Lawrence) - متجهين شمالاً الى مدينة العقبة.

وبعد احتلال العقبة وطرد حاميتها التركية، أكمل الفيلق العربي مسيرته شمالاً شرقي نهر الأردن، حيث التقى مع الجيش البريطاني القادم من مصر بقيادة الجنرال أللنبي (Allenby) والذي احتّل فلسطين في طريقه الى سوريا.

وفي شتاء عام 1918، دخل الجيشان العربي والبريطاني الى دمشق محررين لها من الحكم التركي، بعد أن رزحت تحته أكثر من 500 عام.

وفي عام 1920، وبعد أن حضر مؤتمر السلام في باريس المنعقد في العام السابق، تم تتويج الأمير فيصل ملكاً على سوريا الكبرى من قبل المؤتمر السوري العام، فاتخذ من دمشق عاصمة له. ولكن، وبعد أقل من ستة أشهر، نزل الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال غورو الى السواحل السورية، وقام بهزيمة جيش الملك الجديد في معركة ميسلون بالقرب من دمشق وطرد الملك، واضعاً بذلك معاهدة سايكس- بيكو موضع التنفيذ.

وحتى لا تظهر الحكومة البريطانية بمظهر الناكث للوعود مع العرب ولاتفاقياتها معهم، ساعد الجيش البريطاني الملك فيصل في الوصول الى العراق، حيث تم تنصيبه ملكاً عليها، وظل على عرش العراق حتى وفاته عام 1933، فتم تنصيب ابنه الأمير غازي ملكاً مكانه.

أما بالنسبة لفلسطين، فقد كان الجيش البريطاني قد دخلها من الحدود المصرية، مُهاجماً لحامية غزة التركية التي لم تستطع المقاومة كثيراً. وفي ديسمبر 1917، وبعد شهر واحد من تصريح بلفور، دخل الجنرال أللنبي القدس، واستعملها كمركز لقيادته طوال الحملة لاحتلال فلسطين. ثم اتجه الجيش البريطاني شمالاً مطارداً فلول الجيش التركي من شمال فلسطين وذلك في منتصف عام 1918.

وفي مؤتمر القمة المنعقد بمدينة سان ريمو في فبراير عام 1920، تم وضع فلسطين تحت الإنتداب البريطاني، وكان تصريح بلفور أحد البنود الرئيسية والملاحق الأساسية في صك الإنتداب!

الدور الفلسطيني في الثورة العربية

عانت فلسطين الأمرّين خلال الحرب العالمية الأولى، فقد شُلّت فيها الحياة الإقتصادية منذ بدء الحرب عام 1914، وازدادت أسعار السلع الى حد لا يطاق.

ونتيجة للتجنيد الإجباري التركي لجميع رجال فلسطين القادرين على الخدمة العسكرية - وكان غالبية هؤلاء من الفلاحين - فقد أُهملت الأرض وتُركت بدون زراعة أو عناية، مما أدّى الى عدم انتاج أية محاصيل زراعية بكميات كافية وأوصل البلاد الى حالة تشبه بالمجاعة.

وفي أغسطس 1915، أمر الحاكم التركي لسوريا الكبرى جمال باشا المُلقب بـ "السفاح" باعدام 81 عربياً، أُعدم منهم فعلياً 11 فقط، كان من بينهم الفلسطيني سليم عبد الهادي. ومن ثمّ خُـفّف الحكم بالإعدام على اثنين آخرين واستُبدل بالسجن المؤبد وذلك لكبر سنيهما، وهما الفلسطينيان حافظ سعيد وسعيد الكرمي، واستطاع ثالث - وهو حسن حمّاد - الهرب والإختباء طيلة سنوات الحرب والى حين انسحاب الأتراك من فلسطين في عام 1918.

وفي مايو 1916، تم إعدام 21 عربياً في بيروت ودمشق، وكان من بينهم أربعة فلسطينيين هم الشيخ أحمد الحسيني وابنه مصطفى الحسيني وعلي النشاشيبي ومحمد الشنطي. وتُوفي فلسطينيان آخران وهما بانتظار محاكمتهما وهما علي رضا جماعي وشكري الحسيني.

وعندما انطلقت الثورة العربية في يونيو 1916، انسحب عدد لا بأس به من الضباط والجنود الفلسطينيين من الجيش التركي وانضموا للجيش العربي. وما أن فتحت القيادة البريطانية باب التطوع للإلتحاق بالجيش العربي، حتى تقدّم الآف الفلسطينيين بطلبات التحاق بهذا الجيش لسببين رئيسيين: الفقر المدقع والحاجة الى مصدر دخل، والانتقام من الأتراك!

وفي عام 1919، عندما تأسس حزب الإستقلال في دمشق والذي أصبح فيما بعد أهم الأحزاب القومية العربية على الإطلاق، كان من بين أعضاء هيئته التنفيذية الثمانية ثلاثة فلسطينيين هم: عزة دروزة، وزكي التميمي، وسليم عبد الرحمن، وهؤلاء يمثلون نسبة أعلى بكثير من نسبة شعب فلسطين الى شعب سوريا الكبرى!

وأخيراً وليس آخراً، عندما تم الإعلان عن قيام الدولة العربية بقيادة الملك فيصل في دمشق عام 1920، شارك العشرات من الفلسطينيين في ادارة وزارتها ودوائرها المختلفة، فكان عزّة دروزة سكرتيراً عاماً للمؤتمر السوري العام (البرلمان)، وعوني عبد الهادي سكرتيراً خاصاً للملك فيصل، وسعيد الحسيني وزيراً للخارجية،

وأمين التميمي مستشاراً لرئيس الوزراء، وأحمد حلمي عبد الباقي مديراً للخزينة، ومعين ماضي مديراً للمخابرات، ومحمد علي التميمي قائداً للشرطة وقائداً لشرطة دمشق، وصبحي الخضرا نائباً لمدير قوى الأمن العام، وعبد اللطيف صلاح مديراً لمعهد القانون، واسحق البديري قاضياً للقضاة في وزارة العدل، وآخرون.

وعرفاناً منه على ما قدّمه الشعب الفلسطيني للثورة العربية، أبلغ الملك فيصل حسن الدجاني أحد ممثلي فلسطين في المؤتمر السوري العام:

" أؤكّد لك، بأنه لولاهم [الفلسطينيون] لما كُنتُ الآن في دمشق. إنني لن أنسى فلسطين ولا خدماتها الجليلة! "



جنود أتراك في القــدس يمثلون جـزءا من حـامـيـة المدينة خـلال الحرب العالمية الأولى



جنود الفيلق العربي (جيش الأمير فيصل) في طريقهم من الحجاز الى شرق الأردن ثم دمشق عام 1916-1918



السيـر هنري مكمـاهون (1862-1949) المندوب السامي البريطاني في مصر الذي تبادل مع الشريف حسين خلال عام 1915 رسائل تؤكـد دعم بريطانيـا اقـامـة دولة عربية مستقلة في شبه الجزيرة العربية والعـراق وسـوريا الكبـرى (مع بعض التحـفظات التي لا تتـعلق بفلسطين) مـقـابل بدء الثورة ضد الأتراك، وأعطى الشريف مـوافـقـتـه (مع التحـفظ على التحفظات) في يناير1916



الشريف حسين حـاكم مكة والحـجاز (1854-1931) الذي أطلق رصـاصة الثورة العـربية عـام 1916 وعندمـا تبين له نكث البـريطانيين لوعودهم له أعلن نفسـه خليفـة للمسلمين، فنفـاه البريطانيون الى قبرص التي توفي فيها عام 1931، فأمر الحاج أمين الحسيني باحضار رفاته الى القدس ودفنه في الحرم القدسي الشريف بالقرب من المسجد الأقصى



جانب من مراسم دفن رفاة الشريف حسين في القدس عام 1931

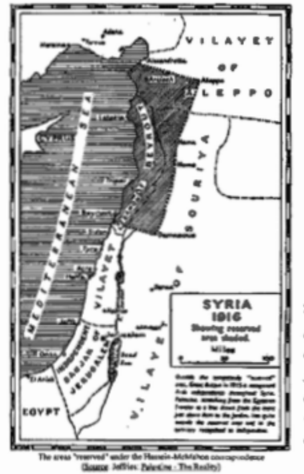
Map 1
THE EASTERN ARAB WORLD



Area of Arab independence as defined by Sherif Husein in his letter dated 14 July 1915 to Sir Henry McMahon, British High Commissioner in Egypt.

Area excluded from Arab independence as defined by Sir Henry McMahon in his letter to Sherif Husein No. 4 dated 24 October 1915 and further explained by letter No. 6 dated 14 December 1915.

خريطة تظهر حدود الدولة العربية المستقبلية التي تم الاتفاق عليها بين السير مكماهون والشريف حسين في يناير عام 1916، وتبدو المنطقة المتحفظ عليها من قبل الطرفين باللون الغامق وتشمل لواء الاسكندرونة واللاذقية ولبنان (ولا تشمل فلسطين)!



The areas "reserved" under the Hussein-McMahon correspondence
(Source: Jeffries: Palestine: The Reality)

خريطة تظهر بوضوح الحدود الشمالية الغربية للدولة العربية المستقبلية التي تم الاتفاق عليها بين السير مكماهون والشريف حسين عام 1916، وتبدو المنطقة المتحفظ عليها من قبل الطرفين باللون الغامق وتشمل لواء الاسكندرونة واللاذقية وشمال لبنان (ولا تشمل فلسطين)!



السير مارك سايكس الطرف البريطاني - والأهم - في معاهدة سايكس - بيكو، والذي تنبّأ له الكثيرون بتبوء منصب هام في الحكومة البريطانية بعد نجاحه في توقيع المعاهدة، الا انه توفي في سن الأربعين عام 1919 متأثرا بانفلونزا حادة



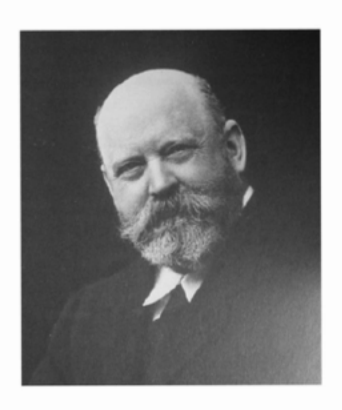
فرانسوا بيكو القنصل الفرنسي العام الذي وقع مع البريطاني سايكس معاهدة تقسيم المشرق العربي في مايو عام 1916



خريطة تبين الحدود المتفق عليها في معاهدة سايكس-بيكو التي تم توقيعها في مايو 1916، وتقسّم الجزء الشمالي للدولة العربية التي وُعد بها الشريف حسين الى منطقتي احتلال مباشر ومنطقتي نفوذ بريطاني فرنسي. أما فلسطين فتكون حسب الاتفاقية تحت السيادة المشتركة للحلفاء.



اللورد آرثر بلفور (1848-1930) وزير الخارجية البريطاني وصاحب الوعد المعروف والصادر في 2 نوفمبر 1917 عندما كان الجيش البريطاني بقيادة الجنرال أللنبي على أبواب فلسطين



اللورد روتشايلد ممثل المنظمة الصهيونية في بريطانيا الذي تلقى وعد بلفور من الحكومة البريطانية في 2 نوفمبر1917

Foreign Office,
November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Yours

Arthur James Balfour

نص وعد بلفور بخصوص اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وهو عبارة عن رسالة موجهة من بلفور بصفته وزير خارجية بريطانيا العظمى الى اللورد روثشايلد ممثل المنظمة الصهيونية في بريطانيا



وزير الخارجية الفرنسي بيشون الذى أعطى للصهيونيين وعداً شبيهاً بوعد بلفور في فبراير 1918



الفيلق العربي (جنود الامير فيصل) يصل الى دمشق فاتحاً عام 1918



الأمير فيصل ابن الشريف حسين في مقتبل العمر وقبل توليه عرش سوريا عام 1920



الملك فيصل بعد توليه عرش العراق عام 1921



العقيد البريطاني الشهير لورنس باللباس العربي والذي رافق الأمير فيصل والجيش العربي في رحلته لاحتلال بلاد الشام 1916-1919



رئيس بلدية القدس سليم افندي الحسيني يسلّم المدينة للجنود البريطانيين بعد انسحاب الحامية التركية في ديسمبر1917



الجنرال اللنبي (1861-1936) وجيشه يدخل القدس فاتحا في 11ديسمبر 1917.



جمال باشا السفاح (الملتحي وبالبزة العسكرية) في زيارة للحرم القدسي الشريف خلال الحرب العالمية الأولى



محمد عزة دروزة - سكرتير المؤتمر السوري العام 1920



احمـد حلمي عبد الباقي مدير الخـزينة في ادارة الملك فيصل بدمشق 1920



أعضاء القاعدة الفتاة وهو الحزب المعارض للنظام العثماني عام 1911 ويظهر في الصور عدد من الفلسطينيين منهم رفيق التميمي وعوني عبدالهادي ومعين آل ماضي (الصف الأول) وزكي التميمي (الصف الثاني) وعزه دروزه (الصف الخلفي).

الفصل الثامن

بروز حاييم وايزمان : ربيب بريطانيا وساحرها

بعد الوفاة المفاجئة لثيودور هرتزل عام 1904، تسلم ماكس نورداو(Nordau) الكاتب الألماني اليهودي الشهير ونائب هرتزل، زمام الرئاسة المؤقتة للمنظمة الصهيونية الى حين عقد المؤتمر السابع عام 1905، حيث تم انتخاب ديفيد ولفسون (Wolfsohn) رجل الأعمال من كولون ثم عالم النباتات اوتو واربورغ (Warburg) في المؤتمر العاشر عام 1911، وهو أيضاً يهودي ألماني من برلين.

ومع أهمية الدور الذي لعبته هذه الشخصيات في الحفاظ على استمرارية الحركة الصهيونية بعد وفاة المؤسس، الا أنه لم يكن لهم دور يذكر على صعيد التأثير الخارجي على الدول الكبرى كسلفهم الراحل، فأضحت الحركة بدون نجوم أو قيادات جاذبة للأضواء وبات من الواضح بأنها، بعد أكثر من عشر سنوات من وفاة هرتزل، بحاجة الى قائد جديد يملك المقوّمات العملية الكفيلة بدفع برنامج الحركة الصهيونية الذي تم اعتماده في بازل عام 1897 الى الأمام.

وقد اضطرت الحركة الصهيونية الى الانتظار الى حين بروز قائد جديد يملك المقومات المطلوبة ويدعى حاييم وايزمان (Weizmann).

الطفولة والتعليم

وُلد الطفل حاييم في تشرين الثاني عام 1874، في قرية موتول قرب مدينة بنسك (Pinsk) في غرب روسيا (فيما عُرف آنذاك بروسيا البيضاء) وكان واحداً من خمسة عشر ابناً وبنتاً لتاجر أخشاب يُدعى أويزر (Oizer) وزوجته راحيل (Rachel).

وبعد أن أنهى حاييم دراسته الاعدادية في مدرسة يهودية، أرسلته عائلته الى مدينة بنسك لإكمال دراسته هناك. وفي العام 1892، انخرط وايزمان الشاب في كلية مهنية في بروسيا الشرقية، ثم التحق بمعهد التكنولوجيا في العاصمة الألمانية برلين لدراسة الكيمياء الحيوية.

وفي العام 1898 - وكان قد انضم للحركة الصهيونية وأصبح أحد مُؤيدي الخط "الهرتزلي" بعد قرائته لكتّيب "الدولة اليهودية" - التحق وايزمان بجامعة فريبورغ بسويسرا، حيث حصل على الدكتوراة في الكيمياء الحيوية، وانضم بعدها الى جامعة جنيف حيث أصبح في العام 1901 مدرّساً فيها.

وكان العام 1903 هامًا من الناحية السياسية بالنسبة لهذا العالم الشاب. فقد كان عضوًا في المؤتمر الصهيوني السادس الذي طالب هرتزل أعضاءه تأييد فكرة الاستيطان في أوغنده، مما أدّى الى انقسام المؤتمر على نفسه. وعندما أُحيلت القضية للتصويت، قرر حاييم التصويت ضد هرتزل ومشروع أوغنده بينما صوّت والده أويزر، وكان أيضاً عضواً في المؤتمر، مع المشروع!

ومع أن نتيجة التصويت كانت لصالح هرتزل. والذي أعاد المنسحبين وقام بمراضاتهم، الاّ أن الشجار الذي وقع في المؤتمر ترك ألماً شديداً في نفوس العديد من الحاضرين ومن بينهم وايزمان الابن. وعلى أثر هذا الخلاف الحاد وخيبة الأمل الشديدة التي أصابت العديد من القيادات الشابة من جراء ما طرحه هرتزل، قرر حاييم أن يركّز على مستقبله العلمي والأكاديمي وينضوي عن العمل الصهيوني الرسمي.

ولذلك فعندما أعلنت جامعة مانشستر في بريطانيا عن حاجتها الى استاذ في قسم الكيمياء، قدم وايزمان طلباً، وحصل على الوظيفة ومن ثم توجه للاقامة في انجلترا عام 1904، مصطحباً معه خطيبته فيرا (Vera) والتي كانت هي الأخرى قد انهت دراستها في الطب ومن ثم أصبحت زوجته عام 1906.

تحرُّك وايزمان في بريطانيا

في مكان اقامته الجديد، بدأ وايزمان يشعر بالارتياح النفسي، فقد كان عمله الأكاديمي يتقدم بخطى وئيدة ثابتة، حيث قام بنشر العديد من الأبحاث العلمية مُسجّلاً العديد من الاكتشافات العلمية الجديدة في مجال الكيمياء الحيوية والأحياء الدقيقة.

ومن الناحية السياسية العامة، كان وايزمان يقابل الشخصيات السياسية البريطانية باستمرار، ويُحولّها "بسهولة كبيرة" الى حظيرة الصهيونية. فقد كانت له - كما كتب العديد من معاصريه - شخصية مغناطيسية جذّابة، استطاع استخدامها ببراعة لجذب الكثيرين من القادة السياسيين. بالإضافة، فقد كان هؤلاء توّاقين لسماع حلول عملية لمشكلة اللاجئين اليهود الذين أخذوا يفدون بأعداد كبيرة للإقامة في بريطانيا والاستقرار فيها، الأمر الذي أبرز نزعة جدّية وقوية من

الشعور المعادي لليهود في تلك الجزيرة المنعزلة بعض الشيء عن باقي أوروبا والتي قال عنها نورداو خلال المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897 أنها الدولة الأوروبية الوحيدة التي خلت من اللاسامية.

ومن أوائل من حوّلهم وايزمان الى مؤيّدين للصهيونية - وأحد أهمهم - كان شارلز سكوت (Scott)، رئيس تحرير صحيفة الغارديان (Guardian) الشهيرة التي كانت تصدر من مانشستر آنذاك. فعدا عن تأييده للفكرة الصهيونية عبر صفحات جريدة ذات تأثير هام في السياسة البريطانية، قام سكوت بتعريف وايزمان بعدد من الشخصيات الهامة، ومنهم من كانوا أعضاءً في الحكومة البريطانية ومجلس النواب واللوردات.

كذلك استطاع وايزمان استخدام الجالية اليهودية الموجودة في مانشستر للتأثير على القادة البريطانيين، وأهم ما في الأمر قيام الدكتور شارلز دريفوس (Dreyfus) عام 1906 بتقديمه الى آرثر بلفور (Balfour) وكان دريفوس رئيس لجنة حملة الأخير الانتخابية لمجلس النواب عن منطقة شرق مانشستر، والتي يقطنها عدد كبير من اليهود. وقد استطاع وايزمان الحصول على دعم بلفور الكامل للحركة الصهيونية، قبل ما يزيد عن عشر سنوات من تصريحه الشهير في تشرين الثاني عام 1917! وعندما تقابل الاثنان عام 1917، خلال المفاوضات الصهيونية البريطانية بخصوص الحصول على وعد بشأن فلسطين، قال بلفور مُداعباً:

"ليس هناك من ضرورة لتعريفي بالدكتور وايزمان. فهو الذي حوّلني الى الصهيونية خلال معركة الانتخابات في شرق مانشستر".

بل استطاع وايزمان الحصول على التأييد الكامل لرئيس الحكومة البريطانية آنذاك، ديفيد لويد جورج (Lloyd George)، والذي كانت المنظمة الصهيونية قد استأجرت خدماته كمحامي عام 1903، لتحضير مسودة مشروع الاستيطان اليهودي في أوغنده. وقد كتب لويد جورج لاحقاً يقول:

"لقد قابلت الدكتور وايزمان لأول مرة خلال الأيام العصيبة عام 1915، عندما كانت هذه البلاد في غمار الحرب العالمية الاولى. وكنت أحاول جاهداً ايجاد حل لمشكلة نقص العتاد الحربي... ولكنه [وايزمان] وباستعماله لعلمه... قد مكّننا من تجاوز تهديد قاتل لانتاجنا من مادة الكوردايت. لقد قدّم لهذا البلد خدمة مهمّة

وأساسية... وكل ما طلبه هو أن تقوم الحكومة البريطانية بدراسة رجائه من أجل شعبه، حتى يتمكن من قيادة اسرائيل الموجودة في المنفى الى جبل صهيون".

وأكمل لويد جورج قائلاً: "لقد كنت مستعداً لدراسة ما طلبه، وكذلك اللورد بلفور... وقد قامت الإدارة التي كنت أقودها لاحقاً بتخويل صدور تصريح بلفور، الذي يضمن لليهود وطن قومي [National Home] في فلسطين. وبهذا، فان انجازات الدكتور وايزمان العلمية لصالحنا في الحرب ضد الظلم والعدوان، مثّلت حلقة مهمة في سلسلة الأحداث التي أدّت الى ذلك التصريح التاريخي".

حتى ونستون تشرتشل (Churchill) والذي أصبح وزيراً للمستعمرات مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى، فقد جذبته -كما ادّعى- شخصية وايزمان الى الصهيونية. ففي خلال المعركة السياسية ضد الشيوعية في بريطانيا في الأعوام 1918-1920، قارن تشرتشل بين "الطاقات النارية للدكتور وايزمان، قائد المشروع الصهيوني". وبين الشيوعيين اليهود "التائهين عن الحق". وطلب من اليهود أن يتبعوا الأول.

من المؤكد بأن شخصية وايزمان كانت جذّابة ومرموقة ومحبوبة من قبل الكثيرين من الساسة البريطانيين صانعي القرار آنذاك، الا أنه لا يجب التقليل من أهمية وجاذبية "الحل الصهيوني" الذي طرحه وايزمان، بالنسبة لبلفور ولويد جورج وتشرتشل وغيرهم من البريطانيين.

ومما لا شك فيه بأن ذلك "الحل الصهيوني" كان حلاً مثالياً من الناحية البريطانية، لمشكلة الهجرة اليهودية المتفاقمة الى بريطانيا، وبالتالي، فان تحويل "أولئك المشردين اليهود" القادمين من اوروبا الشرقية الى فلسطين، بدلاً من توجههم لبريطانيا - وبرضى القيادات اليهودية وتأييدها - هو خير ما كان يتمناه قادة بريطانيا!

لقد أصاب الساسة البريطانيون المؤيدون للصهيونية عصفورين بحجر واحد، فهُم قد أرضوا اليهود من جهة وأشبعوا من جهة أخرى رغبات الشعب البريطاني الذي لم يكن يرغب باحتضان لاجئين ينتمون الى ديانة وعرقية مختلفة ولا حتى يتكلمون لغتهم!

الدعم البريطاني لوايزمان بعد وعد بلفور

في العام 1917، وخاصة بعد صدور وعد بلفور، أصبح حاييم وايزمان القائد الطبيعي للحركة الصهيونية بلا منازع والناطق الرئيسي بلسانها . ومع ذلك فهو لم يكن حتى عضواً في الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية. ولم يتم انتخابه رسمياً كرئيس للمنظمة الصهيونية إلا في العام 1921.

وفي أوائل آذار 1918 وبمباركة بريطانية. تحّرك وايزمان على رأس وفد صهيوني الى فلسطين وذلك " لدراسة الوضع الحالي للمستعمرات اليهودية في فلسطين. وتنظيم المساعدات والإشراف على تصليح الدمار الذي لحق بالمستعمرات الصهيونية خلال الحرب". كما أبلغ اللورد بلفور مجلس العموم البريطاني آنذاك.

وقد حددت الحكومة البريطانية دور الوفد الصهيوني كما يلي:

" على الوفد أن يمثّل المنظمة الصهيونية وأن يعمل كجسم استشاري للسلطات البريطانية في فلسطين في كل المسائل المتعلقة باليهود، أو التي تؤثر على إقامة وطن قومي للشعب اليهودي حسب تصريح حكومة جلالته".

وكانت تلك الزيارة هي الثانية التي يقوم بها وايزمان لفلسطين. فقد سبق له وأن زارها عام 1907. حيث أبلغ بعض الأصدقاء بعد الزيارة الأولى أنه قد "سمع شيئا عن الحركة الوطنية العربية الناشئة هناك".

وايزمان والفلسطينيون: بين نظرية آحاد هاعام ونظرة أهارون أهارونسن

منذ بداية نشأته السياسية، تأثر وايزمان بصديقه و"معلمه الروحي" آحاد هاعام، الذي انتقد بشدة اسلوب التعامل الصهيوني مع العرب الفلسطينيين، وحذّر من مقاومة عربية كبيرة للهجرة والإستيطان اليهودي منذ العام 1891. وقد قرأ وايزمان ما كان هاعام قد كتب ينصح فيه القيادة الصهيونية:

" إن الشعب العربي... والذي نعتبره غير موجود وذلك منذ بداية الإستيطان في فلسطين، قد سمع وصدّق بأن اليهود قد حضروا لطرده من أرضه..."

" إذا أردت بناء منزل في أرض فيها بيوت وسكّان آخرين، فإنك سيد بلا حدود

داخل بيتك فقط. أما خارج الباب، فكل السكّان شركاء، وإن إدارة الكلّ يجب أن تتم حسب اتفاق جميع الشركاء".

ولكن ما أن وطئت قدما وايزمان فلسطين عام 1918، إلا ونسي جزءاً أساسياً من نصيحة هاعام. ويقول سيمحا فلابان (Flapan) وهو كاتب يهودي:

"لقد اتّبع وايزمان تعليمات آحاد هاعام في علاقاته مع كل العرب، باستثناء الفلسطينيين. ففيما يختص بهم، فقد استمع الى نصائح أهارون أهارونسن، الذي اعتبر الفلسطينيين شعب متخلف وخائن وفاسد".

كان أهارونسن (Aaronsohn) يهودي من سكّان فلسطين عمل مع المخابرات البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى، ثم أصبح فيما بعد عضوا في اللجنة الصهيونية في فلسطين. وقد كتب عام 1917 يقول:

" لو سمحنا للفلاحين الجهلة، القذرين والمؤمنين بالخرافات بأن يعيشوا الى جانب اليهود القادمين الجدد، ويكونوا على احتكاك قوي بهم، لتبخرت الإمكانية الضئيلة لنجاحهم في الإستيطان. كما نعرف عن العرب، فإننا لم نجد فيهم بعد الرجل الذي يستطيع أن يقاوم الرشوة".

كذلك كتب العقيد مينرتزاغن (Meinertzhagen) في مذكراته، وقد كان رئيسا لشعبة الإستخبارات السياسية في الجيش البريطاني في فلسطين عام 1917 وأصبح صديقاً لوايزمان، عن زيارة الأخير له عام 1918 في وزارة الدفاع البريطانية قائلا:

" لقد زارني اليوم الدكتور وايزمان، رئيس الوفد الصهيوني. وقد وجدته متفتّحاً جداً ولطيفاً. إنه سيذهب لزيارة فلسطين خلال أيام قلائل وبلا شك سيكون شوكة في جنب ادارتنا المدنية هناك. وهو بطبيعته عدو عنيف للعرب، وفي هذه المسألة سيحصل على تأييد محدود من ضباطنا، مع أنني شخصياً مستعد لدعم يهودي ضد عربي في أي زمان ومكان. إن اليهودي يعني التقدم وبناء الحكومة الحديثة، أما العربي فهو الركود بعينه ويمثل اللا أخلاقية، والحكومة العفنة والمجتمع الفاسد غير الصادق".

والجدير بالذكر أن مينرتزاغن طُرد من الخدمة الحكومية عام 1920 لاتهامه علانية القيادة العسكرية البريطانية في فلسطين بتحريض العرب على التمرّد على

المندوب السامي البريطاني هربرت صمويل وصكّ الانتداب. وذلك بعد أن أثبت التحقيق عدم صحة ادعاءاته.

الاتصال الأوّلي لوايزمان بالفلسطينيين

ما أن وصل وايزمان الى فلسطين في مارس عام 1918، إلا وترّقب الجميع - عرباً ويهوداً وبريطانيين - وبلهفة شديدة نتائج لقائه وجهاً لوجه مع ممثلي الشعب الفلسطيني.

وكان البريطانيون - من رئيس الوزراء فما دون - قد أوضحوا لوايزمان أهمية دوره في إزالة الخوف من قلوب الفلسطينيين والعرب وبخاصة فيما يتعلق بهدف الصهيونية القاضي ببناء وطن يهودي في فلسطين. بالإضافة، فقد طلبوا منه أن يحاول جاهداً التوصل الى صيغة اتفاق مع الفلسطينيين أو مع ممثل العرب في ذلك الوقت - الأمير فيصل بن الحسين- الذي كان يُقيم في العقبة.

بعد وصوله بحوالي الشهر، في 27 أبريل 1918، قام الجنرال ستورز (Storrs) الحاكم العسكري للقدس، بدعوة وايزمان واللجنة الصهيونية وبعض الأعيان الفلسطينيين لحفل عشاء. وقد ألقى وايزمان خطاباً أبلغ فيه الحاضرين بعدم نية الحركة الصهيونية اقامة دولة يهودية، ولكنها فقط تبتغي " خلق الأجواء المادية والمعنوية الملائمة التي يمكن من خلالها أن يصبح بإمكان من يرغب من شعبنا المجيء الى هنا..." وأضاف وايزمان قائلاً بأن الحكم الذاتي علم في غاية التعقيد ولا يستطيع أي شعب أن يتعلمه بيوم واحد. ولذلك فقد أيّد الإنتداب على فلسطين من قبل إحدى الدول الأوروبية.

ويقول ستورز - الذي لم يكن يعرف العربية - في روايته لأحداث عن هذا الحفل بأن مفتي القدس كامل الحسيني، ألقى خطبة شكر فيها وايزمان وصلّى من أجل الهدف المشترك الذي سيجلب الرفاه لفلسطين، ثم تلى حديثاً للرسول بما معناه "ما لنا لكم وما علينا عليكم".

أما الرواية الفلسطينية لما حدث في هذا العشاء فتختلف تماما عما رواه الجنرال ستورز.

"في يوم 27 نيسان، أعَدّ السيد ستورز، حاكم القدس العسكري، حفل عشاء على شرف الوفد الصهيوني. وقد حضر العشاء كامل أفندي الحسيني مفتي القدس، وما أن سمع ما قيل في الخطب عن المستقبل الذين كانوا يحيكونه لفلسطين، إلا واحتجَّ وغادر الحفل".

وتبدو الرواية الفلسطينية الأقرب الى الواقع والحقيقة. ففي نفس الليلة، كتب وايزمان رسالة الى زوجته قال فيها:

"أرى أنه ليس من الضروري أن نشغل أنفسنا بالعرب في الوقت الحاضر. لقد فعلنا ما طُلب منا، لقد شرحنا وجهة نظرنا، وعليهم إما أن يقبلوها أو يرفضوها".

وفي 8 مايو 1918 وبطلب من البريطانيين، تم دعوة وايزمان للتحدث في اجتماع الرابطة الإسلامية المسيحية في يافا وبحضور رئيس الرابطة القاضي راغب الدجاني. وفي حديثه أكد وايزمان بأن هدف الصهيونية ليس السيطرة على الزمام السياسي، ولكن فلسطين بلد غنية بأراضيها الزراعية التي يمكن أن تستوعب عدة أضعاف سكّانها الحاليين. وأضاف بأنه ليس لديه أي خطط بخصوص مستقبل فلسطين ولكنه سيستطيع الحكم على الأمور " عندما يصبح المستقبل حاضرا".

وقد رد الدجاني بكلمات دبلوماسية ولكنها واضحة:

"إن المسلمين والمسيحيين سيعاملون المواطنين الإسرائيليين [اليهود] كما يُعاملون مواطنيهم، طالما أن الإسرائيليين سيحترمون حقوق الآخرين، ويفعلون ما يقولونه لنا"!

وفي 30 مايو كتب وايزمان الى اللورد بلفور يعبّر فيه عن يأسه من كسب ثقة وتأييد الفلسطينيين قائلاً:

"إن العرب، الذين يبدون أذكياء وسريعي البديهة لأول وهلة، يعبدون شيئا واحدا فقط - القوة والنجاح... إن السلطات البريطانية التي تعرف طبيعة العرب المخادعة... عليها أن تراقب الوضع بدقة واستمرار... وكلما حاول الحُكم الإنجليزي أن يكون أكثر عدالة، كلما تعجّرف العرب وتمرّدوا أكثر. إن الوضع الحالي كان سيخلق بالضرورة فلسطين عربية، لو كان في فلسطين شعب حقيقي. ولكن النتيجة لن تكون كذلك، لأن الفلاح [الفلسطيني] متخلف زمنياً أربعة قرون على الأقل. أما

الأفندي، فهو غير شريف، غير متعلم، طمّاع وغير وطني بالإضافة الى كونه عديم الإنتاج".

بهذه الكلمات التي ظلت طي الكتمان لعشرات السنوات، وصف وايزمان وبعد أقل من شهرين من قدومه الى فلسطين عام 1918 الشعب العربي الفلسطيني. والعجيب في ذلك كله أن العالم بشرقه وغربه - وحتى بعض المؤرخين العرب والفلسطينيين - اعتبر وايزمان بأنه كان " أبا التفاهم مع العرب" وبأنه قد حاول جاهداً منذ البداية للوصول الى حلول وسطية معهم!

والصحيح - وكما سيتضح لاحقاً - أن وايزمان أخذ ينصح بالتفاهم مع الفلسطينيين فقط عندما كانت الحركة الصهيونية في حالة جزر وانحسار وذلك في منتصف العشرينات ثم في منتصف الثلاثينات. أما في حالة المد الصهيوني عام 1918 - 1920، فقد عبّر وايزمان عن حقيقة شعوره تجاه الفلسطينيين في أكثر من مناسبة.

وعندما حاول السيد سولومون (Solomon)، أحد اليهود السفارد المخضرمين ومن عائلة قطنت القدس منذ مئات السنين - وكان نائباً لرئيس بلدية القدس - أن يحّث وايزمان على تبنّي سياسة تعاون مع الفلسطينيين في العام 1918، كان رد وايزمان له:

" إننا لا نحتاج اليهم، نحن معنا انجلترا وهي تقف كلية الى جانبنا"!



الطفل وايزمان في روسيا البيضاء في العام 1882-1883



الشاب وايزمان بعد تخرجه من الجامعة في سويسرا عام 1901



وايزمان مع زوجته فيرا يوم زفافهما في ألمانيا عام 1906 وكان آنذاك مقيماً في مانشستر منذ 1904 بعد خيبة أمله من القرار الذي اتخذه المؤتمر السادس عام 1903 بتأييد هرتزل بخصوص توطين اليهود في أوغنده والذي صوت وايزمان ضده وصوت والده الى جانبه!



شارلز درايفوس الذي عرّف وايزمان على اللورد بلفور وكان رئيس الحملة الانتخابية للأخير في شرق مانشستر عام 1906



ديفيد لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا عام 1917 والذي أشاد بدور وايزمان العلمي لصالح انجلترة في الحرب العالمية الأولى وبالتالي تمت مكافأته بمنحه وعد بلفور



ونستون تشرتشل الذي أصبح وزيراً للمستعمرات بعد الحرب العالمية الأولى، وبعد لقائه بوايزمان طلب من اليهود إتباع «قائد المشروع الصهيوني» بدلاً من اتباع الشيوعيين اليهود «التائهين عن الحق»!.



استقبال وايزمان وزوجته وابنه عند زيارته لفلسطين على رأس الوفد الصهيوني عندما اصبح رئيساً للمنظمة الصهيونية عام 1921.



اهارون اهارونسون (1876-1919) اليهودي من سكان فلسطين قبل 1917والذي عمل مع المخابرات البريطانية عام 1917-1918 ومن ثم مع وايزمان وكان حاقدا بشدة على الفلسطينيين والعرب





العقيد مينرتزاغن في شعبة الاستخبارات البريطانية في زي ضابط مصري (أعلى) وزي ضابط بريطاني (أسفل). وكان يحقد على العرب، وقد طرد من الخدمة لاتهامه القيادة العسكرية البريطانية في فلسطين علانية بتحريض العرب على رفض صك الانتداب والحركة الصهيونية



السير رونالد ستورز اول حاكم عسكري للقدس عام 1918 الذي حاول مساعدة وايزمان عن طريق تعريفه ببعض أعضاء القيادة الفلسطينية فلم ينجح



حاييم وايزمان في زيارة شكر ومودة للورد بلفور قبيل وفاة الأخير عام 1930

الفصل التاسع

حاييم وايزمان وصخور يهودا: عقبات يجب ازالتها!

بعدما يأس من الوصول الى اتفاق مع الفلسطينيين اثر زيارته الثانية في ربيع العام 1918، قرر حاييم وايزمان، وكان ما يزال رئيساً للجنة الصهيونية في فلسطين، أن يتحرك بإتجاه الهاشميين ممثلي الثورة العربية التي إنضوى تحت لوائها الشعب الفلسطيني وقياداته.

كان المخطط الذي يريد وايزمان اتباعه في محادثاته مع الهاشميين هو عقد اتفاق فيه نوع من المقايضة وعلى أساس أن يقبل الهاشميون بإقامة وطن يهودي في فلسطين وجزء من شرق الاردن مقابل أن تدعم الحركة الصهيونية إقامة مملكة مستقلة في الأقطار العربية المحيطة بفلسطين (شبه الجزيرة العربية والعراق وسوريا وجزء من شرق الأردن) بقيادة الهاشميين.

كان وايزمان يعتقد أن تحقيق مثل هذا الإتفاق ممكن، لأن العرب أصبحوا يشكّون في نوايا الدول العظمى في منحهم الدولة المستقلة التي وُعد بها الشريف حسين من قبل الحكومة البريطانية في العام 1916، وبخاصة بعد أن علموا بوجود الإتفاقية المعروفة باسم سايكس - بيكو الموقعة في العام نفسه، والتي قسمت معظم أراضي الدولة العربية المستقبلية الى مناطق نفوذ فيما بينهما.

قابل الدكتور وايزمان الأمير فيصل لأول مرة في 4 يونيو 1918، وذلك في منطقة الوحيدة في شرق الأردن. وهناك، وفي محاولة لأخفاء النوايا الحقيقية للحركة الصهيونية، قال وايزمان للأمير:

"إن اليهود لا يقترحون إقامة حكومة يهودية، ولكنهم يودون أن يعملوا تحت الحماية البريطانية، من منظار الإستيطان وتطوير البلد، بدون أن يتعدّوا على الحقوق المشروعة لأحد".

بعد ذلك الإجتماع الأول، شعر كلا الطرفين أنه بالإمكان الإستفادة من الطرف الأخر. فقد اعتقد وايزمان بأن فيصل ربما يكون مستعدا للتضحية بفلسطين وجزء من شرق الأردن في سبيل إقامة مملكة عربية في البلاد المجاورة، وبالمقابل اعتقد فيصل بأن اليهود يملكون من القوة المادية والمعنوية لدى القوى العالمية بما يمكّنهم من دعم إقامة المملكة العربية بقيادة والده الشريف حسين.

وقد عاد وايزمان الى فلسطين سعيداً بلقائه بفيصل مع أن الاجتماع لم يتمخض عن شيء، مشيراً الى أن الفلسطينيين "عنصر ذو معنويات مفقودة ويستحيل التفاهم معهم". أما فيصل "فهو أمير حقيقي. ورجل يكون الواحد فخوراً به كعدو ومرحبا به كصديق"! أي أن اليأس من امكانية الاتفاق مع القيادة الفلسطينية كان قد استقر في وجدان وايزمان بعد أقل من ثلاثة أشهر من تواجده في فلسطين!

وفي 17 يوليو 1918، كتب وايزمان الى وزير الخارجية البريطاني بلفور، مؤكّداً له بأنه لا داعي لأن يقلق بخصوص مسألة الفلسطينيين مشيراً الى:

"... إن الحركة العربية الحقيقية قد أخذت تتطور في دمشق ومكة... إن ما يُدعى بالمسألة العربية في فلسطين ستأخذ طابعاً محلياً بحتاً، ولا يعتبرها أي من الضالعين بالموقف المحلي كعامل مهم..!"

وفي رسالة لإبنه بتاريخ 3 أغسطس من العام نفسه، كتب وايزمان يقول بأنه "ليس هناك من أمل حتى في إيجاد لغة مشتركة مع العنصر المحلي". وفي 19 أغسطس، كتب رسالة أخرى الى عائلته معبّراً عن يأسه التام من الوصول الى أي نوع من الاتفاق مع الفلسطينيين مشبههم بـ "صخور يهودا... عقبات يجب إزالتها من أجل بناء طريق صعب".

وفي يناير 1919، وبينما أخذ موعد مؤتمر السلام في باريس من الإقتراب، عقد وايزمان والأمير فيصل لقاءً للمرة الثانية. وخلال هذا اللقاء، طُلب من الأمير فيصل - وبصحبته العقيد لورنس كمستشار ومترجم - التوقيع مع وايزمان على اتفاقية مكتوبة بالانجليزية كان نصها كما يلي:

"ان صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والقائم بالعمل نيابة عنها والدكتور حاييم وايزمن ممثل المنظمة الصهيونية والقائم بالعمل نيابة عنها، مع علمهما بالقرابة العرقية والصلات القديمة القائمة بين العرب والشعب اليهودي وأدراكهما ان أضمن الوسائل لبلوغ غاية أهدافهما الوطنية هو في اتخاذ أقصى ما يمكن من التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين، ولكونهما يرغبان في زيادة توطيد حسن التفاهم الذي بينهما فقد اتفقا على المواد التالية:

1. يجب أن يسود جميع علاقات والتزامات الدولة العربية وفلسطين أقصى النوايا الحسنة والتفاهم المخلص وللوصول إلى هذه الغاية يتم تبادل

والحفاظ على وكلاء[سفراء] عرب ويهود معتمدين حسب الأصول في بلد كل منهما.

2. تُحدد بعد اتمام مشاورات مؤتمر السلام مباشرة الحدود النهائية بين الدولة العربية وفلسطين من قبل لجنة يُتفق على تعيينها من قبل الطرفين المتعاقدين.

3. عند إنشاء دستور إدارة فلسطين تُتخذ جميع الإجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرخ في اليوم الثاني من شهر نوفمبر سنة 1917.

4. تُتخذ جميع الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مدى واسع والحث عليها وبأقصى ما يمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الاسكان الواسع والزراعة الكثيفة. ولدى اتخاذ مثل هذه الإجراءات تُحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين المستأجرين العرب وتتم مساعدتهم في سيرهم نحو التقدم الاقتصادي.

5. لا يُسن نظام أو قانون يمنع أو يتدخل بأي طريقة ما في ممارسة الحرية الدينية ويجب أن يُسمح على الدوام أيضا بحرية ممارسة العقيدة الدينية والقيام بالعبادات دون تمييز أو تفضيل وأن لا يُطالب قط باشتراطات دينية لممارسة الحقوق المدنية أو السياسية.

6. تُوضع الأماكن الإسلامية المقدّسة تحت رقابة المسلمين.

7. تقترح المنظمة الصهيونية إرسال لجنة من الخبراء إلى فلسطين لتقوم بدراسة الإمكانيات الاقتصادية في البلاد، وأن تقدم تقريرا عن أحسن الوسائل للنهوض بها. وستضع المنظمة الصهيونية اللجنة المذكورة تحت تصرف الدولة العربية بقصد دراسة الإمكانيات الاقتصادية في الدولة العربية وتقديم تقرير عن أحسن الوسائل للنهوض بها وستستخدم المنظمة الصهيونية أقصى جهودها لمساعدة الدولة العربية بتزويدها بالوسائل لاستثمار الموارد الطبيعية والإمكانيات الاقتصادية في البلاد.

8. وافق الفريقان المتعاقدان أن يعملا بالاتفاق والتفاهم التامين في جميع الأمور التي شملتها هذه الاتفاقية لدى مؤتمر الصلح.

9. يُحال كل نزاع قد يثار بين الفريقين إلى الحكومة البريطانية للتحكيم.

وُقع في لندن، إنجلترا في اليوم الثالث من شهر يناير سنة 1919.

في تلك المرحلة من التاريخ، وجد الأمير فيصل نفسه في وضع سياسي صعب ومعقد للغاية، فالمملكة العربية التي وُعد بها والده أضحت - بعد نشر اتفاقية سايكس بيكو - في مهب الريح، وكان عليه أن يفكّر مليّاً في مسودّة الاتفاقية الموضوعة أمامه بالاضافة إلى العرض "الشفوي" الذي قدّمه له وايزمان بخصوص دعم لا محدود من اليهود لاقامة الدولة العربية مقابل الاستغناء عن فلسطين وجزء من شرق الاردن، والتي كانت تمثل جزءاً صغيراً من المملكة سواء من ناحية المساحة أو السكان. كذلك شرح له لورنس بوضوح عند ترجمة الاتفاقية، عن النفوذ الكبير التي أضحت الحركة الصهيونية تتمتع به والمركز الهام الذي تبوأه وايزمان لدى الحلفاء بشكل عام والحكومة البريطانية بشكل خاص.

وقد استوعب الأمير أن عدم التوقيع، وبخاصة عشية انعقاد مؤتمر السلام بباريس، سيضُرّ كثيراً بالمصلحة العربية العليا وسينهي أي أمل في إقامة مملكة عربية مستقلة التي جازف والده الشريف حسين بمركزه وسمعته وبالثورة على الأتراك من أجل تحقيقها.

ولكن، وفي تلك اللحظات الحرجة التي كان على ممثل الهاشميين أن يوقّع على تنازل مؤلم للحركة الصهيونية، تردد الأمير وسحب قلمه بعيداً عن ورقة الاتفاقية!.. وربما استذكر قصة ما حدث بجده الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم التحكيم مع معاوية بن أبي سفيان... يوم استغفل عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري، فجعله يخلع علياً عن سدة الحكم بقوله الشهير "كما أخلع هذا الخاتم من أصبعي" ثم صعد عمرو بن العاص فثبت معاوية بقوله الأكثر شهرة "كما أثبّت هذا السيف في غمده". فاذا ما وقع الأمير على التنازل عن فلسطين فما الذي سيضمن دعم اليهود لاقامة الدولة العربية في باقي المناطق؟

وبالتالي استعمل فيصل كل ما لديه من البدوي لايجاد مخرج مناسب من المطب الكبير الذي أصبح على شفى حفرة من الوقوع فيه! فأمسك الأمير بالقلم من جديد للتوقيع على الإتفاقية المطبوعة بالانجليزية والجاهزة للتوقيع من قبل وايزمان أيضا. ولكنه قرر اضافة فقرة عليها باللغة العربية وبخط يده كما يلي:

"إذا نالت العرب استقلالها كما طلبناه بتقريرنا المؤرخ 4 كانون ثاني 1919 المقدم لسعادة وزير خارجية حكومة بريطانيا العظمى، فانني موافق على ما طلب منا فيها من المواد وان حصل أدنى تغيير أو تبديل فلا أكون مُلزماً أو مُرتبطاً بأي كلمة كانت بل تُعد هذه المعاهدة كلا شيء ولا حكم لها ولا اعتبار ولا أطالب بأية صورة كانت".

وعلى الفور، قام لورنس بترجمة ما كتبه الأمير على ورقة خارجية ليستطيع وايزمان ومن معه فهم ما أضيف، ولكنه - بقصد أو بغير قصد - لم ينقل روح التشدد والاصرار والغضب الذي عكسها فيصل في اضافته على الوثيقة باستعماله عبارات مثل "أدنى تغيير أو تبديل" و"بأي كلمة كانت" و"كلا شيء ولا حكم لها ولا اعتبار" و"لا أطالب بأية صورة كانت"... عبارات تدل على عدم وجود ثقة فيما يُخطط له الصهيونيون ومن خلفهم بريطانيا والقوى العظمى الداعمة لهم.

وعلى هذا الأساس، فقد اعتبر الأمير فيصل نفسه فيما بعد في حلّ من هذه الإتفاقية لأن البريطانيين لم ينفّذوا إلا الجزء اليسير مما طلبه منهم في 4 يناير 1919 بخصوص اقامة الدولة العربية الكبرى، بل نفّذوا فعلياً وبشكل كبير ما اتفقوا عليه مع الفرنسيين في معاهدة سايكس - بيكو!

وفي شباط 1919، ومتسلحا باتفاقيته مع الأمير فيصل، خاطب وايزمان مؤتمر السلام عارضاً مطالب الحركة الصهيونية، وعندما سُؤل عما يعني "بالوطن القومي اليهودي"، أجاب بأنه يجب خلق الأحوال المناسبة التي تحول فلسطين الى أرض يهودية "تماما كما أمريكا أمريكية وانجلترا انجليزية". وقد كان لهذه العبارة وقع القنبلة في فلسطين وسوريا، فاتهم أهلها وايزمان بأنه عميل بريطاني يحاول أن يفصل فلسطين عن سوريا وتساءلوا عن سبب توقيع الأمير على اتفاقية معه.

وقد وضع تصريح وايزمان هذا الأمير فيصل في موقف لا يحسد عليه وبخاصة أن ما كتبه باللغة العربية لم يتم التركيز عليه مطلقاً، مما اضطره الى التصريح التالي أمام الصحافة العالمية المحتشدة في باريس:

"فليأت اليهودي التعيس [الى فلسطين] ليجد له فيها ملجأ... تحت حكومة مسلمة أو مسيحية... ولكن إذا كان اليهود يرغبون بإقامة دولة ويحصلون على حقوق استقلالية في ذلك البلد، فإنني أتوقع أخطارًا ومشاكل جدية بينهم وبين العناصر الأخرى!"

المؤامرة ضد الشريف حسين وفيصل بعد مؤتمر السلام في باريس

لم تُنفّذ الحكومة البريطانية الا القليل القليل مما طلبه الأمير فيصل في مذكرته التي سلمها لوزير الخارجية البريطانية في 4 يناير 1919 والتي طالب فيها تنفيذ اتفاق والده الشريف حسين مع السير هنري مكماهون! بل على العكس... فقد قام البريطانيون باخراج الشريف من الحجاز ونفيه الى قبرص حيث توفي عام 1931 (ولكن الحاج أمين الحسيني استطاع احضار رفاته ودفنه في الحرم الشريف في القدس في جنازة مهيبة في العام نفسه). وبالمقابل - وضمن السياسة الاستعمارية المعروفة بـ " أضرب كف ثم عَدّل الطاقية " - عيّنت الحكومة البريطانية عبدالله ابن الشريف حسين أميراً على شرق الأردن وتوجّت ابنه الثاني فيصل ملكاً على سوريا. وفي يوليو 1920، قام الجيش الفرنسي باحتلال لبنان ثم سوريا تنفيذا لاتفاقية سايكس - بيكو وطردوا الملك فيصل من دمشق بعد معركة ميسلون، فأوصله البريطانيون الى العراق ونصبّوه ملكاً عليها، مع استمرار انتدابهم على شرق الأردن والعراق وفلسطين.

لم يساعد وايزمان الأمير فيصل في تحقيق أي من مطالبه من القوى العظمى، ولم يتمكن من الضغط على الحكومة البريطانية قيد أُنملة، فهو لم يكن يعرف آنذاك أي قوة أخرى غير بريطانيا... وقد عاش في خوف مستمر من أن يقوم البريطانيون بالإستغناء عن اليهود لصالح العرب إن إتخذت الحركة الصهيونية أي موقف يمكن تفسيره بمعادٍ للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط.

أما عن فيصل والإتفاقية التي لم تعش طويلاً فكتب وايزمان موضحا عدم تنفيذها قائلاً:

"إن هذا القائد... الذي وصلنا معه الى اتفاق كامل، كان لينفّذ ما اتفقنا عليه، لو كان قدره قد شُكّل كما توقعنا آنذاك، لسوء الحظ... لم يستطع تحقيق طموحاته".

أما عن تعامله مع العرب ككل فكتب يقول :

"إن العربي لديه موهبة كبيرة في أن يعّبر عن آراء متناقضة تماما مع آرائك، ولكن بطريقة ملتوية وبأدب زائد، الأمر الذي يجعلك تعتقد بأنه متفق تماما معك، وجاهز ليضع يده بيدك في الحال. إن الأحاديث والمفاوضات مع العرب لا تختلف

عن مطاردة سراب في الصحراء، مليئة بالأمل وحسنة المنظر. ولكن من الممكن أن تؤدي الى موتك من العطش".

بالنسبة للادارة العسكرية البريطانية في فلسطين في الاعوام 1918-1920 وقبل اعلان الانتداب، فقد شكلت وقاحة وايزمان والقيادات الصهيونية الأخرى في المطالبة بتهويد فلسطين في وقت لم يمثل اليهود فيه أكثر من 10% من السكان، احراجاً لها أمام السكان العرب بشكل عام والطوائف المسيحية العربية بشكل خاص والتي كانت تمثل أكثر من 15% من السكان. ففي اغسطس 1919 كتب واترز-تيلور (Waters-Taylor) وهو أحد كبار الضباط البريطانيين في فلسطين الى وزارة الخارجية، يتهجم فيها على سياسة وايزمان في التعامل مع الفلسطينيين قائلا:

" إنه لمن الصعب أن تفهم طريقة وايزمان في التعامل، فهو إما أنه:

(أ) لا يعرف أو قد أخطأ في فهم الشعور الحقيقي في فلسطين.

(ب) مُقتنع بأن المسلمين والمسيحيين سيقبلون قدرهم بدون مقاومة.

(جـ) يحاول أن يجس قوة الخصم، ويعتمد في ذلك على الجيش البريطاني إذا ما ثارت ثائرتهم [الفلسطينيين]."

وبحلول عام 1920، أصبح من الواضح أن سياسة وايزمان المتخصصة في اسلوب " فرّق تسد" بين عرب فلسطين وعرب الخارج لم تنجح. فهو لم يُوّفق في عقد اتفاقية قابلة للتنفيذ مع الأمير فيصل والهاشميين رغم كل أساليب الترهيب والترغيب والخديعة، ولم يستطع التفاهم مع الفلسطينيين رغم محاولة اخفاء حقيقة أهداف الحركة الصهيونية. وقد أدّى ذلك الى إصابته بشيء من الإحباط، بعد أن كان قبل سنتين فقط شديد الحماس فيما يتعلق باقناع العرب داخل وخارج فلسطين.

الإنتفاضة الأولى للفلسطينيين

وفي أبريل 1920 وقعت أول انتفاضة شعبية على مستوى الوطن بدأت كتظاهرة من القدس خلال موسم النبي موسى ضد صك الانتداب ووعد بلفور قادها الحاج أمين الحسيني، فصدر بحقه حكم غيابي بالسجن لمدة عشر سنوات، الا أنه غادر فلسطين هاربا من الملاحقة البريطانية وعاد بعد عام اثر صدور قرار بالعفو. وكان

الحاج أمين الذي أصبح فيما بعد الزعيم الأهم للشعب الفلسطيني في الثلاثينات والأربعينات، قد درس في الأزهر بالقاهرة ثم انضم الى الجيش العربي بقيادة الأمير فيصل عام 1916 وحضر المؤتمر السوري الأول في دمشق عام 1919. ثم عاد الى فلسطين للتحضير للعمل الوطني فعمل بادئ ذي بدء كمدرس في المدرسة الرشيدية بالقدس.

وكان أحد مؤيدي هذه الهبّة موسى كاظم الحسيني رئيس بلدية القدس آنذاك وأحد كبار الوجهاء في فلسطين (والد الشهيد عبد القادر الحسيني)، مما دفع بالقيادة العسكرية البريطانية الى اعفائه من مهامه في أبريل 1920 بتهمة التحريض على العنف.

وفي 30 يونيو 1920، والبلاد في حالة غليان، وصل السير هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني الى يافا فكان في استقباله قائد قوات الحلفاء الجنرال لويس بولز، الذي أصر- وكأنه يقرأ المستقبل - أن يوقّع صموئيل على ورقة استلام كتب عليها بالانجليزية " تم الاستلام من الجنرال السير لويس بولز فلسطين واحدة، كاملة"! فوقع صموئيل الورقة وأضاف عبارة كان التجار يستخدمونها دوما وهي "ما عدا السهو والخطأ" وسلّم الورقة للجنرال بولز!

بسرعة متناهية، أيقن الفلسطينيون بأنهم لن يأخذوا حقا أو باطلا من البريطانيين ومندوبهم السامي الصهيوني هربرت صموئيل الذي بدأ وبهمة ووتيرة عاليتين تنفيذ وعد بلفور والسماح بالهجرة اليهودية الى فلسطين. ولا من الحركة الصهيونية وممثلها حاييم وايزمان الذي بدأ يتحدث بصراحة ووقاحة متناهيتين عن أن تصبح فلسطين يهودية تماما كما انجلترا انجليزية وكما أمريكا أمريكية!

ومن أجل تنظيم رد الفعل ضد الانتداب، عقد الفلسطينيون مؤتمرهم الفلسطيني الأول عام 1921 وانتخبوا موسى كاظم الحسيني، رئيس بلدية القدس المُقال، رئيسا للجنته التنفيذية. وتحرك رجالات الحركة الوطنية لتنظيم التحرك الفلسطيني في مجابهة الانتداب والحركة الصهيونية وبدأوا على الفور بتنظيم المسيرات والتظاهرات والندوات احتجاجا على البدء بتنفيذ وعد بلفور.

وفي الأول من مايو 1921، اندلعت أحداث الشغب من جديد على مستوى الوطن وذلك اثر تظاهرة فلسطينية في مواجهة مسيرة يهودية في يافا وامتدت الثورة

كالنار في الهشيم الى مدن أخرى. وقد اجبرت هذه الأحداث حكومة الانتداب البريطانية بقيادة هربرت صموئيل، على التراجع التكتيكي والإبطاء بعض الشيء في تنفيذ مخطط تحويل فلسطين الى دولة يهودية.

لم يعجب هذا الأمر الحركة الصهيونية، ووجدت نفسها مضطرة لإختلاق الأعذار والأسباب لثورة الشعب الفلسطيني، والتبرير للعالم - المؤيد منه والمعارض - كيف يمكن "للمتخلفين الذي يعيشون أربعة قرون خلف الأزمان" حسب تعبير وايزمان... كيف يمكن لهؤلاء أن يثوروا؟

طرحت القيادة الصهيونية عدة تبريرات وتفسيرات للشغب والعنف الحاصل في فلسطين منذ بداية الانتداب عام 1920، كان أهمها نظرية "التحريض الخارجي". فقد إدّعى الصهيوني آبراهام روفسكي (Revusky) بأنه حتى العام 1920، كان الفلسطينيون "غير مبالين بفكرة الوطن القومي اليهودي، ولكنهم بدأوا يتأثرون بالدعاية الكبيرة التي أطلقها القوميون العرب، والذين رأوا في الدولة اليهودية عقبة في وجه تحقيق حلم الدولة العربية المتحدة".

ويكمل روفسكي "تفسيره" قائلا بأن هذا التحريض الخارجي له علاقة بقوى أوروبية لها مصلحة بعدم قيام دولة يهودية. وأهم هذه القوى برأيه هي فرنسا "التي كان عملائها في سوريا ولبنان يحرّضون على ذبح اليهود". وكذلك الكنيسة الكاثوليكية التي تكره اليهود بسبب موقفهم من المسيح. أما المحرّض الثالث، فهو النظام الشيوعي الجديد في روسيا. وبهذا الخصوص يقول هوراس صامويل (Samuel) أحد منظري الحركة الصهيونية :

"لقد تم ارسال ثمانية من العرب الى موسكو للتدرب ثم عادوا الى فلسطين لإحداث الشغب، وقد قام الشيوعيون بتوزيع المنشورات المؤيدة للعرب قبيل البدء بأعمال الشغب".

أما التبرير/التفسير الصهيوني الثاني فكان الإدعاء بأن العديد من الضباط والمسؤولين البريطانيين في فلسطين، كانوا يحملون أصلا شعوراً معادٍ لليهود، وقد وقعوا - بسبب رومانسيتهم - في حب الشعب الفلسطيني فتعاطفوا معه ضد الحركة الصهيونية. ورداً على هذه التهمة فقد كتب الجنرال البريطاني ستورز قائلا :

" لقد واجهت الإدارة العسكرية البريطانية مشكلة لا شبيه لها في التاريخ. وهي كيف يمكن للطرف (أ) أن "يعيد" أملاك الطرف (ب) للطرف (جـ) وبدون حرمان (ب)؟"

بل ذهب الصهيونيون الى أبعد من ذلك. فاتهموا البريطانيين بعشق ما أسموه بـ "الحياة البدوية البائسة" والتي بدت لهم جميلة ممتعة للنظر. وأن العرب تصرفوا كتابعين يعتمدون عليهم كلياً. فأحبّهم البريطانيون كما أحب روبينسون كروزو (Robinson Crusoe) العبد جمعة (Friday) في الرواية العالمية الشهيرة. بل إتّهم الصهيونيون بعض الضباط البريطانيين بتحريض الفلسطينيين على ذبح اليهود. كما حدث من إتهام للضابط كابراتو (Caperatto) في الخليل عام 1929.

تتويج وايزمان في المؤتمر الصهيوني الثاني عشر في كارلسباد

عُقد مؤتمر الحركة الصهيونية الثاني عشر في كارلسباد في عام 1921، بعد الحرب العالمية الاولى وانتزاع وعد بلفور من بريطانيا والتي مُنحت الأنتداب على فلسطين من قبل عصبة الأمم في العام1920. وقد تُوج وايزمان زعيماً رسمياً بانتخابه رئيسا للمنظمة الصهيونية في ذلك المؤتمر.

وقد ناقش مؤتمر كارلسبارد مطولا العلاقة مع العرب على ضوء الهبّة الأولى في القدس عام 1920 وحالة التوتر العام في فلسطين. وبناء على توجيهات من الرئيس الجديد ومن أجل ذر الرماد في عيون الأصدقاء والأعداء على حد سواء أصدر المؤتمر بيانا بأن الحركة الصهيونية " تبتغي العيش في علاقات من الوفاق والاحترام المتبادل مع الشعب العربي" وطلب من اللجنة التنفيذية العمل من أجل " الوصول الى تفاهم صادق مع العرب".

ومع استمراره في خلق الدعاية بأنه يريد حلاً توافقياً مع الفلسطينيين. الا أن وايزمان كان قد أقر سرّاً بعدم امكانية التوصل الى أي تفاهم مع العرب داخل فلسطين أو خارجها. وأخذ بالبحث عن طرق بديلة للتخلص من وجودهم كحجر عثرة في طريق الدولة اليهودية!

اللقاء مع الوفد الفلسطيني في لندن 1921

بعد فشله في تنفيذ اتفاقيته مع الأمير فيصل. واشتعال نار الثورة في فلسطين في أعوام 1920 و1921. أرغمت الحكومة البريطانية وايزمان على لقاء الوفد الفلسطيني القادم الى لندن في تشرين ثاني 1921.

وقد التقى وايزمان بالوفد الفلسطيني الذي كان برئاسة موسى كاظم الحسيني رئيس المؤتمر الفلسطيني الأول. وبعد اللقاء وصف أحد اعضاء الوفد الصهيوني وجهة نظر وايزمان في اللقاء قائلا:

" مع أن الدكتور وايزمان كان توفيقياً في خطابه، إلا أنه لم يكن مُوفقاً في اسلوب الإلقاء، فكان مثل الفاتح الذي يُسلّم خصمه المهزوم شروط الإستسلام. أعتقد بأنه كان يحتقر أعضاء الوفد[الفلسطيني] على أساس أنهم لا يستحقون أن يكونوا منافسيه".

وبالفعل، وصف وايزمان ذلك الوفد بأنه "من الدرجة الخامسة". وعاد أدراجه الى فلسطين وهو يفكر في كيفية التعامل مع الفلسطينيين الذين أضحوا يُمثّلون المشكلة الكبرى لليهود في فلسطين. وقد اتجه التفكير الصهيوني آنذاك، وبتأييد من وايزمان، في عدة اتجاهات يمكن تلخيصها في أربع نقاط :

1. محاولة رشوة القيادة الوطنية الفلسطينية

بناء على نصيحة لويد جورج، رئيس الوزراء البريطاني آنذاك والتجربة الصهيونية مع كبار موظفي الدولة العثمانية الأفلة، حاولت القيادة الصهيونية استعمال بعض الأموال الخاصة بالحركة الصهيونية لرشوة القيادة الفلسطينية وشراء الضمائر. إلا أنهم لم يفلحوا في الحصول على أي تنازل من أي من هذه القيادات، بل استمرت المعارضة العربية للحركة الصهيونية وفكرة الدولة اليهودية في تصاعد حتى وصلت ذروتها بالعصيان المدني والثورة المسلحة عام 1936 والتي استمرت ثلاث سنوات.

2. ضرب الوحدة الإسلامية-المسيحية

من أجل مواجهة وعد بلفور وصك الإنتداب، قامت القيادة الفلسطينية بانشاء الروابط الإسلامية-المسيحية في عدة مدن وقرى في البلاد. وقد استطاع أحد القيادات الصهيونية في فلسطين ويدعى حاييم كلفرسكي (Kalvarisky) إقناع وايزمان بأنه يمكن استغلال ما أسماه بشعور عدم الرضى من قبل المسلمين تجاه "إعطاء المسيحيين مناصب في حكومة الإنتداب أكثر مما يستحقون". فأيّد وايزمان التحرك بسرية ومن وراء الكواليس لاستغلال وتأجيج التناقض ما بين المسلمين والمسيحيين، من أجل خلق معارضة للقيادة الوطنية الفلسطينية.

وفي صيف 1921، بدأ كلفرسكي بإقامة ما سمي "بالروابط الإسلامية" والتي كان الهدف غير المعلن من تأسيسها منافسة الروابط الإسلامية-المسيحية المعارضة للانتداب. وباستخدام "الشعور بالمرارة تجاه المسيحيين، والشعور بعدم الرضى تجاه سيطرة بعض عائلات القدس على الحركة الوطنية"، نجح كلفرسكي في انشاء روابط اسلامية في حيفا وعكا والناصرة وطبريا، وقام بتسديد نفقات قياداتها، وإعطاء المنح والقروض لأعضائها، وتقديم الدعم المالي للصحف المؤيدة لها.

وعن هذه الروابط، وبمنتهى الصراحة والوقاحة، كتب وايزمان في شباط 1923:

"إنه لمن الضروري أن نشجّع قيام حزب غير متطرف، والذي لدينا نواة مهمة له... سنظل نعمل على ضمان استمرارية الروابط الإسلامية التي أقامها السيد كلفرسكي، وقد طلبنا منهم القيام بعمل علني لصالح التعاون بين كافة فئات السكان وعلى أساس صك الإنتداب".

ولكن هذه الروابط الإسلامية التي أطلق عليها الشعب الفلسطيني آنذاك اسم "روابط كلفرسكي" لم تعمّر طويلاً، حيث اعتبر الشعب رموزها خونة وعملاء للصهيونية والإستعمار فاندثرت بعد سنوات قليلة.

3. استغلال التنافس العائلي

استطاعت الحركة الوطنية في عام 1920، تحقيق مقاطعة فلسطينية كاملة للمجلس التشريعي الذي أنشأه هربرت صموئيل، المندوب السامي البريطاني. وعلى أثر ذلك، قام العقيد كيش (Kisch)، وهو ضابط بريطاني متقاعد وعضو بارز في الهيئة التنفيذية للحركة الصهيونية، بالإتصال ببعض أبناء العائلات الفلسطينية ذات التأثير السياسي والإجتماعي، والذين كانوا - لاسباب شخصية أو عائلية - على علاقة سيئة بقيادة الحركة الوطنية. وقد حث كيش هؤلاء في لقاءات معهم على إقامة حزب فلسطيني يؤيد الإنتداب ووعد بلفور.

وبالفعل قام بعض هؤلاء المعارضين بإنشاء حزب عُرف باسم "الحزب العربي الوطني" عام 1923. ولكن ذلك الحزب لم يستطع أن يؤيد علانية الإنتداب أو السياسة البريطانية في فلسطين! بل على العكس، فقد وجد قادة هذا الحزب أنفسهم مضطرين الى رفض وعد بلفور والإنتداب والمجلس التشريعي، الأمر الذي عنى عدم وجود مبرر لوجود هذا الحزب الجديد من وجهة النظر الصهيونية. وبعد

فترة قصيرة لم تتجاوز السنة. انتهى هذا الحزب من على الخريطة السياسية الفلسطينية.

4. محاولة التفريق بين المدني والقروي

تحرك كلفرسكي باتجاه الفلاحين الفلسطينيين، يعبّئهم ضد المدنيين، وقام بإنشاء حزب "الزُرّاع". الذي كان هدفه المُعلن هو " تخليص الفلاحين من قبضة أصحاب الأراضي المدنيين". وقد قاد هذا الحزب، الذي أُنشئ عام 1924، بعض شيوخ القرى ذوي التأثير المحدود. وقامت الحركة الصهيونية بتغطية نفقات ذلك الحزب، الذي لقبّه الفلسطينيون "بحزب كلفرسكي".

وفي بداية الأمر استطاع حزب "الزُرّاع" أن يؤسس له بعض الفروع في قضاء نابلس والخليل وجنين والناصرة وعلى أساس التعاون مع حكومة الإنتداب، والطلب منها حماية الممتلكات الإسلامية، وإلغاء عدد من الضرائب على الأراضي.

وفي عام 1927، بعد ثلاث سنوات على انشاء الحزب، قامت الحركة الوطنية باغتيال أحد قياداته المعروفة بالعمالة، فتلاشى الحزب عن الوجود.

التغيّر الفجائي في سياسة وايزمان تجاه الفلسطينيين

وفجأة، وفي المؤتمر الصهيوني الرابع عشر المنعقد في فيينا في يونيو 1925، عبّر وايزمان عن تغّير واضح في سياسته المعلنة تجاه الفلسطينيين مُخاطباً أعضاء المؤتمر بلهجة صديقه ومعلمه السابق آحاد هاعام قائلا:

"يجب بناء فلسطين بدون اغتصاب المصالح المشروعة للعرب - بل لا يجب المس بشعرة واحدة من على رؤوسهم. إن المؤتمر الصهيوني يجب ألا يحدد لنفسه معادلات أفلاطونية وطوباوية. إن عليه أن يعي حقيقة أن فلسطين ليست روديسيا، وأن 600 الف عربي يعيشون هناك، والذين حسب قوانين العدالة العالمية، لهم نفس الحق بالعيش في منازلهم كما لنا نحن في وطننا القومي. طالما أن هذه الفكرة لم تخترق لحمنا ودمنا، فإنكم ستظلّون تبحثون عن مسكّنات ومخدّرات صناعية، وستنظرون الى المستقبل عبر منظار خاطئ".

لماذا حدث هذا التغير في نظرة وايزمان في منتصف العشرينات؟

لقد أحس وايزمان بخيبة أمل جراء عدم تمكنه من الوصول الى اتفاق مع العرب داخل فلسطين أو خارجها، وفشل في كل المحاولات الرامية الى إنشاء قيادة فلسطينية بديلة وتفريق الشعب الفلسطيني باستخدام أساليب كلفرسكي وكيش القميئة والقذرة. ولم يكن ذلك هو السبب الوحيد في التبدل الحاصل في خطابه أمام جمهوره الصهيوني، بل كان هناك سبب أكثر أهمية من وجهة نظر صهيونية، ويتمثل في خيبة الأمل الناتجة عن وصول أعداد قليلة من اليهود الى فلسطين في الأعوام 1923 و1924 والتي كانت حتى أقل من الرقم الذي سمحت به حكومة الإنتداب.

ففي العام 1924، وصل الى فلسطين حوالي 13 الف مهاجرا يهوديا، ولكن عدد السكان اليهود زاد بمقدار خمسة الاف فقط، منهم ألفان ولدوا هناك في ذلك العام، مما عنى أن الهجرة اليهودية المعاكسة في ذلك العام بلغت عشرة الاف عادوا من حيث أتوا أو اتجهوا الى العالم الجديد في أمريكا وكندا واستراليا. أما العرب فقد زاد عددهم في ذلك العام 13 الفا وذلك جراء الزيادة الطبيعية فقط!

كذلك لم تستطع الوكالة اليهودية في السنوات 22-1924، أن تزيد من حصتها في فلسطين بأكثر من 0.3%، حيث أصبح ما تملكه من أراضي في فلسطين بحدود 3% فقط، بالرغم من توفر الأموال اليهودية الطائلة لهذا الغرض وما قدمته حكومة الإنتداب مجاناً أو بأثمان بخيسة.

أما "ضريبة الشيقل" وهي ضريبة سنوية يدفعها كل المنتمين الى الحركة الصهيونية، فقد انخفضت الى النصف عام 1923، والى الثلث عام 1924.

وقد عبّر ليونارد ستين (Stein) في كتابه المنشور عام 1925بعنوان «الصهيونية» عمّا دار في داخل وايزمان من هواجس قائلاً:

"إن العرب، في غالبيتهم، سكّان مُستقرون، ويجب أن يكون اليهود أول العارفين بأنه لا يمكن إزاحتهم. بالإضافة، فإن أرقام الهجرة لا تدل على إمكانية تحقيق أكثرية يهودية في فلسطين لا في القريب العاجل ولا حتّى في مرحلة لاحقة".

ومع أن عدد المهاجرين اليهود عاد فارتفع في نهاية عام 1925، إلا أنه عاد فهبط الى ما بين 2-4 آلاف سنويا في الأعوام 26-1931، وبالمقابل لم تستطع الوكالة اليهودية زيادة حصتها في الأراضي في تلك السنوات الا بنسبة 0.6% فقط.

وفي الأعوام التي تلت، 1926-1931، تأرجح وايزمان ما بين نارين: فمن جهة كان التيار اليهودي اليميني الذي قاده فلاديمير جابوتنسكي ومناحيم اوسشكين يطالب بدولة يهودية صرفة. ومن جهة أخرى، كان التيار اليساري الذي يقوده يهودا ماغنس (Magnus) وموشى سميلانسكي (Smilansky) يطالب بدولة ثنائية القومية في فلسطين. وبنفس المرحلة، أخذ تيار جديد يطفو الى السطح - ويمثل رأياً ما بين هذين التيارين - وهو تيار الحركة الإشتراكية الصهيونية ويقوده ديفيد بن غوريون (Ben Gurion) وحاييم أرلوزوروف (Arlozoroff).

وقد رأى وايزمان في تلك الفترة أن اليمين كان أكثر ضجيجاً وشعبية من اليسار. ولذلك قرر مجاراته والتعامل معه رغم عدم اقتناعه بإمكانية تحقيق مطلب إنشاء الدولة اليهودية الصرفة.

ففي العام 1929 مثلا، كتب وايزمان الى العالم اليهودي ألبرت اينشتين (Einstein) المُقيم في الولايات المتحدة الأمريكية والذي كان مؤيداً لإقامة دولة ثنائية القومية في فلسطين، يرفض فكرة إقامة مجلس يمثل العرب واليهود حسب نسبة السكان (وكانت أكثر من 80٪ عرب وأقل من 20٪ يهود)، قائلا:

"إن الجانب العربي في هذا المجلس سيكون عبارة عن تجمع للأفندية الإقطاعيين... وهؤلاء ما زالوا بدائيين جدا، وتحت تأثير البلشفية والتحريض الكاثوليكي... ولن يستوعبوا ما سنجلب لهم".

وفي العام التالي، 1930، جاءت الى سدة الحكم في بريطانيا حكومة جديدة مكونة من حزب العمال بقيادة مالكوم مكدونالد (McDonald). وقد نشرت هذه الحكومة سياستها تجاه فلسطين، حددت فيها الهجرة اليهودية الى فلسطين على أساس "امكانية البلاد استيعاب مهاجرين جدد". وذلك بعد أن نشرت لجنة التحقيق البريطانية تقريرها بخصوص أحداث ثورة 1929.

وقد وجد وايزمان نفسه ولأول مرة مُجبراً على الوقوف ضد سياسة الحكومة البريطانية، والتحالف مع كل القوى اليهودية في العالم للضغط عليها. وبالفعل، اضطرت هذه الحكومة الى التراجع عن سياستها، واضطر مكدونالد الى الكتابة لوايزمان مُعتذراً، مُدّعياً بأنه لم يفكّر مُطلقاً بوقف الهجرة الصهيونية الى فلسطين! وقد عبر مكدونالد لاحقاً عن تراجعه عن سياسة وقف الهجرة اليهودية قائلاً بأنه

لم يكن في بريطانيا نواب عرب في مجلس العموم، ولا جالية عربية لها حق التصويت!

فكرة تهجير العرب والدولة ثنائية القومية

بعد فشل كافة محاولات اقناع الفلسطينيين بمحاسن الوطن اليهودي على طريقة رواية هرتزل "الارض القديمة الجديدة"، وتفكير عميق في كيفية حل مشكلة وجود سكان عرب في فلسطين، اقترح وايزمان على بريطانيا حلاً جديداً قديماً من نوعه يعبّر عن مدى اليأس الذي وصل اليه، وهو نقل الفلسطينيين الى البلدان المجاورة، كما كان هرتزل قد اقترح عام 1896 في مذكراته السرية!

وعندما فشل هذا الإقتراح في كسب التأييد البريطاني اللازم، رأى وايزمان أنه من المناسب أن يتبنى حلاً يمكن تسويقه وبنفس الوقت يتجاوز مسألة وجود الفلسطينيين ويُبقي المجال مفتوحاً لاقامة ادارة يهودية مستقلة في فلسطين. وهو الدولة ثنائية القومية. ولكن وايزمان كان يريد أن تُبنى هذه الدولة على أساس المساواة التامة (Parity) بين العرب واليهود، وبدون أن يكون هناك تمثيل نسبي، مما يعني مساواة 18% من السكان يملكون 4.6% من الأرض، باولئك الذين يمثّلون 82% من السكان ويملكون 93.4% من الأرض!

النهاية السياسية لوايزمان على يد اليمين واليسار

وفي خضم هذه الأفكار السياسية "التوفيقية"، التي لم تعجب بالأساس اليمين الصهيوني، أخذ هؤلاء - وكانوا قد ضاقوا ذرعاً به وبمحاباته للبريطانيين - يُعبّئون الطاقات من أجل التخلص منه. وقد جاءت القشّة التي قسمت ظهر البعير عشية انعقاد المؤتمر الصهيوني السابع عشر المنعقد في يوليو 1931 في مدينة بازل بسويسرا، حيث انعقد المؤتمر الأول.

ففي مقابلة مع الوكالة التلغرافية اليهودية رفض وايزمان المطلب الصهيوني اليميني بالعمل على أن يكون هناك غالبية يهودية في فلسطين مُردداً مقولة صديقه المرحوم آحاد هاعام قائلا: "ليس لدي أي تعاطف مع، ولا تفهّم لمطلب، أن تكون هناك أكثرية يهودية في فلسطين. إن الأغلبية لا تعني الأمن. كما إنها ليست شرطا

أساسيا لتطور الحضارة والثقافة اليهودية. إن العالم سيفهم هذا المطلب من منطلق أننا نريد طرد العرب".

ولكن اليمين الصهيوني استطاع اقناع غالبية أعضاء المؤتمر بأن هذا التصريح مخالف لقرارات المؤتمرات الصهيونية المتعاقبة، وبالتالي أصدر المؤتمر قراراً بتوبيخ وايزمان على ما قال، وطلب منه سحب هذا التصريح. فما كان من وايزمان إلا أن استقال من رئاسة المنظمة!

وقد أدت استقالته هذه الى غيابه عن المسرح السياسي لفترة زادت عن أربع سنوات، رجع بعدها الى رئاسة المنظمة الصهيونية في المؤتمر التاسع عشر عام 1935. ولكنه عاد مدجّناً، ضعيفاً وبقي على سدة الرئاسة حتى اعلان قيام دولة اسرائيل عام 1948. وخلال تلك الفترة أصبح الرجل القوي في الحركة الصهيونية أحد قادة الصهيونية الإشتراكية، وهو ديفيد بن غوريون (Ben-Gurion) وخاصة بعد اغتيال أرلزوروف عام 1933 في ظروف غامضة في تل أبيب!

وبعد اعلان قيام دولة اسرائيل في مايو عام 1948، تم تعيين وايزمان رئيسا للدولة، وهو منصب فخري لم يستمر فيه طويلا حيث توفي في العام 1952.

وفي آخر أعوام حكمه، قام وايزمان بنشر كتابه الشهير "المحاولة والخطأ" (Trial and Error) كتب فيه العبارة التالية: "إن العالم سيحكم على الدولة اليهودية إنطلاقا من كيف ستعامل العرب"!

في هذه العبارة لم يقصد وايزمان العرب الذي هجّروا من فلسطين خلال حرب عام 1948، بل أولئك الذي بقوا فيها وكانوا يمثلون آنذاك 10% فقط من مجموع السكان في اسرائيل. ويبدو أن وايزمان كان قد أصبح قابلاً بترحيل العرب، فقد كان قد اقترح ذلك عام 1930 ولم يجد له من مؤيد في الغرب. ولكن في ديسمبر 1948، قال وايزمان لجوزيف وايتز (Weitz) وكان مديراً لدائرة تطوير الأراضي في اسرائيل:

"والآن، هل لديك أرض كافية تجعلك قرير العين؟ إن العرب يجب - بل من الضروري - الا يعودوا. نحن سندفع لهم بدلاً عن ممتلكاتهم، حتى يمكنهم الإستقرار في الدول العربية".

حتى حاييم وايزمان، الذي اعتبره العالم الغربي أحد أهم الحمائم الصهيونية الذين كانوا يبتغون الوصول الى التفاهم مع العرب، أصبح في نهاية حياته مُؤيداً ومُشجّعاً على نقل الفلسطينيين الى خارج البلاد. وهو بذلك لم يختلف قيد أنملة عن هرتزل الميكيافلي!



حاييم وايزمان يرتدي لباس رأس عربي في محاولة للتقرب من الأمير فيصل خلال مقابلته معه في شرق الأردن، يونيو 1918



حدود الدولة اليهودية التي طالبت بها القيادة الصهيونية بزعامة وايزمان في محادثاتها مع الأمير فيصل عام 1918 وكذلك خلال مؤتمر السلام بباريس عام 1919، وتضم كل فلسطين التاريخية وأجزاء من مصر وشرق الأردن وسوريا ولبنان! ولكن الدول العظمى حصرت وعد بلفور بحدود فلسطين فقط!

ARTICLE IX.

Any matters of dispute which may arise between the contracting parties shall be referred to the British Government for arbitration.

Given under our hand at LONDON, ENGLAND, the THIRD day of JANUARY, ONE THOUSAND NINE HUNDRED AND NINETEEN.

Chaim Weizmann

الفقرة التي اضافها الأمير فيصل بخط يده على الاتفاقية مع وايزمان ووقع تحتها فأبطل مفعولها عملياً. وكان الأمير قد وجد نفسه مجبرا على توقيعها ابان مؤتمر السلام في باريس في يناير 1919. كما يظهر ايضا توقيع وايزمان عليها

If the Arabs are established as I have asked in my manifesto {Jan 4} addressed to the British Secretary of State for Foreign Affairs, I will carry out what is written in this agreement. ~~If any changes are made~~

If changes are made, I am not to be answerable for failing to carry out this agreement

Faisal ibn Hussein

الترجمة الانجليزية لما كتبه الأمير فيصل بالعربية على الاتفاقية بينه وبين وايزمان في يناير 1919 وقد تم ترجمتها (من قبل لورنس على الأغلب) بشكل لم يعكس حقيقة الغضب والحدية الذي شعر به فيصل انذاك من الحركة الصهيونية وحليفتها الحكومة البريطانية



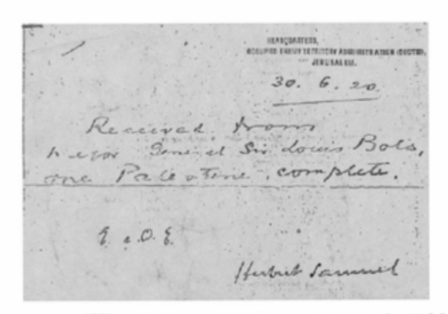
الأمير فيصل في مؤتمر السلام بباريس في فبراير عام 1919 ويقف خلفه على اليسار العقيد لورنس الشهير بـ "لورنس العرب"



موسى كاظم الحسيني رئيس بلدية القدس الذي رفض تنفيذ صك الانتداب فأعفاه البريطانيون من منصبه عام 1920، وانتخبه الفلسطينيون رئيسا للمؤتمرات الفلسطينية المتعاقبة بداية عام 1921 وحتى وفاته عام 1934 متأثرا بضربات عصي الشرطة البريطانية خلال تظاهرة في يافا.



المندوب السامي البريطاني هربرت صاموييل لحظة وصوله الى يافا قادما من بريطانيا لتسلم منصبه في آخر يونيو عام 1920


HEADQUARTERS,
OCCUPIED ENEMY TERRITORY ADMINISTRATION (SOUTH),
JERUSALEM.

30. 6. 20.

Received from
Major General Sir Louis Bols,
one Palestine, complete.

E. & O. E.

Herbert Samuel

الورقة التي طلب الجنرال لويس بولز من هربرت صمويل عام 1920 التوقيع عليها وتتعلق "باستلام فلسطين واحدة كاملة" وقد وقعها صمويل مضيفا عبارة E.&O.E اي "ما عدا السهو والخطأ" وكأنه يتسلم بضاعة من تاجر جملة!



هربرت صمويل المندوب السامي البريطاني وزوجته في كنيس يهودي وقد حاول صمويل تنفيذ وعد بلفور وصك الانتداب بحذافيره في البداية ولكنه اضطر لابطاء عملية التهويد بعد الهبّات الفلسطينية المتعاقبة



العقيد البريطاني اليهودي كيش وكان عضوا في الهيئة التنفيذية للحركة الصهيونية في فلسطين، وقد حاول هو وكلفرسكي ويفطاه من وايزمان شق المعسكر الفلسطيني ولكن بدون أي نجاح يذكر

SCORES ARE KILLED IN PALESTINE RIOTS

Bolshevist Agents Among Immigrants Provoke Serious Encounters With Troops.

JEWISH SHOPS ARE RIFLED

Disorders Beginning on May Day Are Still Going On, French Foreign Office Reports Say.

[illegible]

The New York Times
Published: May 4, 1921

صحيفة النيويورك تايمز الأمركية والصادرة بتاريخ 4 مايو 1921 تتهم عملاء الثورة البلشفية بافتعال المصادمات التي حصلت في يافا في اول مايو وامتدت الى عدد من المدن المختلطة



حاييم وايزمان وألبرت اينشتاين في أواخر العشرينات وقد كانا في تلك الفترة متفقين على ان الحل الوحيد الممكن في فلسطين هو دولة ثنائية القومية وعلى أساس المساواة بين الشعبين. وبينما كان الأول مقتنعا بذلك الحل من الناحية الأخلاقية، اقتنع الثاني به من الناحية التكتيكية فقط!



وايزمان يقسم اليمين كأول رئيس لدولة اسرائيل عام 1948 وهو منصب شكلي اما المنصب الفعلي فكان لرئيس الوزراء الذي تبوأه بن غوريون آنذاك

الفصل العاشر

القيادات الفلسطينية في مواجهة وايزمان والحركة الصهيونية 1920-1948

كان حاييم وايزمان - وبدون الاعلان عن ذلك - يحتقر الشعب الفلسطيني وقياداته أشد احتقار. ففي العام 1918، كتب يقول بأنه ليس هناك من أمل حتى في إيجاد لغة مشتركة مع العنصر المحلي وشبّه الفلسطينيين بأنهم كصخور يهودا... عقبات يجب إزالتها "من أجل بناء طريق صعب"! وفي العام 1919 وصف وايزمان الفلسطينيين بأنهم "عنصر ذو معنويات مفقودة ويستحيل التفاهم معهم". وفي العام 1929، كتب وايزمان الى البرت اينشتاين (Einstein) يرفض فكرة إقامة مجلس يمثل العرب واليهود على أساس عدد السكان قائلا بأن الجانب العربي في هذا المجلس سيكون عبارة عن تجمع للأفندية الإقطاعيين الذين "ما زالوا بدائيين جدا، وتحت تأثير البلشفية والتحريض الكاثوليكي... ولن يستوعبوا ما سنجلب لهم".

فهل كانت القيادات الفلسطينية حقاً بهذه البدائية والتخلّف، أم أن وايزمان كان يحاول تحقيرها والتقليل من شأنها حتى يُبرر لنفسه وللبريطانيين بل والعالم أجمع فكرة طرد العرب واحلال اليهود مكانهم كما فعل الأوروبيون البيض في أمريكا الشمالية واستراليا في الحقبة ذاتها؟

لقد أوضح ناثان وغاس وكريمر (Nathan, Gass and Creamer) في كتابهم "فلسطين: المشكلة والوعد" عام 1946 بأن:

" هناك تصور غذّاه بعض الصهيونيين وأصدقائهم في العالم كله ويجب كشفه بدون رحمة. هذا التهيؤ هو الفكرة بأن معارضة العرب للهجرة اليهودية كانت من عمل بعض "الأفندية" أو "المحرضّين" - أو حتى البريطانيين. أن هذه المقولة هي مجرد هراء."

ويؤكد الصهيوني أبراهام روفسكي (Revusky) في كتابه «يهود من فلسطين» النقطة نفسها قائلا:

" ان بعض الكتّاب اليهود يعطون الانطباع بأن الحركة العربية تتلقى الدفعة الرئيسية من مُلاّك الاراضي والمرابين الذين يُعادون الهجرة اليهودية لأنها تؤثّر سلباً على معنويات الفلاحين ... وبأن الاستيطان اليهودي "يُخرّب" الفلاحين ويزيد من مقاومتهم للاستغلال بلا رحمة من قبل أصحاب الاراضي.

"... يجب أن نعترف بأن كل حركة وطنية تُقاد في بداياتها من قبل عناصر ميسورة من الشعب. ان حركة التحرر الروسية في القرن التاسع عشر كانت مُمثلة

بقيادات تنتمي الى الطبقات العليا من الشعب. كما أن قيادات الثورة الامريكية في 1776 كانوا من أكبر مُلاّك الأراضي وأغنى المحامين في البلاد.

ومما لا شك فيه أن معظم القيادات الفلسطينية في العشرينات والثلاثينات قد انبثقت من الشرائح الأغنى في المجتمع الفلسطيني وذلك - بالأساس- بسبب أنهم كانوا الأكثر تعليماً وأصحاب الخبرة في القيادة والادارة وكذلك الأقدر على الصمود اقتصادياً. وليس بسبب شرائهم لمراكزهم بالمال والنفوذ كما ادعت الماكينة الاعلامية الصهيونية!

ولكن ماذا عن الوعي السياسي والثقافي بشكل عام في فلسطين في بداية - وخلال - سنوات الانتداب؟

لقد كانت الحركة الثقافية والسياسية آنذاك محتدمة في فلسطين وفي أوجها، بحيث كانت هناك 31 صحيفة ونشرة دورية تصدر في العام 1917. وقد ارتفع هذا الرقم الى 44 دورية في الأعوام 1919-1929، منها ثمانية نشرات سياسية وعشرة أدبية وخمسة اقتصادية، أما الباقي فكانت امّا دينية أو هزلية أو غير ذلك. وقد كان مجموع النشرات الدورية التي صدرت في فلسطين ما بين 1919-1948 أكثر من 250 دورية من 13 مدينة وبلدة مع أن حصة الأسد كانت من نصيب القدس.

وفي كتاب بعنوان «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين1917-1948» للمؤرخة بيان نويهض الحوت نشرته عام1981 حللت الكاتبة سيرة أبرز مائة شخصية قيادية فلسطينية خلال الفترة 1920-1948 من ناحية الديانة والتعليم والتخصص العلمي والمهنة والوضع الاقتصادي وكذلك الاضطهاد العثماني والبريطاني لهذه القيادات. وتُلخّص الفقرات والجداول التي تتبع نتائج هذا التحليل.

جاءت القيادات السياسية الفلسطينية الأبرز وعددها مائة من 16 مدينة وبلدة، أهمها مدينة القدس باعتبارها العاصمة ممثلة بـ35 شخصية، تلتها يافا بـ15، وحيفا بـ14، ونابلس بـ13، ثم غزة بـ6.

أما من الناحية الدينية فقد تمثل المسلمون بـ77% من المجموع مع أنهم كانوا يمثلون حوالي 85% من عدد السكان، ومثلت الشخصيات من الطوائف المسيحية المختلفة 23% من المجموع بينما كانوا يمثلون 15% من عدد السكان (جدول 1).

لقد عكس عدم التقيد بالنسب الدينية التضامن والتوافق الاسلامي- المسيحي على الهدف المعلن آنذاك ألا وهو انهاء الانتداب البريطاني ووقف الهجرة اليهودية وتحقيق الاستقلال الوطني.

جدول (1): الانتماء الديني ومكان الاقامة لأبرز مائة شخصية من القيادات السياسية الفلسطينية

مكان الاقامة	مسلم		مسيحي				
	سني	درزي	ارثوذكس	لاتين	كاثوليك	ماروني	بروتستانت
القدس	25	-	8	-	-	-	2
يافا	12	-	2	-	1	-	-
حيفا	8	1	1	2	-	1	1
نابلس	13	-	-	-	-	-	-
غزة	6	-	-	-	-	-	-
الرملة	2	-	-	-	-	-	-
عكا	3	-	1	-	-	-	-
صفد	1	-	-	-	-	-	-
الناصرة	1	-	-	-	-	-	-
بيت لحم	-	-	1	-	-	-	-
رام الله	-	-	1	-	-	-	1
طبريا	1	-	-	-	-	-	-
طولكرم	1	-	-	-	-	-	-
الخليل	1	-	-	-	-	-	-
جنين	2	-	-	-	-	-	-
بيسان	-	-	1	-	-	-	-
المجموع	76	1	15	2	1	1	4

وتعكس الجداول (2) و(3) المستوى التعليمي الجيد للقيادات الفلسطينية خلال سنوات الانتداب والتي حاولت الدعاية الصهيونية وصفها بالجهل والتخلف.

جدول (2): المستوى التعليمي للقيادات السياسية الفلسطينية 1920-1948

المستوى التعليمي	العدد
أقل من ابتدائي	1
ابتدائي	6
أعدادي	9
ثانوي	19
كلية عليا أو جامعة	65
المجموع	100

ملاحظة: بين الأعوام 1939-1948 ارتفعت نسبة القيادات الحاصلة على شهادة كلية عليا او جامعة الى 80%.

جدول (3): التخصص الجامعي للقيادات الفلسطينية 1920-1948

التخصص	العدد	التخصص	العدد
قانون ومحاماة	22	طب	8
زراعة	2	سياسة، ادارة عامة واقتصاد	8
علوم الدين	11	تاريخ	1
هندسة	3	محاسبة	1
دراسات أخرى	4	ادب	3
علوم	2		
المجموع الكلي			65

كما تعكس الجداول (4) و(5) مهن القيادات السياسية ونتاجها الفكري. والذي يؤكد أيضا الثقافة العالية والعلم والمعرفة الذي تمتعت به هذه القيادات.

جدول (4): النتاج الفكري الأدبي والعلمي للقيادات الفلسطينية 1920-1948

نوع النتاج	العدد
مؤلفو كتب	20
كُتّاب مقالات	48
محاضرون وخطباء	32
المجموع	100

جدول (5): المهن الرئيسية للقيادات السياسية الفلسطينية 1920-1948

المهنة	العدد
مهن حرة (رجل أعمال/ ملاّك ومزارع)	34
وظيفة حكومية (مُربّي/ حاكم/ رئيس بلدية/ موظف بمرتبة رفيعة)	24
أصحاب فكر (مدير كلية أو مدرسة ثانوية/ ناشر/ رئيس تحرير/ مرجع ديني)	48
وظيفة مهنية (محامي/ طبيب/ مهندس)	24
مهن أخرى	1
المجموع	131

* ملاحظة: العدد يتجاوز المائة حيث ان بعض القيادات كانت لها اكثر من مهنة رئيسية.

أما الجدول (6) فيعكس الوضع الاقتصادي للقيادات الفلسطينية والذي يؤكد دور معظم طبقات الشعب في تحمل أعباء النضال الوطني. مع الأخذ بعين الاعتبار قلّة عدد الفقراء نسبياً وهو الأمر الذي تمت الاشارة اليه سابقا في بداية هذا الفصل.

جدول (6): الوضع الاقتصادي للقيادات السياسية الفلسطينية 1920 1948

الوضع	العدد	الملاحظات
فقير	2	الدخل ليس كافيا
متوسط الحال	28	الدخل يكفي بدون وفر
أحسن من المتوسط	38	يستطيع شراء بعض الكماليات
مرتاح الحال	17	يستطيع شراء الكماليات والتوفير
غني	15	يملك أكثر مما يحتاج هو وعائلته
ثراء فاحش	0	
المجموع	100	

كما تُبيّن الجداول (7) و(8) أن معظم هذه القيادات - فقيرة كانت أم غنية - قد تعرضت لمختلف أشكال القمع سواء خلال الحكم العثماني أو الانتداب البريطاني.

جدول (7): القمع العثماني للقيادات السياسية الفلسطينية 1920-1948 قبل عام 1918

نوع القمع	العدد
الاعتقال والسجن	9
النفي	6
الحكم بالاعدام (لم ينفذ الحكم بسبب الهرب)	2
المجموع	17

جدول (8): القمع البريطاني للقيادات السياسية الفلسطينية 1920-1948

نوع القمع	العدد
الاعتقال والسجن مرة واحدة	28
الاعتقال والسجن أكثر من مرة	19
النفي والترحيل	17
المجموع	64

الهجرة اليهودية ومسألة شراء الأراضي من الفلسطينيين

في كثير من المجالس - العربية منها والأجنبية - يُتهم الشعب الفلسطيني ببيع مساحات كبيرة من أرضه لليهود خلال سنوات الانتداب البريطاني. وقد اعتمد العديد من المؤرخين الجدد - العرب منهم والاجانب - على لائحة تحتوي على 77 اسماً لشخصيات فلسطينية ادّعى مؤلف الكتاب التي وردت فيه هذه اللائحة عام 1984 - ويدعى كينيث ستين (Stein) - أنهم باعوا مساحات شاسعة لليهود فيما بين الفترة 1917-1939.

وعندما يتمعن الباحث الفاحص في مصادر المعلومات التي بنى ستين لائحته عليها، يجد أنه قد اعتمد على مصدر أساسي واحد وهو الأرشيف الصهيوني المركزي! كما يتبين أن لائحة الأسماء الفلسطينية التي أدعى ستين أنها باعت

أراضيـهـا لليـهـود هـي من اعـداد الوكـالة اليـهـودية في عـام 1937. وهـو العـام الذي أعقب ثورة القسام والاضراب الكبيـر ونفي عدد كبير من القيادات الفلسطينية الى جـزر المحـيط الهندي وأفـريقيـا. وفي مـرحلة كان أحـد الهـمـوم الاسـاسيـة للقـيادة الفلسطينية هو منع تسرب الأراضي العربية الى أيدي الحركة الصهيونية!

وقد كان الهدف الحقيقي من وراء اعـداد القائمة "المزيفة" ونشرها عام 1937 - تمامـا كـمـا كـان الهـدف من اعـادة نشـرها عـام 1984 و1996 - جـزءاً من الحـرب الاعـلاميـة لاحبـاط الشـعب الفلسطيني والتـأثيـر على مـعنوياته. بل واضـفـاء نوع من الحماية المعنوية على سماسرة الاراضي وبائعيها من ضعاف النفوس.

ويعكس الجدول رقم (9) الارقـام الخاصـة بالهـجـرة اليـهـودية الى فلسطين وعـدد السكان اليـهـود وابتيـاع/تملّك الأراضي خـلال الفتـرة 1919-1946. مـقـارنة بعـدد السكان العرب والملكية العربية للأراضي وذلك حسب الاحصائيات الرسمية لحكومة الانتداب البريطانية.

جدول (9): السكان العرب، المهاجرون اليهود وملكية الأراضي في فلسطين 1919- 1946

العلم	1919	1920	1921	1922	1923	1924	1925
عدد المهاجرين اليهود (بالآلاف)	-	5.5	9.1	7.8	7.4	12.9	33.8
عدد السكان اليهود (بالآلاف)	57	61	72	82.1	89.5	94.7	120.6
عدد السكان العرب (بالآلاف)	533	542	551	562	572.5	586.6	589.9
النسبة المئوية لليهود من عدد السكان (٪)	9.7	10.1	11.6	12.7	13.5	13.9	16.8
نسبة الأراضي التي يملكها يهود (٪)	2.04	2.04	2.08	2.9	3.0	3.2	3.8

العام	1926	1927	1928	1929	1930	1931	1932
عدد المهاجرين اليهود (بالالاف)	13.1	2.7	2.7	5.2	4.9	4.1	9.6
عدد السكان اليهود (بالالاف)	147.4	147.7	152.1	156.8	164.9	172.3	180.8
عدد السكان العرب (بالالاف)	614.4	630.7	727.5	744.3	763.2	784.9	805.5
النسبة المئوية لليهود من عدد السكان	19.4	19.0	17.3	17.6	17.8	18.0	18.3
نسبة الأراضي التي يملكها يهود (٧)	4.0	4.1	4.2	4.4	4.5	4.6	4.6

العام	1933	1934	1935	1936	1937	1938	1939
عدد المهاجرين اليهود (بالألاف)	30.3	52.4	61.9	29.7	10.5	12.9	16.4
عدد السكان اليهود (بالألاف)	209.2	253.7	355.2	384.1	395.8	411.2	445.5
عدد السكان العرب (بالألاف)	829.1	850.9	886.4	916.1	939.4	957.5	989.7
النسبة المئوية لليهود من عدد السكان (٨)	20.2	23.0	28.6	29.5	29.6	30.0	31.0
نسبة الأراضي التي يملكها يهود (٨)	4.7	5.0	5.3	5.4	5.5	5.6	5.7

ملاحظة: تبوأ الحزب النازي الحكم في المانيا عام 1933 مما أدى الى ازدياد الهجرة اليهودية بشكل كبير في ذلك العام والأعوام التي تلت.

العام	1940	1941	1942	1943	1944	1945	1946
عدد المهاجرين اليهود (بالآلاف)	4.5	3.6	2.2	8.5	14.5	12.0	-
عدد السكان اليهود (بالآلاف)	463.5	474.1	484.4	502.9	533.6	579.2	608.2
عدد السكان العرب (بالآلاف)	1014.4	1044.8	1069.0	1107.1	1144.4	1189.2	1237.3
النسبة المئوية لليهود من عدد السكان (٪)	31.4	31.2	31.2	31.2	32.6	32.7	35.1
نسبة الأراضي التي يملكها يهود (٪)	5.8	5.8	5.8	5.9	5.9	6.0	7.0

ويتبين من هذا الجدول بأنه، وبالرغم من الدعم المكثف للهجرة والمحاولات المستمرة لامتلاك الأراضي عبر سنوات الانتداب وبمساندة الحكومة البريطانية ودعمها الكبير، فان عدد السكان اليهود في فلسطين ارتفع من 10%في العام 1919 إلى 35% في العام 1946 بينما لم يتجاوز حجم مساحة الأراضي التي اشترتها أو استملكتها الوكالة اليهودية 7% من مجموع أراضي فلسطين، وهي نسبة متدنية جداً اذا ما أخذنا بعين الاعتبار حجم الأموال التي كانت في حوزة الحركة الصهيونية آنذاك. واذا أخذنا بعين الاعتبار كيف قامت الوكالة اليهودية بامتلاك معظم هذه الأراضي والتي تمثل ثلاثة أرباع المساحة التي تملكتها الوكالة خلال 30 عاما من الانتداب (جدول 10) . فان صمود الشعب الفلسطيني في وجه محاولات شراء أراضيه يتجلى بشكل واضح وغير قابل للشك.

جدول (10) :انتقال ملكية الأراضي في فلسطين الى الحركة الصهيونية 1918 - 1948

طريقة انتقال الملكية	عدد الدونمات المنقولة
تقدمة مجانية من حكومة الانتداب الى الوكالة اليهودية	300,000
بيع من حكومة الانتداب الى الوكالة اليهودية (بأبخس الاسعار)	200,000
تقدمة مجانية من حكومة الانتداب الى شركة البوتاس اليهودية	75,000
تقدمة مجانية من حكومة الانتداب الى شركة الكهرباء اليهودية	18,000
بيع من حكومة الانتداب الى الوكالة اليهودية بالنيابة عن جهات مسيحية أجنبية	22,000
بيع من عائلة لبنانية الى الوكالة اليهودية	165,000
بيع من عائلة لبنانية إلى الوكالة اليهودية	400,000
بيع من عائلة سورية الى الوكالة اليهودية	39,000
بيع من مجموعة عائلات سورية ولبنانية أخرى	74,000
تملك من ملاك صغار رهنوا أراضيهم ولم يستطيعوا تسديد قيمة الرهن	65,000
المجموع (يعادل 5% من مساحة فلسطين)	1,358,000

ملاحظة: الدونم يساوي ربع فدان (الف متر مربع)



صورة لهيئة المؤتمر الفلسطيني الثالث المنعقد في حيفا عام 1930 ويتوسط الحضور موسى كاظم الحسيني



المؤتمر الفلسطيني لنصرة الأقصى عام 1929 ويظهر في الوسط موسى كاظم الحسيني وعلى يساره راغب النشاشيبي وعلى يمينه الحاج أمين الحسيني وعوني عبد الهادي



الحاج أمين الحسيني في زيارة للملك عبد العزيز ملك العربية السعودية عام 1931



الأمير سعود بن عبد العزيز يتوسط عدداً من القادة الفلسطينيين وابرزهم احمد حلمي عبد الباقي والى يمينه عوني عبد الهادي وأمين التميمي وخلفهم د. حسين فخري الخالدي ويعقوب الغصين وفؤاد سابا ورشيد الحاج ابراهيم وآخرين من القيادات الفلسطينية. وكان معظم هؤلاء قد عملوا مع الأمير فيصل بن الحسين في دمشق عامي 1920 و1921



عبد القادر الحسيني يتوسط مساعديه خلال ثورة عام 1936 وقد استشهد فيما بعد في معركة استعادة قرية القسطل قرب القدس في أبريل 1948



الشيخ عز الدين القسام والذي استشهد عام 1935 في معركة مع الجيش البريطاني بالقرب من جنين.



روحي عبد الهادي يتوسط حسين فخري الخالدي رئيس بلدية القدس المنتخب عام 1934
وراغب النشاشيبي الرئيس السابق للبلدية



الحاج أمين الحسيني وحسين فخري الخالدي يحيطان بضيوف مسلمين وعرب في القدس
عام 1934.



صورة تذكارية في المنفى قبيل العودة الى الوطن عام 1939 : أحمد حلمي عبد الباقي يتوسط حسين فخري الخالدي (الى يمينه) ورشيد الحاج ابراهيم ويقف خلفهم فؤاد سابا (بالبدلة البيضاء) ويعقوب الغصين. وكان هؤلاء أعضاء في الهيئة العربية العليا وقد اعتقلهم الاحتلال البريطاني عام 1937 خلال الثورة ونفاهم الى جزر سيشل في المحيط الهندي



الشاعر والمقاتل عبد الرحيم محمود الذي استشهد في شهر يوليو 1948 في معركة مع القوات الصهيونية بالقرب من مدينة الناصرة

الفصل الحادي عشر

صعود بن غوريون الإشتراكي الى سُدّة الحكم

بينما اشتد وطيس المعركة في المؤتمر الصهيوني السابع عشر المنعقد عام 1931، بين قوى اليمين ممثلة بمناحيم اوسشكين وفلاديمير جابوتنسكي، وبين حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية، وأدّت الى استقالة الأخير من قيادة الحركة الصهيونية، أخذ طرف ثالث يطفو وبقوة على السطح السياسي الصهيوني، ويبدأ بلعب دور أصبح فيما بعد أساسياً داخل الحركة.

وكان هذا الطرف يضم فصائل التجمع الصهيوني الإشتراكي ممثلة بشخصيات لعبت دوراً طليعياً في إقامة دولة اسرائيل فيما بعد. وأهمها ديفيد بن غوريون (Ben Gurion) وحاييم أرلوزوروف (Arlozoroff) وموشى شاريت (Sharett) وليفي اشكول (Eshkol) وغولدا مائير (Meir).

وقد برز الفكر الإشتراكي الصهيوني في روسيا في أوائل القرن العشرين في محاولة للتوفيق ما بين الصهيونية كحركة قومية عنصرية، والإشتراكية كحركة أممية شمولية. وقد توصل منظرو هذه الحركة، وكان أهمهم بير بوروخوف (Borochov)، الى الإستنتاج بأن على اليهود المسحوقين في العالم أن يناضلوا من أجل انتصار البروليتاريا على الرأسمالية اليهودية. ولكن هذا النضال يجب أن يتم على أرض يقيم فيها مجتمع يهودي. وبالتالي، فإن المرحلة الأولى من النضال تقتضي العمل على ايجاد أرض يمتلكها اليهود ومن ثم يقيمون فيها. وبعد سنوات من البحث والتمحيص، توصل بوروخوف الشيوعي الى ما كان قد توصل اليه عُتاة اليمين الصهيوني المتزمت من قبل - بأن الأرض المؤهلة لأن تصبح يهودية هي فلسطين!

وبالتالي فقد اتفق أقصى اليمين مع أقصى اليسار على شد الرحال الى "أرض الميعاد"!

ويقول بوروخوف - والذي كان يجهل فلسطين وأهلها فهو لم يزرها قط - في كتاباته بعنوان «المسألة القومية والصراع الطبقي» واصفا الشعب الفلسطيني عام 1905:

" فقط الذين لا يعرفون يعتبرون الفلسطينيين عرباً أو أتراك. في الحقيقة، فهم لا يمتّون بصلة للعرب أو للأتراك ... وليس لديهم أي سبب لاستقبالنا بعداء. على

العكس، فهم يعتقدون بأن البلد هي ملك لليهود، وهم أنفسهم يطلقون عليها اسم "أرض اليهود"!

ومع أن أتباع نظرية بوروخوف كانوا قلة في البداية، إلا أن أحد الذين آمنوا بما قال وكتب، كان أحد الشباب اليهود من بولنده ويدعى ديفيد غرين (Gruen).

غرين والحركة الصهيونية العمّالية

ولد ديفيد غرين عام 1886 في مدينة بلونسك (Plonsk) في الجزء الروسي من بولنده. وقد أصر والده أفيغدور غرين، وكان منتمياً الى جمعية " أحباء صهيون". على أن يتعلم ابنه العبرية ويدرس التوراة في المدرسة وفي البيت.

وفي العام 1904، انضم غرين الشاب الى رابطة عمال صهيون (Poale Zion) وهو حزب بوروخوف داخل الحركة الصهيونية.

وفي 1905، في مؤتمر عمال صهيون، انتُخب غرين عضواً في لجنة لدراسة المسألة التالية: "هل يمكن لبرنامج عمل اشتراكي ثوري أن يتجاهل العرب؟" ويبدو أن الجواب على هذا السؤال، من وجهة نظره على الأقل، كان بالايجاب. ففي العام 1906 قرر الشاب غرين تغيير اسمه الى "بن غوريون" والتوجه الى فلسطين للعمل ضد العرب "على الأرض".

ويقول بن غوريون عن أول لقاء له بالفلسطينيين:

"لقد قابلت العرب عام وصولي الى البلاد في 1906، عندما كنت أعمل في بتاح تكفا وريشون لي زيون، وقد كان معظم العمال عرباً. وهناك خضنا حربا من أجل عمالة يهودية، معتبرين بأن العمالة العربية في القرى اليهودية تمثل خطراً كبيراً، لأننا كنا نعي بأن الأرض لن تكون لنا إلا إذا طورناها بأيدينا".

وقد اشتهر بن غوريون في تلك الفترة بتنظيم الإضرابات والإعتصامات ضد أصحاب المزارع اليهود الذين قاموا بتوظيف عمال عرب. وقد حاول موشى سميلانسكي (Smilansky) وهو أحد المزارعين اليهود ومن أنصار التفاهم مع العرب، ادخال نظام "كوتا" عربية في المصانع والمزارع اليهودية حتى يؤدي ذلك الى

تحسين العلاقات بين اليهود والعرب، إلا أن بن غوريون اعتبر ذلك غير مقبول وحارب الفكرة حتى تم إفشالها.

وفي العام 1915، قامت الإدارة التركية في فلسطين بطرد بن غوريون وذلك بسبب نشاطه الصهيوني الملحوظ، فاتجه الى الولايات المتحدة، وهناك ساعد على تأسيس الفيلق اليهودي الذي دخل الى فلسطين مع القوات البريطانية في آواخر عام 1917، ومن ثم عاد هو الى فلسطين عام 1918 مع وصول الوفد الصهيوني اليها برئاسة حاييم وايزمان.

وبينما هو في "المنفى" الأمريكي عام 1918، كان بن غوريون ما زال يعتقد أن الفلسطينيين سيرحبون باليهود والاستيطان، فكتب عنهم يقول:

"في غرب الأردن هناك حوالي ثلاثة أرباع مليون، وهؤلاء لا يجب، تحت أي ظرف من الظروف طردهم من الأرض".

وفي مؤتمر "الرابطة الصهيونية الإشتراكية للعمال في اسرائيل الكبرى" المنعقد في مستوطنة بتاح تكفا في مارس 1919، والذي كان بن غوريون أحد الرموز الأساسية فيه، صوّت الحضور لصالح إقامة دولة يهودية في فلسطين، الأمر الذي لم يجد بن غوريون فيه آنذاك أي تناقض مع ما كتبه في العام الذي سبق قائلا:

"إن الإعتقاد السائد في الحركة الصهيونية آنذاك كان بأن الإستيطان [اليهودي] سيُثبت فائدته للعرب... وبأن العرب سيرحبون بنا بأيدي مفتوحة، أو على الأقل، سيقبلون بتطوّر مجتمعنا واستقلاله".

وفي العام 1921، تم انتخاب بن غوريون سكرتيراً عاماً للهستدروت (الإتحاد العام للعمال اليهود) وأخذ نجمه في الصعود تدريجياً. ولكنه لم يكن النجم الوحيد في الحركة العمالية اليهودية. فقد كان هناك نجم صاعد آخر يدعى حاييم أرلزوروف (Arlozoroff)، والذي تم انتخابه في الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية عام 1931، ومديراً للدائرة السياسية التابعة لها. وفي العام 1933، وفي حادث شبيه باغتيال اسحق رابين، تم اغتيال أرلزوروف بينما كان يسير مع زوجته "سيما" على شاطئ تل أبيب على يد - كما اشيع آنذاك - أحد أتباع جابوتنسكي (مناحيم بيغين؟). ولكن أجهزة الأمن الصهيونية لم تستطع القبض على الفاعل الحقيقي فتم اتهام مجرمين صغيرين! ومع ذلك فما زالت الشبهات بخصوص ذلك الإغتيال

تحوم حول بن غوريون الى يومنا هذا، حيث كان أرلزورروف منافساً رئيسياً له في قيادة الحركة العمالية الصهيونية!

ولكن هناك جانب أكثر اثارة في الموضوع، ففي العام 1929، عندما عاد أرلزورروف لدراسة الدكتوراة في برلين، أصبح عشيقاً لسيدة متزوجة كان يعرفها من أيام المدرسة تدعى ماغدا فريدلاندر. وبالرغم من علاقتها مع أرلزورروف وكون والدتها المسيحية تزوجت من اليهودي فريدلاندر بعد انفصالها عن والدها، انضمت ماغدا الى الحركة النازية في العام 1930 وأصبحت - وبنفس الوقت - عشيقة لشخصية نازية صاعدة هو جوزيف غوبلز الذي أصبح فيما بعد وزير الاعلام الألماني طيلة فترة الحرب العالمية الثانية. وعندما عرف أرلزورروف بالعلاقة استشاط غيرةً وغضباً فأطلق النار على ماغدا ولكنه أخطأها. وقد حاول الاعتذار لها لاحقاً ولكنها لم تقبل بالعودة اليه، بل تزوجت من غوبلز عام 1931 وكان أدولف هتلر بنفسه أحد الشهود على الزفاف! هذه القصة ربطت غوبلز أيضاً بمحاولة الاغتيال وعززت - في الوقت نفسه - من امكانية اغتياله من قبل الحركة الصهيونية حيث حامت حوله شبهات ارتباطه بالنازية عن طريق عشيقته النازية ماغدا!

وهناك رواية اخرى أكثر اثارة يمكن أن تكون أيضا مرتبطة بعملية الاغتيال... فقد كان أرلزورروف، بصفته مدير الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية، مسؤولاً عن المفاوضات النازية - الصهيونية بعد صعود أدولف هتلر الى سدة الحكم عام 1933 . وقد انضجت هذه المفاوضات اتفاقية سرّية عُرفت باتفاقية هاآفارا (Ha'avara Agreement) وقضت بسماح الحكومة النازية لليهود الألمان بالهجرة بشكل طبيعي وقانوني فقط الى فلسطين مقابل وضع أموالهم في بنك خاص، يتم من خلاله شراء بضائع ألمانية ومن ثم تسليمهم البضاعة أو ثمنها بعد بيعها عند وصولهم الى فلسطين وفقط فلسطين! وقد تمت عملية اغتيال أرلزورروف بعد يومين فقط من عودته من جولة أخرى من المفاوضات مع النازيين وذلك - كما ادعت الحركة الصهيونية آنذاك - لانقاذ اليهود الذين رغبوا في الهجرة الى فلسطين فقط، أما الذين رغبوا بالهرب من النازية الى أية منطقة أخرى فعليهم أن ينقذوا أنفسهم بدون دعم صهيوني!

محادثات بن غوريون مع العرب داخل فلسطين وخارجها

في العام 1931، وبعد أن تفاقم الخلاف بين اليمين الصهيوني وحاييم وايزمان فاستقال الأخير، وذلك من بسبب الخلاف على كيفية التعامل مع العرب في فلسطين الذين رفضوا وقاوموا تهويد وطنهم، قرر بن غوريون أن يسخّر جزءاً أساسياً من وقته لإيجاد حل لهذه المسألة. وما أن تمّ انتخابه في عضوية اللجنة التنفيذية للحركة الصهيونية في المؤتمر الثامن عشر عام 1933، إلا واتجه الى قيادات الشعب الفلسطيني محاولاً الوصول معهم الى نوع من التفاهم!

في العام 1934، اتجه بن غوريون الى جنيف لمقابلة ما اعتبره القيادات الحقيقية للحركة القومية العربية خارج فلسطين، شكيب أرسلان وإحسان الجابري، وهما قوميان عربيان من أصل لبناني وسوري فرّا من القمع الفرنسي الى سويسرا. وقد كتب الأخيران يصفان لقائهما مع بن غوريون قائلين:

"جاء السيد بن غوريون يسألنا بكل بساطة عما يطلبه العرب من أجل الوصول الى اتفاق لإقامة دولة يهودية في فلسطين والأردن، مضيفاً بأن العرب الذين لا يودّون الهجرة من هذين البلدين سيكون لهم مطلق الحرية بالبقاء فيها ولن تُسرق أرضهم منهم".

"سألنا السيد بن غوريون عما سيقدّم اليهود للعرب لقاء هذه التضحية. فأجاب بأن اليهود سيقدمون الدعم السياسي والإقتصادي للعرب. أما الدعم السياسي فسيأتي عن طريق تحريك القوى اليهودية لصالح العرب في سوريا. وأما الدعم الإقتصادي فسيكون على شكل استثمار الرأسمال اليهودي في العراق والسعودية واليمن من أجل تطوير هذه البلاد اقتصادياً".

"فأجبناه: باختصار، إنك تقترح إخلاء بضعة ملايين من السكّان من البلاد لقاء وعد هُلامي غير واضح يتعلق بمساعدة سياسية واقتصادية للبلاد العربية التي ليست بحاجة ماسة لهذا الدعم!"

بعد عودته من جنيف بدون نتيجة، استطاع بن غوريون مقابلة عوني عبد الهادي وكان رئيساً لحزب الإستقلال في فلسطين، وهو أهم الأحزاب القومية العربية آنذاك. وقد رتّب ذلك اللقاء الدكتور يهودا ماغنس (Magnus) رئيس الجامعة العبرية، وكان الأخير من أنصار إقامة دولة ثنائية القومية في فلسطين وذلك كحل

"موضوعي" للصراع العربي اليهودي. ويقول بن غوريون عن ذلك اللقاء: "قام د. ماغنس بطرح المسألة كما يلي: هل يقبل العرب بالتضحية بفلسطين في سبيل تحقيق هدفهم الأكبر في البلدان العربية الأخرى؟.. وقد علّقت قائلا اننا لا نريد "التضحية" بالعرب في فلسطين من أجل تحقيق الهدف الصهيوني".

ولكن عبد الهادي رفض المنطق الصهيوني رفضا باتا!

وفي عام 1935، اتجه بن غوريون الى موسى العلمي، وكان يومها يشغل منصب المدعي العام في حكومة الإنتداب، ولكنه كان مقرّبا من الحاج أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس الهيئة العربية العليا. واصطحب بن غوريون الى الإجتماع الدكتور ماغنس، ولكنه طلب منه ألا ينبس بكلمة في الإجتماع، خوفا من أن يتحدث الأخير بصراحة عن "التضحية بفلسطين" كما حدث في الإجتماع مع عوني عبد الهادي.

ويقول بن غوريون عن الإجتماع:

"قال موسى العلمي بأنه يفضّل أن تظل الأرض فقيرة جرداء لمئة عام، حتى يقوم العرب بتطويرها بأنفسهم... وقد شعرت بأنه كعربي وطني له كل الحق فيما يحمل من وجهة نظر".

"ثم وضعت له سؤالاً مهماً: هل هناك أية امكانية للوصول الى اتفاقية لإقامة دولة يهودية في فلسطين، بالإضافة الى شرق الأردن؟ وقد أجابني بسؤال: لماذا يجب أن يوافق العرب؟ أجبت: حينئذ سنوافق على تأييد إقامة اتحاد عربي في الدول المجاورة، ومن ثم قيام تحالف بين الدولة اليهودية مع ذلك الإتحاد".

ولكن العلمي أسمع بن غوريون ما أسمعه له عبد الهادي والجابري وأرسلان من قبل مما اضطره الى التفكير بحلول مختلفة لمسألة وجود العرب في فلسطين!

القبول بفكرة التقسيم

ومع اندلاع ثورة 1936، أصبح من الواضح لبن غوريون عدم إمكانية الحركة الصهيونية التوصل الى اتفاق لا مع الفلسطينيين ولا مع الحركة القومية العربية خارج فلسطين. فأخذ يقترح حلولا لها طابع أكثر جاذبية للعرب، مثل إتحاد دول شرق أوسطي، تكون فيه فلسطين (وفيها أغلبية يهودية) جزءا من وحدة عربية كبيرة ومهمة.

وإثر ثورة الـ 1936، أرسلت الحكومة البريطانية لجنة بيل (Peel) لدراسة الأوضاع في فلسطين. وعندما اقترحت اللجنة تقسيم فلسطين بنسبة ثلاثة أرباع للعرب وربع لليهود في عام 1937، كان رأي بن غوريون القبول بفكرة التقسيم المقترح معلقاً:

"بعد أن غادرت اللجنة فلسطين، توصلتُ الى نتيجة بأننا نواجه خطراً حقيقياً وكبيراً، يتمثل بتحديد الهجرة اليهودية. وقد سألتُ نفسي: أليس هناك من طريق أخرى للخروج من هذا المأزق؟ هل من الضروري والمحبذ أن تأخذ بريطانيا قراراً نهائياً بخصوص من هم أصحاب الحق في فلسطين: العرب أم اليهود؟ اذا أُجبرت بريطانيا الآن على أخذ القرار، فإن ذلك لن يكون في صالحنا. ولذلك ما هو البديل؟

"في بداية شهر شباط [1937] جمعتُ اللجنة المركزية للحزب [الماباي]... من أجل الوصول الى حل جذري. وقد اقترحتُ أن الحل يكمن باتجاه تقسيم البلاد الى جزئين، حتى يتمكن لدولة يهودية أن تنشأ في أحد الأجزاء، أما الجزء الآخر فيصبح دولة عربية".

"إنني بالطبع لا أحبذ التقسيم، ولكن البلد التي سيتم تقسيمها ليست في أيدينا، أنها في أيدي العرب والبريطانيين. نحن نُسيطر على جزء صغير فقط، وهو أقل مما هو معروض علينا لأجل الدولة اليهودية، وإذا ما تم تنفيذ التقسيم فإننا سنتسلم أكثر مما نملك حالياً، ولكن أقل بكثير مما نطلب. ولكن السؤال هو هل سيتم حصولنا على أكثر اذا لم يكن هناك تقسيم؟ إن ما نريده ليس أن تظل البلاد واحدة وموحدة، ولكن ما نبتغيه هو أن تكون البلاد الواحدة والموحدة يهودية. أنا لن أكون سعيداً اذا كانت فلسطين واحدة ولكنها عربية".

"إنني من المؤيدين لإقامة الدولة اليهودية، حتى لو عنى ذلك تقسيم فلسطين الآن، لأنني أعمل على أساس أن دولة يهودية على جزء من فلسطين لن تكون النهاية بل البداية".

وأكمل بن غوريون ما كتبه عام 1937 بعبارات تحمل معناها كاملاً حتى يومنا هذا: "سنقوم بتنظيم قوة دفاعية ذات كفاءة عالية - جيش من الدرجة الأولى - أنا لا أشك بأن جيشنا سيكون أحد أحسن الجيوش في العالم، وإنني لمتأكد بأننا

نستطيع الإستيطان في باقي مناطق البلاد، إما عن طريق الإتفاق والتفاهم المشترك مع جيراننا العرب، أو بأية وسيلة أخرى".

"فلنتصور مثلاً بأن النقب لن تكون جزءا من الدولة اليهودية [لم تكن النقب جزءا من الدولة اليهودية المقترحة من قبل لجنة بيل عام 1937]، وبالتالي فإنها ستبقى صحراء قاحلة لأن العرب غير قادرين على تطويرها، وهم بغير حاجة لها وليس لديهم أناس أو أموال أو قُدرات لهذه الغاية. وبالتالي فإنه لمن الممكن جداً، أن يوافق العرب، مقابل العون المالي والعسكري والتنظيمي والعلمي على أن نقوم نحن بتطوير النقب".

"ومن الممكن جداً أيضا ألا يوافقوا، وأن يقولوا لنا: لا نريد عسلكم ولا لسعكم، بل نفضل أن تبقى النقب صحراء على أن يقطنها يهود. عندئذ، يتوجب علينا أن نتحدث اليهم بلغة مختلفة".

وعلى هذه الأسس التكتيكية المحضة، أيد بن غوريون خطة لجنة بيل للتقسيم عام 1937، بينما رفضها العرب من الناحية المبدئية، فماتت الفكرة وغابت معها فكرة التقسيم لعشرة سنوات اضافية، حتى العام 1947.

وباندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939، أخذ بن غوريون يركز على ادخال أكبر عدد من المهاجرين اليهود الى فلسطين وبنفس الوقت يُنظّم نواة الجيش اليهودي (الهاغانا) والتي أراد له أن يكون أقوى الجيوش في العالم. وعلى الصعيد السياسي، ظل بن غوريون مؤيداً لمسألة تقسيم فلسطين الى دولتين، ولكن مع توسيع رقعة الأرض المُعطاة لليهود. وما أن انتهت الحرب العالمية في عام 1945، حتى كان عدد اليهود في فلسطين قد ازداد بشكل كبير متجاوزاً الـ 600,000 شخص مقارنة بأكثر من 1,200,000 عربي. وفي الوقت نفسه، أخذت الولايات المتحدة بالضغط على بريطانيا باتجاه إقامة دولة يهودية، الأمر الذي حدا بدولة الانتداب الطلب من الأمم المتحدة التي أعطتها شرعية الانتداب عام 1920، التدخل لحل المشكلة التي أضحت معضلة عالمية!

وفي يوليو عام 1947، أرسلت الأمم المتحدة وفداً خاصاً الى فلسطين لاقتراح حل للمشكلة القائمة هناك. وقد أدلى بن غوريون، وكان قد أصبح الرجل الأول في

الحركة الصهيونية بلا منازع، بشهادته أمام اللجنة، مؤيداً لفكرة تقسيم فلسطين، ومعارضاً لإقامة دولة موحدة ثنائية القومية بكلمات صريحة واضحة:

"من وجهة النظر المتعلقة بالعقلية والنظرة الإجتماعية والعمل العام وزوايا أخرى، فإن هناك فارق واضح، وعدم تكافؤ بين الشعبين. هناك فارق بين شعب يعيش في القرن العشرين وأناس يعيشون في القرن الخامس عشر، بل إن بعضهم ما زال يعيش في القرن السابع!"

وفي نوفمبر 1947، صادقت الأمم المتحدة على قرار التقسيم الذي يعطي 54% من الأرض لليهود، مقابل 46% للعرب مع أن عدد السكان العرب كان يبلغ ضعف عدد السكان اليهود. وبايعاز من بن غوريون، وافقت قيادة الحركة الصهيونية على القرار فوراً، ورفضتها جامعة الدول العربية التي كانت تتحدث باسم الدول العربية والشعب الفلسطيني بشكل فوري أيضاً.

وقد ترّتب على هذا القرار، أن 42% من سكان الجزء الممنوح لليهود من فلسطين كانوا من الفلسطينيين. وعنى ذلك، بالنسبة لبن غوريون، بأن الأكثرية اليهودية الضئيلة في الدولة اليهودية المرتقبة، ستظل مُهددة وذلك بسبب نسبة التكاثر الطبيعية العالية عند العرب. ولذلك فقد كان واضحاً من كل تصرفات بن غوريون، بأنه لن يسمح لذلك بأن يحدث تحت أي ظرف من الظروف بقوله "إن اسرائيل هي وطن اليهود، واليهود فقط".

وعشية وقوع حرب عام 1948، لم يكن بن غوريون مرتاحاً لوجود مئات الآف الفلسطينيين في المناطق التي احتلتها القوات الصهيونية. ولذلك فلم يتردد في إعطاء الأوامر بتدمير القرى الفلسطينية، وعدم السماح للفلسطينيين الذين أرادوا العودة الى قراهم بعد أن انتهى القتال.

ازدراء العرب والثقافة العربية

وقد علق بار زوهار (Bar Zohar) كاتب سيرة بن غوريون على عدم حب الأخير للعرب قائلا: "في عالم بن غوريون، في دولته، لم يكن هناك مكان للعرب، فهو لم يعرف أي منهم ولم يكن ينوي أن يفعل ذلك. وهو لم يتحدث في أي من خطبه عن

الصداقة الحميمة أو المستقبل المشترك الذي يمكن أن يتم بين اليهود والعرب. كان يريد السلام والتعايش السلمي مع الدول العربية، وليس أكثر من ذلك".

ويضيف بار زوهار قائلاً: "لم يُحب بن غوريون العرب مُطلقاً. ومع أنه لم يقل ذلك أبداً، بل ربما ساعد العرب من خلال عمله كنقابي عمّالي، إلا أنه عندما كان يكتب عن العرب في دفاتره الشخصية، كان دائما يذكرهم من منطلق أنهم أعداء. وهو لم يجد ما يسرّه في طريقة العرب في الحياة أو في عقليتهم أو ثقافتهم".

وعقب قيام دولة اسرائيل، كان بن غوريون يرغب في أن يهاجر الى اسرائيل يهود من أمريكا وأوروبا، حتى يقوم فيها مجتمع ذو ثقافة غربية. وكان دائما يُبدي عدم ارتياحه من هجرة اليهود من آسيا وأفريقيا، وبخاصة من المغرب وايران والذين علّق عليهم بالقول:

"إن اليهود المغاربة قد أخذوا الكثير من المغاربة العرب، ولا أرى أن هناك ما يمكن أن نتعلمه من المغاربة العرب. انني لا أود أن أرى ثقافة المغرب هنا. كذلك لا أرى ماذا يمكن ان يقدم اليهود الإيرانيين للدولة".

وعندما انتصر الجيش الإسرائيلي على الجيوش العربية في معارك 1948-1949، أكّد بن غوريون ازدرائه للعرب قائلاً:

"دعونا نواجه الحقائق... لقد انتصرنا على العرب، ولكن هل يمكن لهم أن ينسوا ذلك؟ لقد هزم سبعمائة الف شخص ثلاثين مليون عربي. هل سيقبلون بالإهانة؟ بالتأكيد لديهم بعض عزة النفس... ولنكن صريحين، فإننا لم ننتصر لأننا استطعنا عمل المعجزات، بل لأن الجيوش العربية كانت فاسدة..."!

وكتب البريطاني جون غلوب (غلوب باشا) والذي قاد الجيش الإردني خلال حرب 1948 وأُقيل لاحقا من قبل الملك حسين عام 1956 مفسّراً ما عناه بن غوريون:

"إن الجيش الأردني قد دخل المنطقة الخاصة بالدولة العربية، وقد وجدنا أن الإسرائيليين كانوا قد دخلوها... إن الأردن لم تهاجم الدولة الإسرائيلية مطلقا.

"أما لبنان، فلم تلعب أي دور عام 1948. وأما الجيش السوري، فدخل في معركة حدودية واحدة فقط ثم انسحب... أما الجيش العراقي، فقد أرسل قوة صغيرة

مكونة من ثلاثة الآف رجل. والتي قاتلت الإسرائيليين عبر نهر الأردن. ثم انسحبت الى عمان. والتحقت بالفيلق العربي [الجيش الأردني] للدفاع عن القسم العربي [من فلسطين]... وقد ظل العراقيون طوال الحرب يدافعون من داخل حدود الدولة العربية. ولم يهاجم أي جيش عربي الدولة الإسرائيلية. باستثناء المصريين. الذين دخلوا من سيناء الى منطقة كانت مقررة للدولة اليهودية في خطة التقسيم."

تُذكرنا هذه الكلمات التي جاءت في مذكرات جون غلوب المنشورة في العام 1957ولكن بمفهوم معاكس بكلمات عبد القادر الحسيني التي أرسلها على هيئة مذكرة الى أمين عام جامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام باشا في 6 أبريل 1948 ، أي قبيل استشهاده بيومين. وهو متجه للقتال في معركة استعادة قرية القسطل الواقعة على طريق القدس - تل أبيب:

"انني أحملكم المسؤولية بعد أن تركتم جنودي في أوج انتصاراتهم بدون عون أو سلاح!"

وفاة بن غوريون

توفي بن غوريون في ديسمبر 1973 مباشرة بعد حرب أكتوبر، بعد أن عمل كرئيس وزراء لإسرائيل منذ 1948 وفي الخمسينات. ثم في أوائل الستينات ومن ثم اعتزل العمل السياسي نهائيا عام 1970. والجدير بالذكر بأنه طوال فترة عمله كرئيس للوزراء. لم تطأ قدما بن غوريون أياً من القرى العربية التي بقي سكانها العرب في اسرائيل. ولم يقم بزيارة رسمية لأي منها.

ومع ذلك فقد كان هو صاحب العبارة الشهيرة. وذلك عند بدء العمل الفدائي من قبل حركة فتح عام 1965 : "لو كنت فلسطينياً لانضممت الى الفدائيين".



بير بوروخوف (1881-1917) وهو يهودي من مواليد اوكرانيا ومنظر الصهيونية الأشتراكية، وقد افتى بأن اليهود هم شعب كالهرم المقلوب على رأسه: عدد كبير من البورجوازيين أرباب العمل وعدد قليل من البروليتاريين العمال والفلاحين ولكن لا تربطهم علاقات النتاج. ومن أجل اعادة قلب الهرم وجب ايجاد أرض يعيش عليها اليهود وحدهم. وبعد التمحيص قرر بوروخوف أن فلسطين هي التي تصلح لهذا الفرض!



بن غوريون مع عائلته في بلونسك في بولندة عام 1905 وكان خلال دراسته في جامعة وارسو قد أصبح عضوا في منظمة بوعالي صهيون الماركسية التي أسسها الروسي الأوكراني بير بوروخوف



بن غوريون في الوسط وبعض زملائه الأتراك في اسطنبول عام 1912 عندما ذهب لدراسة الحقوق في الجامعة التركية



ملصق لتشجيع اليهود على الالتحاق بالفيلق اليهودي الذي أسسه بن غوريون خلال الحرب العالمية الأولى ومكتوب عليه باللغة العبرية (اليديشية) "أرضك القديمة الجديدة تناديك"



صورة للفيلق اليهودي الذي أسسه ديفيد بن غوريون وحارب الى جانب الحلفاء في أواخر الحرب العالمية الأولى ومن ثم تم حله في 1918



الفيلق اليهودي الذي أنشأه بن غوريون في استعراض بلندن في فبراير عام 1918

قبيل حله ببضعة اشهر



حاييم ارلزوروف (1899 -1933) الذي كان منافسا لبن غوريون على قيادة الحركة الصهيونية العمالية وقتل في ظروف غامضة بينما كان يسير على شاطئ تل أبيب مع زوجته "سيما" عام 1933. وقد حامت الشبهات حول بن غوريون ومناحيم بيغين وغوبلز وزير الاعلام النازي بسبب ماغدا فريديرلاند الألمانية النازية عشيقة ارلزوروف وغوبلز في الوقت ذاته!



ماغدا فريدلاندر عشيقة حاييم ارلوزوروف وزوجة الزعيم النازي غوبلز والتي كانت علاقتها بالقائد العمالي الصهيوني الصاعد أحد الأسباب الممكنة التي ادت الى اغتياله عام 1933



بن غوريون وزوجته بولا وهي ايضا من أصل روسي وقد تزوجا في العام 1917 بعد ان التقيا في نيويورك



بن غوريون وزوجته بولا وأولاده الثلاثة مع والده افيغدور غرين (1928)



Meeting of Zionist Leaders with Arabs from TransJordan (1931)

لقاء جمع حاييم وايزمان وحاييم أرلزوروف مع بعض وجهاء شرق الأردن عام 1931 وبترتيب من البريطانيين لاقناعهم بالدولة اليهودية في فلسطين وفوائدها العديدة لهم، ولكن اللقاء لم يثمر عن شيء، بل على العكس بقيت القبائل والعشائر الشرق أردنية تدعم بشدة الحق العربي في فلسطين والقيادة المتمثلة بالمؤتمر العربي الفلسطيني ومن ثم الهيئة العربية العليا!




احسان الجابري وشكيب أرسلان من القيادات القومية في سوريا ولبنان وقد حاول بن غوريون عام 1934 اقناعهما بدعم دولة يهودية في فلسطين مقابل دعم الحركة العربية ضد الفرنسيين ولكن الجابري وأرسلان رفضا العرض تماما!



موسى العلمي من القيادات السياسية الفلسطينية وقد حاول بن غوريون عام 1934 اقناعه بفكرة الدولة اليهودية مقابل تطوير بعض المناطق العربية في فلسطين وخارجها فأجابه الأخير بأنه يفضّل ان تظل الأرض فقيرة جرداء لمئة عام، حتى يقوم العرب بتطويرها بأنفسهم!



يهودا ماغنس رئيس الجامعة العبرية واحد دعاة دولة ثنائية القومية في فلسطين الذي رافق بن غوريون عام 1934 للقاء عوني عبدالهادي رئيس حزب الاستقلال وعام 1935 للقاء موسى العلمي المدعي العام في حكومة الانتداب ومن الشخصيات الفلسطينية الهامة في محاولة لاقناعهما بالتخلي عن فلسطين مقابل دعم اليهود لاقامة دولة عربية في سوريا الكبرى، ولكن المحاولتين باءتا بالفشل الذريع!



لجنة "بيل" (Peel) في بيت الحاكم البريطاني في القدس والتي جاءت الى فلسطين للبحث في حل للقضية بعد اندلاع الثورة عام 1936 واصدرت تقريرها القاضي بتقسيم فلسطين عام 1937



الخريطة التي اقترحتها لجنة بيل لتقسيم فلسطين عام 1937 (الى اليمين) وقد رفضها العرب مبدئياً وقبلها اليهود تكتيكياً. والى اليسار خريطة قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام 1947 وقد رفضته جامعة الدول العربية ووافق عليه اليهود!



بن غوريون يوقع وثيقة اعلان قيام اسرائيل في 14 مايو 1948 وويظهر الى جانبه موشى شاريت الذي أصبح في العام 1954 ثاني رئيس للحكومة الأسرائيلية بعد تقاعد بن غوريون للمرة الأولى



ديفيد بن غوريون يقرأ وثيقة اعلان قيام اسرائيل في 14 ايار 1948 ومن ورائه صورة الأب المؤسس ثيودور هرتزل والذي تحقق حلمه بعد مرور 51 عاما على عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام 1897؛



بن غوريون ووايزمان بعد اعلان قيام اسرائيل عام 1948 وكان الأول قد أصبح رئيسا للوزراء وصاحب السلطة الفعلية، أما الثاني فأصبح رئيسا شكلياً للدولة!



بن غوريون مع الرئيس الأمريكي هاري ترومان عام 1951، وكان ترومان قد قدم دعماً غير محدود للحركة الصهيونية منذ تسلمه الحكم عام 1945 بعد وفاة الرئيس المنتخب روزفلت ويظهر بينهما أبا ايبان أول مندوب لاسرائيل في الأمم المتحدة

منظمة الجهاد المقدس
القيادة العامة
القدس

التاريخ ٦/٤/٩٤٨

مذكره

السيد امين العام لجامعة الدول العربية
القاهره

اني احملكم المسؤولية بعد ان تركتم جنودي في اوج انتصاراتهم بدون عون او سلاح .

عبد القادر الحسيني

المذكرة التي أرسلها الحسيني إلى الجامعة العربية يوم ٦ نيسان ١٩٤٨ وفي اليوم التالي استشهد بسبب فقدان السلاح. ثم سقط القسطل في أيدي الأعداء. وبعد ٤٨ ساعة وقعت مذبحة دير ياسين.

المذكرة التي أرسلها عبد القادر الحسيني في 6 ابريل 1948 الى عبد الرحمن عزام باشا أمين عام جامعة الدول العربية وهو في طريقه لخوض معركة القسطل التي استشهد خلالها بعد يومين. وبعد يوم واحد من استشهاده، في 9 ابريل، نفذت منظمة الأرغون التي تزعمها مناحيم بيغن مذبحة دير ياسين وبدأ مخطط تهجير الشعب الفلسطيني



عبد الرحمن عزام باشا أمين عام جامعة الدول العربية في لقاء مع الحاج أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا في القاهرة بعد اعلان قيام اسرئيل عام 1948 وكان عزام باشا قد تلقى مذكرة الشهيد عبد القادر الحسيني التي حمل فيها الدول العربية مسؤولية سقوط فلسطين!



بدء عملية التهجير والهجرة من فلسطين بعد مذبحة دير ياسين. وخلال حرب عام 1948 سأل ييغال يادين قائد قوات الهاغانا بن غوريون عما يفعله بالسكان الفلسطينيين الذين تم احتلال قراهم من قبل القوات الصهيونية، فلم يجبه الأخير ولكنه أشار بيده باشارة عنت "اخرجوهم!"



بن غوريون مع عضو مجلس الشيوخ جون كينيدي في القدس عام 1951 قبل ان يصبح الأخير رئيساً للولايات المتحدة. ولم تكن العلاقة بين الاثنين جيدة على الاطلاق وخاصة فيما يتعلق بالسلاح النووي الذي اقتنته اسرائيل بمساعدة فرنسا في الخمسينات. ففي 18 مايو 1963، كتب كينيدي الى بن غوريون مهددا بأنه اذا لم يسمح للمفتشين بتفقد المنشآت النووية الاسرائيلية فان اسرائيل ستجد نفسها في عزلة عالمية تامة. كان ذلك قبيل اغتيال كينيدي بستة اشهر في نوفمبر 1963 علي يد لي هارفي أوزوالد والذي بدوره تم قتله من قبل يهودي امريكي يدعى جاك روبينشتاين (روبي) بعد يومين من اغتياله لكينيدي وقبل الادلاء بأية معلومات عمن كان وراء الاغتيال!



بن غوريون في آخر أيامه قبيل اعتزاله الحياة السياسية مع غولدا مايير التي أصبحت رئيسة حكومة حزب العمل من 1969 حتى 1974

الفصل الثاني عشر

جذور اليمين الصهيوني الراديكالي: كوك وأوسشكين وجابوتنسكي

لقد تعمّدتُ أن أترك الحديث عن قيادات اليمين الصهيوني المتعصب (الدينية منها والعلمانية) التي أرست دعائم الفكر الأكثر تطرفاً قبل قيام دولة اسرائيل الى الفصل الأخير في هذا المؤلف، وذلك لسببين: الأول، أن أولئك الراديكاليين يمثّلون العلاقة الأقرب والتبعية الأصدق ليهوشع بن نون. والثاني، أن لهؤلاء علاقة أساسية وجذرية بالحاضر الذي نعيش فيه، وبخاصة بوجود حكومات يمينية متعاقبة في اسرائيل يقودها من اعتبروا أنفسهم تلاميذ وأتباع الفكر اليميني المتعصب والذي أخذ يلعب دوراً بارزاً في العشرينات والثلاثينات، ولكنه لم يستطع ترجمة نفسه الى نظام حكم الا في الثمانينات والتسعينات ومع بداية الألفية الجديدة، أي بعد ما يزيد عن ثلاثين عاما على قيام اسرائيل وما يزال مستمراً وبقوة لفترة زادت عن ثلاثين عاماً. ولا يبدو في الأفق السياسي الاسرائيلي اليوم أي بديل لهذا النهج اليميني ذو التوجهات العنصرية العلنية الذي لا يقبل بأية "تنازلات مؤلمة" أو "غير مؤلمة". وبالتالي سيقود المنطقة بأكملها نحو الهاوية والهلاك!

لم تكن كافة القيادات الصهيونية التي قادت العمل منذ أن تبوأ هرتزل مشروع تحويل فلسطين الى دولة يهودية مُستعدة - مثله ومثل وايزمان وبن غوريون - للقبول بالنهج التكتيكي وتغيير البرنامج المرحلي للمنظمة الصهيونية حسب الظروف والمعطيات التي واجهتها. بل كانت هناك قيادات يمينية رافضة لكل الحلول الوسطية أو المرحلية والتي لا تشير صراحة الى اقامة دولة يهودية على كل "أرض الميعاد" - وبالحد الأدنى في فلسطين والأردن. وكما تميزت الحركة الصهيونية بوجود خلافات جذرية بين الوسط واليسار الصهيوني من جهة واليمين الراديكالي العلماني والديني من جهة أخرى، فقد كانت هناك أيضا خلافات جذرية بين قيادات اليمين فيما يتعلق بالنظرة الى الفلسطينيين والتعامل معهم. ويمثل الحاخام كوك ومناحيم أوسشكين وفلاديمير جابوتنسكي - وثلاثتهم من أوروبا الشرقية - أهم ثلاثة محاور في هذه المسألة.

الحاخام كوك والصهيونية الدينية

ولد أبراهام كوك (Kook) في العام 1865 في لاتفيا التي كانت جزءا من الأمبراطورية الروسية آنذاك وكان أبوه حاخاماً. فالتحق منذ صغره بمدارس دينية يهودية، ومن ثم في المدرسة الدينية (الياشيفا) في فولفولين وبقي فيها عام ونصف كان يقضي خلالها 18 ساعة من كل يوم في الدراسة والتعبّد!

وفي العام 1904 توجه كوك الى فلسطين للعمل كحاخام في يافا والمستوطنات اليهودية المحيطة بها، ثم أقام في لندن خلال الحرب العالمية الأولى، وبعد انتهاء الحرب عاد الى فلسطين حيث أصبح حاخام اليهود الأشكناز في القدس ثم الحاخام الأكبر لليهود الأشكناز في فلسطين عام 1921.

وقد اتبّع كوك ما أفتى به الحاخام البولندي هيرش كاليشر في العام 1862 فيما يختص بعدم الحاجة الى انتظار المسيح للعودة الى "أرض الميعاد" و"اقامة مجتمع يهودي فيها" كما كان متعارفا عليه دينياً من قبله.

وفي العام 1930، أرسلت عصبة الأمم لجنة لدراسة من يملك حائط البراق (أو المبكى كما يسميه اليهود)، وخلال جلسة استماع، قال الحاخام كوك مخاطبا اللجنة:

"ماذا تقصدون بأن هذه اللجنة ستقرر من يملك الحائط؟ هل تملك عصبة الأمم أو اللجنة الحائط؟ ومن أعطاكم الاذن بتقرير من هم أصحابه؟ ان كل العالم مملوك من الخالق، وهو نقل ملكية كل أرض اسرائيل - بما فيها الحائط - للشعب اليهودي. وليست هناك قوة في العالم بما في ذلك عصبة الأمم أو هذه اللجنة تستطيع أن تأخذ منّا هذا الحق الألهي"

وعندما أجابه أحد أعضاء اللجنة بأن اليهود لم يسيطروا على الأرض أو الحائط لمدة تزيد عن ألفي سنة، أجاب كوك:

"حسب الشريعة اليهودية، اذا ما سرق شخص أرضاً يملكها شخص آخر ولكن المالك الحقيقي ظل يحتج على السرقة باستمرار، فيعتبر صاحب الأرض هو المالك الى الأبد."

وبالتالي فقد اعتبر كوك أن السكان العرب في فلسطين قد "سرقوا" أرض اليهود وبأن اليهود قد استمروا في المطالبة بأرضهم وحقّهم من "اللصوص العرب" طوال الألفي العام الماضية!

ولم يتوقف كوك عند هذا الحد، بل وحسب ما أفتى به، فان "الفارق بين النفس اليهودية ونفوس غير اليهود... أكبر وأعمق من الفارق بين النفس البشرية ونفوس الماشية!"

توفي الحاخام أبراهام كوك عام 1935، فتسلم راية كراهية العرب ابنه الحاخام تسفي كوك الذي عاش 91 عاما (1891-1982) قضاها في التحريض على الفلسطينيين حسب تعليمات الوالد. واليوم، تعتبر معظم الحركات الصهيونية الدينية وعلى رأسها حركة "غوش امونيم" العنصرية المتطرفة والتي تقود عملية تعزيز الاستيطان في الضفة الفلسطينية، أن فلسفتها مبنية على كتابات وأقوال الحاخام كوك الأب والحاخام كوك الابن، بأن الحركة الصهيونية العلمانية هي "أداة ربانية تربط الخلاص الالهي بعمل بشري" وبأن العودة الى "أرض الميعاد" واقامة الوطن اليهودي على أرض اسرائيل "سيؤدي الى الخلاص وقدوم المسيح"!

أوسشكين: الزعيم "العلماني" للصهيونيين الروس

ولد مناحيم أوسشكين (Ussishkin) في روسيا البيضاء عام 1863، وبعد تخرجه كمهندس من المعهد التكنولوجي في موسكو انضم الى "جمعية أحباء صهيون"، ومن ثم حضر المؤتمر الصهيوني الأول كممثل للجمعية عام 1897.

وفي العام 1905، وكان قد أصبح أحد أهم القيادات الصهيونية اليمينية في روسيا بسبب تطرف آرائه ومعارضته الشديدة لمشروع الاستيطان في أوغنده، كتب اوسشكين يصف العمالة العربية في المستوطنات اليهودية في فلسطين بأنها "جذام مؤلم"، وبالتالي فقد تلاقى مع بن غوريون والصهيونية الإشتراكية في هذا المسألة، فحارباها معا حتى أنهياها تماما.

بعد ذلك بسنوات قليلة، تسلّم اوسشكين زعامة الصهيونيين الروس في المؤتمر الصهيوني، وانتُخب كممثل عنهم في اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية، ومن ثم هاجر الى فلسطين عام 1919. وخلال مؤتمر السلام المنعقد في باريس في العام نفسه، القى أوسشكين كلمة أمام ممثلي دول التحالف، أوضح فيها مبادئ الفكر الصهيوني اليميني بكل صراحة ووضوح:

"لقد سُرقت هذه الأرض من الشعب اليهودي منذ 1850 عاما من قبل "مطرقة" العالم في تلك الأيام - روما. وقد تم نفي الشعب اليهودي، الذي انتشر في بقاع العالم. وإنني الآن، كابن لهذا الشعب، أقف أمامكم، انتم ورثة روما من الناحية السياسية والثقافية - وأطلب منكم أن تعيدوا لنا هذه السرقة التاريخية" .

أوسشكين والعرب وحدود الدولة اليهودية

وفي العام 1921، بعد أن بدأ تحرك الشعب الفلسطيني ضد الهجرة اليهودية يتصاعد. وكان اليهود ما زالوا يمثلون قلة قليلة في فلسطين. خاطب أوسشكين المؤتمر الصهيوني الثاني عشر المنعقد في كارلساد متبنياً موقف وايزمان الذي أُنتخب رئيسا للحركة الصهيونية في ذلك المؤتمر، ومُطالبا الحركة الصهيونية بالتحلي بالصبر وعدم التعامل مع العرب "بالسيف أو أن نثير ثائرتهم" واضاف:

"علينا أن نظل صامتين، وأن نشد الرحال الى فلسطين. وهناك لا بد أننا سنعاني من لحظات سيئة. ولكن إذا ظللنا نذهب الى فلسطين بالعشرات بل بالمئات والآلاف ومئات الآلاف، فإن المسألة العربية ستحل نفسها بنفسها"!

ولكن - وخلافا لوايزمان - لم يكن اوسشكين يقترح أن يكون هناك أي تفاهم مع العرب ولم يتجه مطلقا للمساومة أو التوافقية أو حتى الحلول الوسط! بل كان يؤمن بأنه "بتطفيح" فلسطين باليهود، سيصبح العرب أقلية صغيرة وهامشية. وعندما انتخب رئيسا للصندوق القومي اليهودي (Jewish National Fund) عام 1923 كان يردد على مسامع الأصدقاء والأعداء أن حدود أرض اسرائيل ليست حسب ما جاء في تصريح بلفور بل تمتد من البحر الأبيض المتوسط الى نهر الفرات!

وفي عام 1930، وبعد أن تفاقم الوضع السياسي في فلسطين ووضُحت عدم امكانية أن يصبح اليهود أغلبية في المستقبل المنظور، بدأ أوسشكين يدعو لتهجير الفلسطينيين، فصرح بأن على اليهود الاستمرار في المطالبة باستعادة أرض فلسطين، وأضاف:

"اذا كان هناك مقيمين آخرين هناك، فلابد من نقلهم الى مكان آخر. لابد من الاستيلاء على الأرض. ان لدينا هدفاً سامياً أكبر وأنبل من الحفاظ على بضعة مئات الالاف من الفلاحين العرب" .

وفي عام 1936 وعندما تأزم الوضع أكثر فأكثر في فلسطين، بدأ أوسشكين يبحث عن حل مقنع ومعقول لمشكلة السكان العرب في فلسطين ولو على حساب التنازل عن بعض "أرض اسرائيل". فأطلق، ولأول مرة، فكرة ما زال اليمين الاسرائيلي يتبناها الى يومنا هذا، وهي أن يصبح شرق الأردن دولة فلسطينية! ففي مايو من ذلك العام اقترح أوسشكين:

" ما يمكننا أن نطالب به اليوم هو أن يدخل كل شرق الأردن ضمن أرض اسرائيل... شريطة أن يكون شرق الأردن مُتاحاً... لاعادة توطين أولئك العرب [الفلسطينيين] الذين سنشتري أراضيهم... بالنسبة للعرب في الجليل، فان شرق الأردن يمثل أحدى المقاطعات... وسيستخدم لاعادة توطين عرب فلسطين"

ومع ذلك، فهو - بعكس وايزمان وبن غوريون - لم يَكن يكِّن أية كراهية للعرب في فلسطين. ففي عام 1937 مثلا، وعندما اقترحت لجنة بيل (Peel) تقسيم فلسطين وذلك إثر ثورة عام 1936، كان أوسشكين قد بلغ الرابعة والسبعين من العمر، ولكنه كان ما زال غير مهادن ولا مساوم في موقفه. فرفض اقتراح التقسيم الذي كان بن غوريون ووايزمان قد قبلا به، وطالب بأن يظل الإنتداب البريطاني قائماً، حتى يصبح اليهود أغلبية في فلسطين، وكتب الى وايزمان يقول:

"إنني لا أتفاعل مع العالم العربي أو العرب في "اسرائيل الكبرى" من وجهة نظر حاقدة أو غاضبة، مع أننا نواجه مشاكل معهم. فهناك فارق بين الإضطهاد الذي نواجهه هنا، والإضطهاد الذي عانينا منه في روسيا وبولنده وبلدان أخرى. في تلك البلاد، لم نكن عدائيين، ولكن الشعوب التي كنا نعيش بينها كانت تضطهدنا. لقد كانوا لا يطيقوننا، بل وينظرون لنا على أننا أدنى منهم".

"أما هنا، فالوضع مختلف. لقد عشنا هنا مع العرب لسنوات طويلة. حتى الأتراك قابلونا بالحسنى. ولكننا لا نُفرح العرب، لأننا نريد أن نحكم! أنا على استعداد للقتال من أجل ذلك وسأناضل من أجل أن نصبح أسياد هذه الأرض لسببين:

1. ان هذه بلادنا وليست بلادهم.

2. لا يمكننا أن نندثر كشعب، الأمر الذي سيحدث اذا لم نحصل على "اسرائيل الكبرى".

" ولكنني لا أكن أي حقد داخلي للعرب، وهم لم يخدعوننا" .

ومع أن اوسشكين لم يكن يكره الفلسطينيين، إلا أنه لم يكن يعتبر بأن طردهم من أرضهم يشكّل عملاً غير أخلاقي. بل اعتبر بأنه "من غير الأخلاقي أن يكون للعرب دول عدة تستطيع أن تستوعب ملايين الفلسطينيين، وألا يكون لليهود دولة واحدة" .

وفي العام 1939، قبل عامين على وفاته، أعاد أوسشكين على سمع البريطانيين والعرب موقفه غير المهادن في مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن لدراسة الأوضاع في فلسطين بعد فشل فكرة التقسيم، ولكنه في موقفه ذاك، كان أكثر أخلاقية وصراحة من وايزمان وبن غوريون قائلا: " أنا لست عدواً للشعب العربي. إنني احترمهم واحترم حقوقهم، فهم أيضاً ساميون. ولكن هذا الشعب [العربي] يملك كل شيء - من جبل طارق وحتى جبال طوروس، ممالك كبيرة كالعراق والعربية السعودية، أما اليهود، فلا يملكون إلا القبور" .

لقد كانت نظرة أوسشكين هذه متأثرة بأوضاع سلالة اليهود الخزر في روسيا وبولندة وباقي دول أوروبا الشرقية. وقد نسي، أو تناسى، الثروات التي يملكها اليهود وبأن هناك جاليات يهودية ثرية، قوية، ومؤثرة في أمريكا وبريطانيا وفرنسا، بل وفي أمريكا اللاتينية وجنوب أفريقيا واستراليا. وهؤلاء كانوا يملكون من ثروات وقوة اقتصادية أكثر مما كان ملايين العرب يملكون آنذاك حسب ما صرح به الأمبراطور الألماني ويلهم الثاني لهرتزل في فلسطين عام 1898. بل مثّل اليهود أغنى أغنياء العالم العربي في فاس والقاهرة والإسكندرية وتونس وبيروت ودمشق وبغداد!

وحتى لو نسي أوسشكين ذلك، أو تناساه، فلم يكن يحمل في قلبه أي حقد أو ضغينة تجاه العرب عند وفاته عام 1941.

جابوتنسكي: أبا الفكر الليكودي المتطرف

ولد فلاديمير جابوتنسكي (Jabotinsky) في مدينة أوديسا في روسيا عام 1880 لعائلة يهودية ميسورة. ومن خلال دراسته للعبرية والتاريخ اليهودي تخّيل نفسه، ومنذ الطفولة، محارباً يريد غزو البلد التي طرد منها والده قبل بضعة أعوام فقط وليس الاف السنوات، اذا كان أصلاً منها!

وبعد انهاء تعليمه المدرسي، عمل جابوتنسكي كمراسل لبعض الصحف الروسية في سويسرا وايطاليا ومن ثم درس المحاماة في جامعة روما وعاد الى روسيا للعمل كمدير تحرير في عدة صحف روسية وعبرية. وفي العام 1903، اثر اعتداء كبير على اليهود (ما عُرف بالبوغروم) في كيشينيف بروسيا، قرر جابوتنسكي الانضمام رسمياً الى الحركة الصهيونية وأسس "المنظمة اليهودية للدفاع عن النفس". وغيّر اسمه من فلاديمير الى زئيف وبدأ بالتنظير لاعادة احتلال اليهود لأرض "اسرائيل الكبرى"!

وقد رفض جابوتنسكي فكرة الدولة اليهودية التي طرحها هرتزل في روايته الدعائية "الأرض القديمة الجديدة"، والتي تحدث فيه عن التعايش مع المسلمين والمسيحيين في الدولة اليهودية، معتبرا بأن العرب لن يقبلوا بالسيطرة اليهودية على فلسطين، الأمر الذي كان أوسشكين يطرحه أيضاً. إلا أن الإختلاف الأساسي بينهما بخصوص العرب، أن جابوتنسكي اعتبر أن العرب يمثلون عرقاً متخلفاً عن العرق اليهودي.

وفي العام 1917، وخلال عملية التحضير البريطاني لدخول فلسطين من سيناء، دعا جابوتنسكي الشباب اليهود الى "ملئ أنفسهم بالروح القتالية"، والإقتداء بيهوشع بن نون ومقاتليه الذين "حرروا أرض الميعاد" وبنوا فيها دولة اليهود الأولى. كما دعاهم الى المشاركة في احتلال فلسطين بقوة السلاح معتبرا بأنه "من وجهة النظر التاريخية والأخلاقية، فإن فلسطين هي دولة بدون سكان"!

وكان جابوتنسكي قد أسس خلال الحرب العالمية الأولى بالاشتراك مع جوزيف ترمبلدور ما عُرف بالفصيل الصهيوني المحمول على البغال (Zionist Mule Corps) من أجل المساهمة في احتلال فلسطين. وبعد أن تم تأسيس "الفيلق اليهودي"، والذي كان لبن غوريون دور في انشائه، انضم جابوتنسكي وفصيله المحمول على البغال الى الفيلق، كأحد ضباطه. وبعد انتهاء الحملة واحتلال البريطانيين لفلسطين، حاول جابوتنسكي جاهداً الحفاظ على ذلك الفيلق لقتال العرب ومن يقف الى جانبهم مستقبلاً ولكنه فشل، فتم حل الفيلق اليهودي بعد مشاركته في استعراض النصر بلندن عام 1918.

جابوتنسكي والموقف من العرب والفلسطينيين

كان لجابوتنسكي موقف متشدد من الفلسطينيين والعرب منذ بداية انضمامه للحركة الصهيونية. ففي عام 1920، عندما تم اتهامه من قبل الحكم العسكري البريطاني باشعال نار الفتنة بين اليهود والعرب، وترسيب الأسباب المؤيدة الى هبّة الفلسطينيين في موسم النبي موسى في ذلك العام، تم تقديمه للمحاكمة وقد كان سكرتير المحكمة عربياً. فصرخ جابوتنسكي بعد أن سأله السكرتير العربي عن دوره في إحداث القلاقل قائلاً:

"إنني لن أرد على أسئلة سكرتير المحكمة الذي ينتمي الى قبيلة القتلة، والتي ما زالت مستمرة بهجومها على الأناس الأبرياء، وبالسرقة والإغتصاب، خارج جدران هذه المحكمة الى الآن".

وقد حُكم على جابوتنسكي بالسجن لمدة خمسة عشر عاما، وما لبثت السلطات البريطانية أن افرجت عنه بعد أقل من عام، فعاد الى ممارسة العنصرية ضد العرب.

من ناحية النظرة الى العرب، اختلف جابوتنسكي اختلافاً جذرياً عن أوسشكين. فبينما احترم الأخير العرب، كان الأول يحتقرهم ويتعامل معهم من منطلق استعماري، وبنظرة المُستعمِر للمستعمَر. ويوضح جابوتنسكي موقفه من الشرق والغرب في رسالة الى السناتور الأمريكي اليهودي غرونزبرغ (Grunsberg) عام 1925:

"نحن اليهود أوروبيون، ولكننا لسنا تلامذة الثقافة الأوروبية، بل نحن شركاء في صناعتها أيضا. ماذا لدينا من أشياء مشتركة مع المشرق؟ إن كل ما هو مشرقي هنا ملعون. والى أن يتم جز العرب [في فلسطين] من كل النواحي، لن يتمكن هؤلاء من أن يعيشوا معنا".

وحتى يتمكن هو وأتباعه من "جز" العرب من جميع النواحي (وقد استعمل جابوتنسكي كلمة "جز" وهي الكلمة الإنجليزية التي تستعمل لقص صوف الخراف)، وبخاصة - وكخطوة أولى - تحويلهم الى أقلية ضئيلة في فلسطين، فقد قرر جابوتنسكي أن يقيم "جداراً حديدياً" من القوات المسلحة اليهودية، التي تقوم

بحماية عملية الوصول الى أكثرية يهودية في "أرض الميعاد" والتي ضمت في تفكيره أراضي فلسطين والأردن كاملتين.

ومع أن أتباعه يدّعون بأنه كان معارضاً لترحيل الفلسطينيين، إلا أنه، وكما يظهر من مذكرات أحد اليهود الأغنياء ويُدعى إدوارد نورمان (Norman)، والذي كان قد وضع خطة لنقل الفلسطينيين الى العراق، فقد كان جابوتنسكي مؤيداً في السر ومعارضاً في العلن لهذا الإجراء ولأسباب يوضحها نورمان في وصفه لمحادثته مع جابوتنسكي عام 1937:

"لقد كانت لديه [جابوتنسكي] نسخة عن خطتي بخصوص العراق... لقد أيّد الفكرة كلها تأييداً مطلقاً. وقال بأنه يعتقد بأن أصعب جزء في الخطة هو تشجيع العرب على مغادرة فلسطين... واقترح بأنه اذا ما وافقت العراق على التعاون وتوجيه دعوة للفلسطينيين العرب للهجرة الى العراق، فإنه لمن الحكمة أن تعارض المنظمة الصهيونية بشكل مفتوح الهجرة العربية من فلسطين. عندها سيتأكد العرب بأن الخطة ليست يهودية، وان اليهود يريدون منهم البقاء في فلسطين من أجل استغلالهم، وبالتالي سيرغبون جداً في الذهاب الى العراق. إن هذا الأسلوب يبدو ميكيافلياً. ولكن يمكن أن يكون الأسلوب السياسي الصحيح للتعامل مع شعب جاهل وشكوك مثل العرب".

ومنذ البداية، فلم يكن جابوتنسكي يريد أن يكون للفلسطينيين أي دور في إدارة شؤون فلسطين خلال الإنتداب. وعندما وافقت اللجنة التنفيذية للحركة الصهيونية برئاسة وايزمان عام 1922 على المشاركة في المجلس التشريعي المقترح من قبل الحكومة البريطانية والتي كان ممثلاً للعرب واليهود، قدم استقالته من عضوية اللجنة.

وفي مقال بعنوان "الهجوم السياسي" كتبه عام 1924. أوضح جابوتنسكي النقاط الأساسية لفكره اليميني: فالهدف هو إقامة دولة يهودية، أما حدود الدولة، فكانت كل فلسطين والأردن. وأما الطريقة التي سيتم من خلالها انشاء الدولة فكانت استيطان على مستوى كبير.

وفي إحدى خطاباته الطويلة التي ألقاها في تل أبيب عام 1929 - وعندما كان جابوتنسكي يقف لإلقاء كلمة في حفل، أو مؤتمر، أو أمام لجنة أو في محكمة،

فقلما كان يعود للجلوس قبل ثلاث ساعات على الأقل - أوضح جابوتنسكي موقفه من العرب قائلا:

"إنه لمن الخطأ الخطير أن نحاول الوصول الى حل للمواجهة العربية اليهودية بواسطة التقرّب من العرب. إن فلسطين هي مكان التقاء ثقافتين لا يمكن أن تلتقيا. وإن أي تقارب فيما بينهما يمثل استحالة عضوية وتاريخية".

وبالتالي، عارض جابوتنسكي خط وايزمان المبني على محاولة الوصول الى حل وسط مع العرب، مدعياً بأنه في محاولته لخداع العرب، فإن وايزمان كان يخدع اليهود أيضاً. وعندما هُزم وايزمان في المؤتمر الصهيوني عام 1931، واستقال من رئاسة المنظمة الصهيونية، بعد أن وجه المؤتمر له توبيخاً لإعلانه عن عدم تأييده للعمل من أجل إيجاد أغلبية يهودية في فلسطين، اقترح وايزمان أن يخلفه جابوتنسكي قائلا:

"أرجو أن يكون جابوتنسكي خليفتي، وذلك لأنه منافس واضح وصريح، وأنا أفضله على أولئك الذين يعلنون أنهم أصدقائي، ولكنهم مستعدون لطعني في الخلف".

ولكن طلب وايزمان لم يُحقق. فبعد استقالة وايزمان، رفض المؤتمر ولأسباب تكتيكية بحتة المصادقة على مشروع قرار قدمه جابوتنسكي يقضي بأن "الأغلبية اليهودية والدولة اليهودية هي هدف الحركة الصهيونية". فوقعت على إثر ذلك مُشادة بين أتباع جابوتنسكي ووفد الحركة العمالية الصهيونية (بقيادة بن غوريون) فما كان من جابوتنسكي الا وصعد على أحد المقاعد وأخذ بالصراخ قائلاً "إن هذا ليس مؤتمراً صهيونياً بعد الآن!" ثم اخرج من جيبه بطاقة عضويته في المؤتمر. وقام بتمزيقها رامياً بالقطع على وفد العمال!

منذ ذلك الحين، خرج جابوتنسكي على الاجماع الصهيوني المتمثل في المنظمة الصهيونية، وأسس منظمة رديفة أسماها "المنظمة الصهيونية الجديدة" والتي ظل رئيساً لها حتى وفاته عام 1940. وقد عُرف الخط الذي تبنّاه في تلك المنظمة "بالتصحيح" (Revisionism).

ولعل شهادة جابوتنسكي عام 1937، أمام لجنة بيل البريطانية التي جاءت تحقق في أسباب ثورة 1936، تُعطي مدخلاً جيداً الى تفكيره بالنسبة للعرب ولكيفية

التعامل معهم. وقد بدأ جابوتنسكي مداخلته أمام اللجنة البريطانية والتي استمرت أكثر من ثلاث ساعات قائلا:

"إن أمة لها خبرة سابقة واسعة جداً في الإستعمار. لا بد وأن تعرف بأن الإستعمار لا يتم بدون تناقض مع السكان الموجودين على الأرض... لقد أصبنا بخيبة أمل من جراء عدم وجود وضوح. إن العرب لم يُبلّغوا بما قصده اللورد بلفور وكل الآخرين [في الحكومة البريطانية] بتصريح بلفور.

"إن مثالاً على هذا الأسلوب البريطاني يتلخص في أنه بدل من الكتابة على العملة [الفلسطينية] "اسرائيل الكبرى" [Eretz Israel]، استعمل البريطانيون الحرفين العبريين (E.I.) فقط... لماذا؟ إذا كان اسم هذه البلد اسرائيل الكبرى. اذا كان هذا هو الإسم المتفق عليه، فقوموا بطباعته كاملاً. وإذا كانت تلك مسألة لا يُسمح بها، فلا تكتبوا شيئاً. ولكن الطريقة التي استُعملت في هذه الحالة للخروج من المأزق، توضح اسلوب العمل [البريطاني]".

ثم يرفض جابوتنسكي التقسيم المقترح من قبل اللجنة بقوله:

"إن امكانية اقامة كانتونات هي حلم. أما المساواة [Parity] بين اليهود والعرب فهي كذبة. إن ذلك لن يطيعه أو يصدقه أحد. وإن تجربة ذلك الأمر مرة تلو الأخرى يطيل الأزمة الحالية التي برأيي قد أدت الى الشغب الحاصل أعوام 1920، 1921، 1929 و1936. وسوف تؤدي الى نفس النتيجة في المستقبل".

ثم يقترح حلا اعتبره "وسطا":

"هناك طريقة واحدة فقط للوصول الى حل وسط. قولوا للعرب الحقيقة، وسوف ترون أن العربي معقول. وبأنه ذكي وبأنه عادل. إن العربي يستطيع أن يعي بأنه، وبسبب وجود ثلاثة أو أربعة أو خمسة دول عربية صرفة، فإنه لمن العدالة أن تقوم بريطانيا العظمى بتحويل فلسطين الى دولة يهودية. وحينئذ، سيكون هناك تغيير في التفكير لدى العرب. وسيكون هناك مجال للوصول الى حل وسط، وسيكون هناك سلام".

وبالمقابل يقول سيمحا فلابان (Flapan) وهو كاتب كان ينتمي الى حزب المابام اليساري:

"لقد عارض حزب جابوتنسكي كل شيء كان يمكن أن يجعل التعاون مع العرب قانونياً في أي مجال، من انتخابات البلدية الى يوم رياضي. فقد كان العرب [بالنسبة لهم] جنس "بدائي مكوّن من قتلة ومغتصبين".

أما ولتشر (Weltcher) وهو ايضا يساري فوصف جابوتنسكي وأتباعه بأنهم:

"اعتبروا أن لهم حقاً الهياً في امتلاك فلسطين. كما اعتبروا بأن أية قوة تناقض أطروحتهم هذه غير أخلاقية. وبالتالي، فإن العرب الذين رفضوا التسليم للصهيونية ليسوا فقط أعداء سياسيين، ولكنهم مجرمون. وُصفوا لاحقا بأنهم "رجال عصابات وقتلة" وذلك عندما أخذوا بالتصدي الفعلي لليهود. إن وجود العرب في فلسطين لم يلعب أي دور في الضمير الصهيوني قط، بل إن الكثير من الصهيونيين تخيلوا بأن هناك قوى خفية، وهي على الأغلب معادية للسامية، قد اخترعت وجود العرب [في فلسطين] من أجل وضع العراقيل بوجه اليهود".

جابوتنسكي ومنظمة الإرغون

هناك جانب آخر هام في حياة جابوتنسكي ونهجه وتفكيره، وهو يتعلق بعلاقته بمنظمة الإرغون زفاي ليئومي (Irgun Zvai Leumi). وهي المنظمة الإرهابية التي قادها مناحيم بيغن (Begin) في الأربعينيات ومن ثم أصبح أول رئيس وزراء ليكودي لاسرائيل عام 1978.

عندما تم تأسيس الإرغون عام 1937، كمنظمة ارهابية سرية مسلحة، قام مجلس المنظمة بتعيين جابوتنسكي في منصب "المرجع الأخلاقي الأعلى" للمنظمة في كل ما يتعلق بالمسائل الأساسية لها.

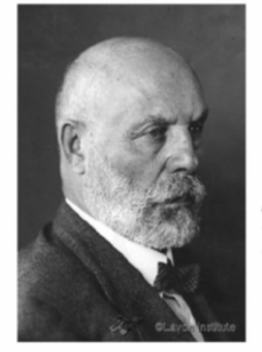
وقد تم صياغة دور جابوتنسكي في الأرغون كما يلي: يكون هو القائد الأعلى، الذي يجب اتّباع كل أوامره فيما يتعلق بالسياسة العليا. وهو الذي يعين القائد العسكري للإرغون في فلسطين. ولكن بشرط ألا يتدخل في النشاطات اليومية للمنظمة.

وقد كانت هذه الإتفاقية بينه وبين الإرغون على أساس شخصي، بمعنى أنه لا يستطيع اسناد هذه المهمة الى غيره أو انتداب شخص آخر نيابة عنه في المنظمة.

بعد ذلك بسنوات قليلة، في العام 1940، توفي جابوتنسكي، وتبعه اوسشكين بعد عام واحد، فتأثر اليمين الصهيوني بشكل عام وتأثر تنظيم الإرغون بشكل خاص، وسيطر عليه أشخاص أمثال مناحيم بيغن وصموئيل كاتز (Katz)، والذين لم يكونوا يملكون، حسب رأي المعاصرين، عُشر مقومات القيادة التي امتلكها جابوتنسكي. ومع ذلك وبعد ما يقرب عن أربعين عاما على وفاته، حمل مناحيم بيغن أفكاره الى سدة الحكم، ثم تبناها اسحق شامير. واليوم يرفع راية اليمين وأفكار جابوتنسكي وبكل اخلاص الرئيس الحالي للحكومة الأسرائيلية بيبي نتنياهو!



الحاخام أبراهام كوك حاخام اليهود الأشكناز في فلسطين منذ العام1923 وحتى وفاته عام 1935 وهو منظّر التيار الصهيوني الديني الذي اعتبر أن الفلسطينيين سرقوا أرض الشعب اليهودي ويمثل فكره اليوم حركة غوش ايمونيم والحركات الاستيطانية الأخرى.



مناحيم أوسشكين قائد الصهيونيين الروس ورئيس الصندوق القومي اليهودي عام 1923. وكان يعتبر العرب شعباً سامياً ولكن يجب نقله خارج فلسطين مع أنه لم يضطهد اليهود.



مناحيم أوسشكين ممثل اليمين الصهيوني يقف الى جانب حاييم وايزمان ممثل الوسط ويتوسط الصورة العالم اليهودي الشهير ألبرت أينشتاين الذي كان يؤيد دولة ثنائية القومية في فلسطين



جابوتنسكي يتوسط فصيل من الفيلق اليهودي الذي انشأه بن غوريون عام 1917 وكان جابوتنسكي قد انضم إليه مع باقي الفصيل الصهيوني المحمول على البغال الذي أسسه هو وجوزيف ترمبلدور عام 1915



مجموعة الهاشومير (الحرس) لحماية المستوطنات اليهودية والتي أسسها جابوتنسكي عام 1918 ويظهرون باللباس العربي حتى يتلائموا مع سكان البلاد الأصليين



فلاديمير جابوتنسكي مع زوجته جين التي تزوجها عام 1907 وابنه آري



جابوتنسكي يلقي احدى خطبه الطويلة التي كانت تستمر أكثر من ثلاث ساعات أمام عدد من مؤيديه بعد قراره بالانفصال عن المنظمة الصهيونية وتأسيس منظمة بديلة عام 1931 وتظهر وراءه صورة هرتزل



مناحيم بيغن قائد الارغون عام 1940 وكان مطلوبا من الشرطة البريطانية بتهمة الارهاب، ومع ذلك فقد انتخب رئيسا لوزراء اسرائيل عام 1978



An Irgun poster for distribution in Central Europe.

شعار منظمة الإرغون الارهابية عام 1937 والتي كان جابوتنسكي القائد السياسي لها وكان مناحيم بيغين قائدها العسكري وكانت تطالب بفلسطين والأردن وطناً قومياً لليهود

خاتمة

حاولتُ عبر اثني عشر فصلاً أن أُلقي الظلال، ولو باختصار، على حقائق أساسية ومقولات صريحة توضّح - بشكل لا لبس فيه - نظرة القيادات الصهيونية الحديثة، وكلّهم من اليهود الأشكناز، ومنهجية تعاطيهم مع مسألة وجود سكّان عرب في "أرض الميعاد"، والحلول التي طروحها لما اعتبروه أعوص مشكلة تواجه انشاء الدولة اليهودية، منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين. فناقشوا طرق الحل بتفصيل وتعمّق في السر، ولكنهم قلّما رغبوا بالتحدّث عنها في العلن!

ومن خلال فهمنا لعقليات هذه القيادات "التاريخية" وطرق تفكيرها، نستطيع أن نستوعب أكثر كيف يفكر بنيامين نتنياهو وايهود باراك وأفيغدور ليبرمان وايلي يشاي، وهم الأعضاء المؤثّرين في الحكومة الاسرائيلية الحالية. بل كيف فكّر من قبلهم ايهود أولمرت وأرئيل شارون وشمعون بيريس واسحاق رابين ومناحيم بيغين وغيرهم من رؤساء الوزارات الاسرائيلية السابقين.

واليوم، يمر السكان العرب في فلسطين بظروف أقرب ما تكون الى تلك التي مرّ بها أجدادهم الكنعانيين والفلسطيين في العام 1180 ق.م.، وهي الظروف التي تم تفعيلها مجدداً من أجل اخراج الفلسطينيين من أرضهم وبلادهم واحلال مهاجرين يهود مكانهم.

ومع أن مسألة التخلص من الفلسطينيين الذين ما زالوا يتواجدون في "أرض الميعاد" كانت دوما - وما تزال - على سلم أولويات الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة، الا أن آليات التخلص منهم تزداد حدة وشراسة كلما أتت حكومة اسرائيلية يمينية الى سدة الحكم. واليوم، فالحكومة الحالية لا تُعتبر يمينية فقط وأنما راديكالية تتبنى أيدولوجية عنصرية علنية تدعو الى تنفيذ ما دعى له موسى ويهوشع وهرتزل وجابوتنسكي وغيرهم من القيادات اليهودية عبر العصور، الا وهو اقامة دولة يهودية صرفة عن طريق التطهير العرقي.

ولطالما ظلت هذه المخططات العنصرية ودعوات التطهير العرقي مخفية ومختبأة تحت عباءة من الدبلوماسية الهادئة والفاعلة، والعلاقات العامة المُرَغّبة والمُرَهّبة، والاعلام الموجه والمدروس!

ومما لا شك فيه أن حكومة نتانياهو الحالية هي من أسوأ الحكومات في التعاطي مع السكان الفلسطينيين. ولا يسبقها في السوء سوى حكم يهوشع بن نون التي أمر بذبح سكان "أرض الميعاد" - رجالاً وشيوخاً ونساءً وأطفالا! حتى الحيوانات الأليفة لم تنج آنذاك من مجازر رجال القبائل الاثني عشر!

وتتركز الهجمة العنصرية الشرسة اليوم على الفلسطينيين في الأراضي التي تم احتلالها عام 1967 - وبالتحديد في القدس وباقي أراضي الضفة - ضمن اطار توجيهات موسى ويهوشع وهرتزل وجابوتنسكي لأتباعهم. فهذه الأراضي تمثل بالنسبة لليهود المتعصبين أهم جزء في "أرض الميعاد".

فالاعتقاد الراسخ في قلوب المتزمّتين من اليهود - بل لدى المتصهينين من المسيحيين أيضاً - أن الرواية التوراتية والأساطير التي نُسجت حولها قبل ما يزيد عن ثلاثة الاف عام، حدثت فعلاً في القدس الذين يطلقون عليها (يورشالايم) وبيت لحم (بيث ليخم) وبيتين (بيت ايل) ونابلس (شخيم) وسلفيت (أريئيل) والخليل (حبرون) وأريحا (يريخو) الخ ... فهل ستتنازل الحكومة الأسرائيلية الحالية عن هذه المناطق التوراتية التي تمثل 22% من فلسطين التاريخية لصالح دولة فلسطينية مستقلة حتى لو كانت ستعيش بأمن وسلام الى جانبها؟

الجواب المنطقي والمبني على التحليل الواقعي يجب أن يكون بالنفي! فمن المؤكد أنه، وبقدوم اليمين الإسرائيلي المتطرف الى سدة الحكم، فإن يهوشع بن نون قد وجد في نتنياهو وليبرمان ويشاي - بعد ما يزيد عن الثلاثة الآف عام - من يسير بناء على استراتيجيته وعلى خُطاه!

لقد كان حجم الاستيطان البشري في غزة في العام 2005 ستة الاف يهودي مثلوا بالاساس استيطاناً اقتصادياً أمكن ازالته آنذاك وتعويضه بالمال. أما الاستيطان في الضفة اليوم فحجمه أكثر من 500 ألف يهودي وهو بالأساس استيطان ايديولوجي لن يُشترى بالمال كما لم يبع الفلسطينيون وطنهم بالمال... هذا لا يعني أن هناك توازياً بين الحق العربي والادعاء الصهيوني، ولكنه يعني أن هناك

اقتناع تام لدى أولئك المستوطنين الايديولوجيين في الضفة بأن تلك الأرض هي "أرض الميعاد" التي وهبهم اياها "يهوا" قبل ما يزيد عن ثلاثة الاف عام.

وبالتالي، ماذا يتوجب على الفلسطينيين المقيمين في هذه المدن والقرى منذ مئات السنين - وفي هذه الحقبة التاريخية الصعبة - أن يفعلوا؟

الجواب الواقعي الوحيد هو الصمود! صمود المواطن الفلسطيني داخل الأراضي المحتلة عام 1948 وفي المناطق المحتلة عام 1967، وبالتحديد في الضفة وعلى رأسها القدس العربية كونها العاصمة المستقبلية للدولة الفلسطينية المستقلة ... "الصمود" يجب أن يكون عنوان هذه المرحلة!

عندما غنت فيروز "أجراس العودة فلتقرع" في العام 1967، علق الشاعر نزار قباني متهكما بقصيدة قال فيها أن "العودة تحتاج لمدفع والمدفع يحتاج لأصبع". واليوم «فالصمود يحتاج الى ادارة ونقود، والنقود تحتاج الى أكثر من مؤتمرات ووعود!».

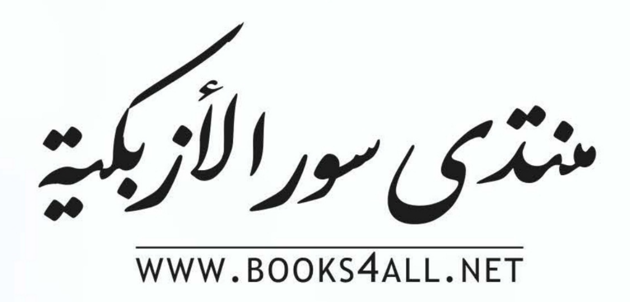
ان المؤامرة الصهيونية من أجل اخراج الشعب الفلسطيني من أرضه ووطنه مستمرة منذ أيام هرتزل - بل من أيام يهوشع بن نون - وهي تأتي بصور مختلفة ويشترك أحيانا في تنفيذها - وللأسف - فلسطينيون وعرب، بعضهم من حيث لا يدري وهذه مصيبة، والبعض الآخر من حيث يدري والمصيبة هنا أعظم!

ولكن ورغم كل الصعاب والارادة المسلوبة والخيانات الواضحة عبر السنين، رغم المحاولات المستمرة للاذلال والاخناع والاضعاف، رغم الضعف في التخطيط والأداء والخلافات الداخلية والمماحكات المُضرّة بالقضية، الا أن عدداً كبيراً من أبناء الشعب ما زال موجوداً وصامداً على الأرض الفلسطينية وبخاصة في تلك المناطق الحساسة التي يريدها المستوطنون، وبالتالي فان دعم صمودهم ولو بالامكانيات المحدودة التي نمتلكها هو المفتاح الوحيد للفرج!

نستطيع نحن الفلسطينيون ومن ورائنا العرب - ورغم اختلال الموازين - مجاراة عُتاة اسرائيل ومُقارعتهم بنجاح اذا ما امتلكنا الايمان والعقيدة الراسختين بأن

فلسطين هي الوطن الوحيد الذي عرفناه وأقام فيه آباؤنا وأجدادنا منذ مئات - بل الاف - السنين ولن نتخلى عنه بأي ثمن! نعم... بأي ثمن. عندها فقط نستطيع أن نفكر بامكانية الصمود وادارة المعركة بالامكانيات المتاحة ومن ثم الانتصار!

المؤلف


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET